محمد حسن الأعظمي
أمين السر العام للمؤتمر الإسلامي

عبقرية الفاطميين

أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين



مقدمة

بقلم : **عارف تامر**

كم يطيب لي ان اتحدث في هذه المقدمة عن موضوع خطير يحتل ناحية هامة في تاريخنا الشرقي ، وعن فكرة نشأت في العـالم الاسلامي فأحدثت فيه دوياً وانقلاباً ، وحولته من عالم ضيق منكمش بافكاره وعاداته الى عـالم طليق يسير باتجاه مستقيم على اسس من القوة والعبقرية والعقل والاتزان . هذا الموضوع هو الحركة الاسماعيلية . واذا كانت مقدمتنا هذه سوف تقتصر على الناحية التاريخية فلأن المواضيع الاسماعيلية ذات فروع وشعب مختلفة يجب ان يكون لكل منها طابعه وموضوعه ، ومهما يكن من امر فلا بد لي من القول بان تراثنـا التاريخي الشرقي لا يزال بحاجة ماسة الى ان يدرس درساً منظمـاً على ضوء الحقيقة والتجرد والواقع ، وان تحقق موضوعاته بطرق البحث الحديثة العميقة ، وان يكشف عما فيه من كنوز ثمينة وثروات عظيمة وذخيرة غالية من علوم ومعارف كانت ولا شك هي الاسس الثابتة والدعائم القوية لكل تقدم وازدهار وحضارة .

يعتبر المؤرخ الكبير (ابو جعفر محمد جرير الطبري) المتوفي سنـة ٣١١ هـ اول من بحث تاريخ الحركة الباطنية والدعوة الاسماعيلية ، وجاء بعده (عريب ابن سعد القرطبي) المتوفي سنة ٣٨٠ هـ . فوضع ذيلاً لكتاب الطبري استعرض ما جاء فيه من معلومات وأضاف اليها بحثاً عن قرامطة البحرين ولكنه كان

كاستاذه الطبري سطحياً فلم يربط بين الحركتين الاسماعيلية والقرمطية وانما سار في اتجاهٍ معوج فأخطأ الهدف وضلّ في صحراء من الاخطاء لا نهاية لها .

وجاء (المسعودي) المتوفي سنة ٣٤٤ هـ في كتابيه: التنبيه ومروج الذهب فدوّن في صفحات قليلة حوادث القرامطة ومن الجلي الواضح ان معلوماته جاءت احدث من معلومات الطبري ، امّا ابن رزام الذي عاش في اوائل القرن الرابع الهجري فقد اطلع على مبادىء الحركة الباطنية حتى نظام التأويل لديها فكتب ولكنه ظل بعيداً عن الحقيقة والواقع بركونه للاستنتاج العقلي وللخيال ، وأهم من كل من ذكرناهم المؤرخ (حمزة الاصفهاني) الذي عاش في القرن الرابع الهجري انصرفيا كتب على اعمال القرامطة الحربية ولم يشر الى دعوتهم الفلسفية والعقائدية ولا الى صلاتهم بغيرهم؛ثم ان (الصابي) المتوفي سنة ٤٤٧ هـ ومسكويه المتوفي سنة ٤٢١ هـ فقد كتبا بحوثاً طويلة ونافعة في هذا الموضوع ، ومن الذين نهجوا نهج ابن رزام وسار على طريقته ونهجه في كتاباته نظام الملك وابن شدّاد وابو الفداء ورشيد الدين ثم جاء النويري وبعده المقريزي وهذا الاخير يعتبر في طليعة المؤرخين الذين بحثوا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً قائماً على اهداف ثابتة من التجرد والانصاف والواقع ، وجاء المتكلم الكبير (ابو الحسن الاشعري) المتوفي سنة ٣٢١ هـ فوضع ابحاثاً مفصلة عن الاسماعيلية جاءت مفيدة على وجه العموم ، أمّا (الملطي) المتوفي سنة ٣٧٧ هـ فقد عني بالتفنيد اكثر من عنايته بالشرح والتوضيح ، وأمّا من هو اكثر اسهاباً في هذا الموضوع فهو (ابو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي) المتوفي سنة ٤٢٩ هـ والشهرستاني الذي ذكر مصادر اسماعيلية فاستفاد منها وأفاد،ونستطيع ان نضيف الى هؤلاء جمال الدين بن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٧٧ هـ لانه اعطانا فكرة عامة ونبذة موجزة عن الحركات الباطنية . وهناك مصادر اخرى بحثت هذه الحركة بحثاً عرضياً غير مقصود اقدمها كتاب «معرفة اخبار الرجال» لابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشيّ وهذا المؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري وهو تلميذ للعالمين الشيعيين الكبيرين «ابي القاسم نصر بن صباح البلخي» و«ابي نصر

محمد بن مسعود العياشي السمرقندي » امّا النجاسي المتوفي سنة ٤٥٠ هـ ، والطوسي المتوفي سنة ٥٨٨ هـ فقد بحثا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً وقرّبا الى الاذهان شيئاً من الواقع .

هذا وان النوبختي المتوفي سنة ٣١٠ هـ والاسترابادي المتوفي سنة ١٠٢٨ هـ وابن خلدون والسيوطي ، وابن القلانسي ، وابن النديم ، والنيسابوري ، وابن خلكان ، وابن حوقل ، وثابت بن سنان فانهم جميعاً قد بحثوا الحركة الاسماعيلية واعتبروها من اهم الحركات الفكرية التي وُلدت في العالم الاسلامي فأحدثت فيه تأثيراً واضطراباً وانقلاباً في الآراء والمعتقدات .

وننتقل بعد ذلك لنأتي على ذكر العلماء والمستشرقين والباحثين المعاصرين فنقول :

ان الكتابة عن الاسماعيلية بدأت بالفعل عندما جمعت بعض مقتطفات من اسماعيلية سوريا الوسطى نشرها (ستانيسلاس غويارد) وقد نشرت بعض المجلات الروسية قطعة أو قطعتين وجدتا عند اسماعيلية آسيا الوسطى ، وعثر (غريفيني) سنة ١٩٠٥م على عدد من مصنفات الاسماعيلية في اليمن وقد اجمل بعضها في مقال عام ثم جاء دوزي ، وارنولد ، وسليفستر دي ساسي ، ودي فريميري ، ومامور برنس ، وموريس باريس ، وبروكلمن ، وشتروتمان ، ومينورسكي ، وبراون ، وبرنارد لويس ، وكراوس ، وسترن ، وماسينيون ، وحتي ، وهودكسن ، فكتبوا عن الحركة الاسماعية واضافوا الى مصادرها ذيولاً كانت جدًّا موفقة ومن الاهمية بمكان وقد اعطت نتيجة مثمرة . امّا (ايفانوف) فيعتبر في طليعة الباحثين الذين كتبوا التاريخ الاسماعيلي وقد برهن عن فهم عميق ومعرفة واسعة ، وجاء الدكتور محمد كامل حسين ، والدكتور حسين همذاني ، والدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور طه احمد شرف ، فكتبوا بحوثاً مستفيضة عن الاسماعيلية لا نستطيع إلاّ ان نهنئهم عليها فهي والحق يقال قد سدّت فراغاً واسعاً وكشفت عن بعض النواحي الغامضة ، امّا العلاّمة الهندي الاستاذ آصف فيضي فيعتبر من الاختصاصيين في الفقه والقانون الاسماعيلي،

ويعتبر الدكتور المرحوم (زاهد علي) من الاختصاصيين بالأدب الاسماعيلي ايضاً، ويوجد هناك مستشرق كبير وعلاّمة عظيم تفهّم الفلسفة الأسماعيلية حق الفهم ووصل الى اعماق هذه الفلسفة هو الاستاذ «هنري كوربان» مدرس الدراسات الفلسفية العالية في جامعة «السوربون» فكثيراً ما كانت ابحاثه تتخذ طابع الجد والاهتمام وتفيض بالفهم والعقل والغوص في الاعماق. ومهما يكن من امر فان الدراسات الاسماعيلية قد تطورت تطوراً ملحوظاً حتى شملت مختلف النواحي الفكرية من عقائدية وفلسفية واجتماعية وسياسية ، فظهرت الى عالم الوجود مصادر تاريخية جديدة ومخطوطات علمية قيمة كانت في طي الخفاء فألقت بعض الأنوار على هذه الفلسفة المستورة ومن المصادر التي ظهرت لعالم الوجود كتاب (عيون الاخبار) وهو سجل لتاريخ الدعوة الاسماعيلية وضعه الداعي الاسماعيلي اليمني الاصل (ادريس عماد الدين) وهناك مخطوطات الفقيه الاسماعيلي الكبير العلاّمة القاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي التميمي ، وما خطّه الرحالة الاسماعيلي الفارسي (ناصر خسرو) في كتابه (سفر نامه) مضافاً الى ذلك بعض المخطوطات لتاريخ الاسماعيلية السورية فضلاً عن المخطوطات العلمية والفلسفية التي طبعت وهي اكثر من ان تحصى .

رجّت بلاد الخلافة العباسية اثناء العصور الوسطى للاسلام حركة دينية اجتماعية فلسفية وسياسية معاً هددت كيان الخلافة الاسلامية زمناً ما ، وقد توفقت عندما بلغت الذروة من ان تنشىء في القطر المصري خلافة فاطمية شيعية مناوئة للخلافة العباسية السنية في بغداد وأقل ما يقال عنها انها تساويها قوةً وتفوقها عزةً ومضاءً وانها كانت صاحبة الشوط الاول في مجال العلم والمدنية وفي طليعة الدول العاملة لبناء حضارة عالمية تقوم على أساس من العلم وعلى دعائم من القوة، اقول : قوة .. لانه من الواضح اننا قلما نجد في المجتمع الاسلامي مذهباً او دعوة الى تغيير نظم عقائدية كانت او سياسية او اجتماعية إلاّ استندت على القوة والعنف وقامت بحد السيف . وإني قبل ان ابدأ بالحديث عن هذه الحركة لا بد لي من تقديم هذا العرض الموجز فأقول :

كانت الدولة الاموية عربية النزعة والطابع وعلى الرغم من خضوع كثير من الشعوب الاسلامية غير العربية ذات التاريخ الحافل اليها فلم يُعنَ بنو امية بغير العرب فمنهم كان الولاة والقواد ورؤساء الدولة والحكام والامراء ولهذا كره الموالي حكمهم وعملوا على اسقاطهم وكان العلويون وشيعتهم اعظم اعداء الامويين خطراً وقوة فالخلاف بينهم قديم منذ عهد علي بن ابي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وقد اضطهد الامويون بني هاشم جميعاً وقابلهم هؤلاء بان عملوا على تقويض دولتهم ، وقد كانت الدعوة في بادىء الامر لآل البيت دون تخصيص بعلويين او عباسيين ثم لما تنازل ابو هاشم بن محمد الحنفية زعيم الحزب الكيساني الى محمد بن عبدالله بن عباس ازدادت قوة الحزب العباسي واشتد ساعده ولكن ابا مسلم الخراساني كان يدعو لآل البيت بلا تعيين وانتهى الامر بتغلب العباسيين وتولية ابي العباس السفّاح الخلافة بمؤازرة الفرس خاصة والموالي عامة وكان ابو العباس برّاً بآل علي قربهم اليه واغدق الأموال عليهم ولكنه بالوقت ذاته كان يخشاهم ويرقبهم عن كثب ويغري بهم من يحصي عليهم الاخطاء ، ولما يئس العلويون من الخلافة خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب المعروف «بالنفس الذكيه» على ابي جعفر المنصور بالمدينة وغلب عليها فحبس المنصور اباه عبد الله وأهله من بني الحسن في سجن الكوفة وقد ماتوا فيه ووجه الى النفس الذكية الذي كان قد خرج الى الحجاز وتلقب (بالمهدي) جيشاً بقيادة ابن اخيه « عيسى ابن موسى» وكانت الغلبة لجيش المنصور فقتل «النفس الذكية» وحمل رأسه الى المنصور سنة ١٤٥ . وعندئذ قال بعض الزيدية: ان الامام من بعده هو اخوه ادريس الذي فر الى المغرب الاقصى واختط مدينة فاس وأسس دولة الادارسة، وقد كانت هذه الحادثة انذاراً بالغاً للعلويين بعهد طويل من الاضطهاد الشنيع دونه ما لاقوه من بني امية ، وهذا سبب رئيسي لهذا النزاع الداخلي والسبب الآخر هو اقصاء بيت الرسول بعد وفاة النبي محمد عن زعامة المسلمين وقد كان هذا الاقصاء سبباً للحروب الدامية مع بني امية وظهرت الفرق الشيعية تناصر الحسن والحسين وتلتف حول زيد بن علي وابنه يحيى وتقوم بدور كبير محاولة ازالة سلطان الامويين ولكنها اخفقت في الجولة الاولى فسُمَّ الحسن وقتل

الحسين، وقد ظهر انها عجزت في عهد الامويين عن تحقيق اهدافها في سيـــادة العالم الاسلامي ، ومردُّ ذلك كما هو جلي وواضح الى انقسام الشيعة الى حسنيين وحسينيين وحنفية ثم الى هاشميين ، ولأن الدولة الاموية كانت في ابان قوتهـــا واتحادها اضف الى ذلك انتقال حق الامامة من ابي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عبد الله العباسي وجاءت الدولة العباسية كما اسلفنا لتحكم العالم الاسلامي فحمل لواء المعـــارضة بنو الحسن ومنهم محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الذكية» واخوه ابرهيم فضاق ذرعاً بهم ابو جعفر المنصور ثم قتلهما وقد كان ذلك سببـاً حدا بالفرع الحسني لان ينضمّ الى جعفر الصادق الحسيني ثم الى ابنه اسماعيل ولكن الانقسام بينهما فيما بعد عاد سرّاً حول القيادة مما دعا جعفر الصادق الى تكوين جماعة ذات طابع خاص في تفكيرها ونظامهـــا الاجتماعي والديني والسياسي تلك الجماعة هي الاسماعيلية .

اجل... اقام العباسيون دولتهم على غير اساس ثابت لانهم تنكروا للعرب ولم يعتمدوا عليهم مع انهم ركنهم الذي يأوون، وشجرتهم التي يستظلون واصطفوا الفرس وركنوا اليهم وجعلوا منهم الولاة وقواد الجيش وعمال الخراج ورؤساء الدولة وظهرت العصبية العباسية باجلى مظاهرهـــا وانضمت للفرق الشيعية وألفت كتلة كبيرة اتحدت وشكلت الدولة العباسية فكان اركانها والقائمون عليها هم الذين ذاقوا صنوف الاضطهاد بعهد الدولة الاموية ومنهم الشيعة والفرس وكافة العناصر المسلمة غير العربية فدب الفساد وكثر الحسد وقامت المؤامرات بالسر والعلانية واستقلت عدة ولايات واصبح كل امير يطمع في ان يكون والياً على ولاية يتصرف بمقدراتها ويتحكم بشؤونها وكانت الحادثة التي هزت كيان العالم الاسلامي عامة والشيعة بجميع فروعها خاصة ما فعله المتوكل بالله العباسي سنة ٢٣٧ بهدمه قبر الحسين بن علي بكربلاء ومحو ما حوله من المنازل والدور وتعسفه في معاملة الشيعة تعسفاً خطيراً وكانت هناك دعوة تقـام في الستر لهدم هذه الخلافة لتشيد على انقاضهـا خلافة ترتكز على دعائم من العلم والقوة ، هذه الدعوة هي الاسماعيلية .

نشأت الاسماعيلية نشأتها الاولى سنة ١٢٨ هـ في العراق وفارس كدعوة دينية من قبل الفقيه المتشرع العلاّمة الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويذهب بعض علمـــاء الاسماعيلية الى القول بان دعوتهم قديمة منذ عهد اسماعيل بن ابرهيم الخليل وبالرغم من وجود ما يثبت هذا الزعم عقائدياً فاننا لا نجد بين ايدينا مصادر تاريخيـــة تؤيده تأييداً قاطعاً وهذا ما يجعلنا مع اكثر الباحثين والمهتمين نولي اهتمامنا عند بحث الاسماعيلية مبتدئين بعهد اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول :

ان هذه الدعوة قد بدأت تتحول الى حركة سياسية سنـــة ٢٥٩ هـ ثم الى دعوة سياسية اجتماعية عامة تأخذ طريقهـــا لتحرك العقول من جمودها الضيق وتخرجها من عزلتها وانكماشها وتضفي عليها الانطلاق الرحيب ونبذ البـــدع والتمسك بعقيدة واقعية بنظمها وقوانينها ، فاجتمع نفر من الدعاة المجتهدين بعد وفاة الامـــام جعفر حول نجله اسماعيل ورفضوا الاعتراف بامامة اخيه موسى الكاظم وعاهدوا اسماعيل وقاموا بالدعوة له وهذا حسب اعتقـــاد الاسماعيلية الذين يقولون بان اسماعيل لم يمت بحيـــاة ابيه ، وبعد موته ساقوا الامامة بولده «محمد» وكان يقيم في فارس وأطراف العراق وتدمر، ثم بولده (عبدالله) الذي انتقل الى « سلميّة – سوريا » واقام فيها متستراً بعيداً عن الانظار يحيط به رجال دعوته البارزون، وفي هذه الفترة ظهر كتاب «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا» ونشر فكان دعوة عامة عجلت بالقضـــاء على المجتمع العباسي القائم على تعاليم جامدة سطحية لا اثر فيها للفلسفة، وفي هذه الفترة تماماً ظهرت الفرقة القرمطية الاسماعيلية تدعو الى مبادىء اشتراكية متطرفة كانت ترمي الى احداث ثورات شعبيـــة وعمّالية وزراعية وصناعية ضد الملاّكين والاقطاعيين والأثرياء ، وكانت هذه المبادىء من وضع الامام «محمد بن اسماعيل» ، وقد انتشرت سريعاً في المغرب سنة ٢٩٦ هـ على يد «ابي عبد الله الشيعي» ، وفي اليمن ٢٧٠ هـ على يد « ابن حوشب منصور اليمن » و«أبي الفضل الجدني» ، وفي البحرين على يد « الحسين الاهوازي» و«حمدان بن الاشعث» و«ابي سعيد الجنابي» الحسن بن بهرام و«زكرويه بن مهرويه»

المرزبن ابن الكاشاني) وفي مصر على يد «ابي علي» الداعي المقيم ، وفي فارس
«نصر بن احمد الساماني » امير خراسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويخ
الديلمي امير طبرستان ، ويوسف بن البايغ امير اذربيجان ، وعندما تم ظهور
الامام الحادي عشر (محمد بن المهدي بالله) او (عبيد الله) نقل عاصمة دعوته
من سلميه - سوريا» الى المهدية في المغرب وجعلها عاصمة الخلافة الفاطمية ، وبعد
ان استمر حكمه ورسخت اقدام دولته مات فتسلمها ولده القائم ، ثم المنصور ،
ثم المعز لدين الله الذي فتح القطر المصري سنة ٣٥٩ هـ ونقل عاصمة خلافته من
الى القاهرة وبعد ذلك تعاقب على شؤون الخلافة الفاطمية بعد المعز لدين
الله ولده العزيز ، ثم الحاكم بامر الله ، ثم الظاهر لاعزاز دين الله ، ثم المستنصر
بالله ، وفي نهاية عهد الاخير طرأ على الدولة الفاطمية الانحطاط وبدأ نجمهـا
يميل نحو الافول ، فبعد أن انتقل الامام المستنصر بالله لدار الآخرة وقع الاختلاف
على الخلافة بين ولديه نزار والمستعلي ولما كان المستعلي وهو الابن الاصغر تربطه
ببدر الجمـالي قائد جيوش الدولة الفاطمية المصرية اواصر القرابة لجهة والدته
تمكن من الانتصـار وانتزاع الخلافة من نزار وهكذا انقسمت الاسماعيلية الى
فرقتين : «مستعلية ونزارية» فأمّا النزارية فقد ودّعت ربوع وادي النيل وانتقلت
الى فارس وجعلت عاصمة ملكها قلعة « ألموت » وقام على شؤونها الداعي الكبير
« حسن بن الصبّاح » وكان انصارها يقيمون في سوريا والعراق وفارس ، وأمّا
المستعلية فقد انتقل حكمها بعد المستعلي الى الآمر ثم الى الحافظ وبعده الى الظافر
ثم الى الفائز ثم الى العاضد وفي عهـد آخرهم العاضد انتزع صلاح الدين الايوبي
الملك وهكذا انتهت الدولة الفاطمية من ربوع الكنانة وانتقلت بفرعيها النزاري
والمستعلي لتتخذ شكلاً جديداً ، والمستعلية الاسماعيلية هي « البهرة » الآن
بفرعيها السليمانية والداؤدية وتقيم في الحجـاز بوادي نجران في السعودية وبعض
الأمكنة النائية في اليمن وفي صنعاء وفي افريقية والهند وباكستان وعددهـا
يقارب المليون ، أما النزارية التي استقرت دعوتها في فارس فقد تسلسل منهـا
سبعة ائمة بعد المستنصر بالله آخر خليفة فاطمي في مصر ، وقد اقاموا جميعهم في
« ألموت » الفارسية وكان آخرهم شمس الدين بن محمد وبعد موته انقسمت النزارية

الى قسمين هما « المؤمنية » و « القاسمية » فالمؤمنية هي التي قالت بامامة « مؤمن
شاه » نجل شمس الدين الاكبر وبعده انتقلت الامامة الى ولده رضي الدين ثم الى
طـاهر وحيدر وصدر الدين ومعين الدين وخداي بخش وعزيز ومعين الدين
ومحمد مشرّف وحيدر ومحمد الباقر ، وهذا الامـام الاخير عاش حتى عام
١٢١٠ هـ وبعده انقطعت الفرقة المؤمنية الاسماعيلية عن الاتصال بهذه الاسرة
الفاطمية الاصل العلوية النسب وقالت بان الامام يعيش الآن في الستر الكثيف
وسيعود يوماً ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، امّا القاسمية فقد ساقت
الامامة بنجل شمس الدين الثاني وهو قاسم شاه وبنجله اسلام ثم محمد ثم المستنصر
بالله وعبد السلام وغريب ميرزا وابو الذر علي ومراد ميرزا وذو الفقـار علي
ونور الدين علي وخليل الله علي ونزار علي والسيد علي وحسن علي وابو الحسن علي
وخليل الله علي ومحمد حسن علي وعلي شاه وسلطـان محمد وهو « آغا خان »
المعروف وبعده بحفيده الامير كريم آغا خـان وهذه الفرقة تقيم الآن في
الباكستان والهند وافريقيـا الشرقية والجنوبية ومدغسكر وسلميّة والخوابي
قرب طرطوس وفارس ولا يمكن تقدير عددها .

هذه لمحة خاطفة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية قدمناها الان لننتقل منها الى
القول بانه بعد هذا التطور بالدراسات وبعد ظهور هذه المصـادر والمخطوطات
اصبحت الحركة الاسماعيلية معروفة بانهـا رسالة فلسفية مستقلة ودعوة سياسية
امية ذات اثر ظاهر بمجرى الحيـاة العامة وفكرة عقائدية باطنية تخفي وراءها
اهدافاً ومقاصد لا يزال الفكر يسعى لجلاء غوامضهـا وسبر غورها واكتشاف
كنهها وليس ادل على ذلك من ان هذه الرسالة الفلسفية كانت تغزو الاقطـار
الشرقية والغربية على السواء فيسارع الى اعتناقها كل من يستسيغ مبادئهـا
وتعاليمها بصرف النظر عن الاقليم او البلد او الجنس او العرق وهذا ما جعلها
تسمو وترتفع على ايدي ائمة اعلام صادقين وحجج كبار كانوا على جانب عظيم من
الثقافة والعبقرية فتصل الى مصاف الدعوات الامية الكبرى التي اثرت في العقول
وأخرجتها من حيز الجمود الى الانطلاق الرحيب .

لقد قلنا ان الشيعة الاماميه انقسمت بعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ فريقين فريق نادى بامامة اسماعيل وهم الاسماعيلية وفريق نادى بامامة موسى الكاظم الابن الاصغر لجعفر الصادق وابنائه من بعده وهم علي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد المنتظر وهو الامام الثاني عشر الذي اختفى في سامراء سنة ٢٦٠ هـ ولا يزال انصاره ينتظرون عودته ويعرفون ايضاً بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ثم يعرفون بالاثني عشرية نظراً لانتظارهم امامهم الثاني عشر ولا أريد ان ادخل في بحث قصة اسماعيل ووفاته في عهد أبيه وتقولات الموسوية والسنة وأقوال الاسماعيلية الى ما هنالك لان هذه القصة تشكل موضوعاً مستقلاً ولكن هناك ناحية يجب الاتيان على ذكرها وهي هل قامت الدعوة الاسماعيلية في عهد اسماعيل ؟ ام في عهد ولده محمد ؟ أم في حياة أبيه جعفر الصادق ؟ الواقع ان بذور هذه الحركة قد بذرت بعهد جعفر كما قلت ولا يوجد هناك من يستطيع انكار هذه الحقيقة ، وقد كانت هذه الدعوة سرية وكان يعمل لها في الخفاء اسماعيل بحياة أبيه يعاونه الداعية الكبير ابو الخطّاب وجاء بعد اسماعيل ولده محمد وكان على جانب كبير من العبقرية والثقافة راجح الفكر ثاقب النظر وكانت حياته سلسلة من الجهاد في سبيل الدعوة وقد فر من المدينة الى العراق ثم الى الري ومنها الى دوماند وهو جبل قريب من الري واستقر هناك بقرية تدعى (سملا) اطلق عليها فيما بعد اسم (محمد اباد) نسبة اليه ومن الواضح ان فرار محمد بن اسماعيل من المدينة لم يكن خوفاً من العباسيين وانما كان لنشر الدعوة الاسماعيلية في كافة أنحاء العالم الاسلامي ولذلك لا نراه يستقر في مكان حتى يذهب الى آخر فطوراً في فرغانة والري وطوراً في العراق وسوريا ينشر التعاليم ويبذر البذور ، ومحمد بن اسماعيل حسب ترتيب الدعوة الاسماعيلية الفلسفي يعتبر امام سابع والامام السابع له اعتبار خاص فهو صاحب نشرة علمية انتقالية وناسخ عهد وفاتح عهد ومن القاء نظرة على تاريخ حياة محمد بن اسماعيل يتبين لنا انه هو موجد دور الستر وان امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الاسماعيلية ونذهب الى أبعد من ذلك فنقول بانه جاء بتعاليم جديدة نسخت بعض تعاليم الشريعة التي سبقته

وهو أيضاً بالحقيقة اول امام رفع التكاليف الظاهرية ونادى بالتأويل وبالمعنى الباطني وقد كان يعتمد في نشر دعوته على حجته الداعي الكبير ميمون بن قداح وسنرى عندما نتوسع بالدرس ان اسرة القداح لعبت دوراً هاماً في تاريخ الاسماعيلية .

وفي الواقع ان محمد بن اسماعيل ترك عدداً من الاولاد ومنهم عبد الله الذي ولاّه ولاية عهده وكان أكبرهم وأما الآخرون فهم علي بن الليث واحمد والحسين الذين فتك بهم العباسيون في خوارزم وكان ولده عبدالله يلقّب بالرضي والناصر والعطار وقد ولد في عهد الرشيد العباسي وأحاطه والده بفريق من دعاته المخلصين وغلا هو وانصاره في اخفاء أمره حتى لا يقع في أيدي العباسيين وهكذا نصب محمد بن اسماعيل ولده عبد الله وليّاً لعهده وامر حججه ودعاته وخاصة الاربعة الحُرُم ان يتسمى كل منهم باسمه أي (عبد الله) فكان حين يحين وقت اخذ العهد على أحد المستجيبين يسمي أحد أولئك الحرم باسمه وهو عبد الله وهكذا اصبح تحقيق شخصية الامام متعذراً حتى على أقرب الناس وحتى على الدعاة انفسهم في الجزر والامصار البعيدة والقريبة على السواء وصار الجميع يقولون ان عبدالله بن ميمون القداح هو الامام وقال غيره بل هو عبد الله بن مبارك وجاء فريق يسمي عبدالله بن حمدان او عبدالله الحسين الى ما هنالك من اقوال وتخرصات جاءت جميعها تطعن بنسب الفاطميين واني لا أجد أبلغ من رد الشاعر الكبير الشريف الرضي على هؤلاء واثباته نسب ابناء عمومته الائمة الفاطميين :

ما مُقامي على الهوان وعندي   مقولٌ صارمٌ وانفٌ حميٌّ
وإباء محلّق بي عن الضيم   كما راغ طائرٌ وحشي
اي عذرٍ له الى المجد ان ذلّ   غلام في غمده المشرفي
ألبس الذلّ في ديار الاعادي   وبمصر الخليفةُ العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولايَ   اذا ضامني البعيد القصي
لفّ عرقي بعرقه سيدا الناس   جميعاً محمد وعلي

ان جوعي بذلك الربع شبع — وأوامي بذلك الطـــلّ ري

كلّ من يركبُ الظلام وقد اسرى — ومن خلفـــه هلال مضي

قد يُذل العزيز مـــا لم يشمر — لانطلاق وقد يضـام الابي

قد لا اكون مغالياً اذا قلت بان هذه الحركة الاسماعيلية التي نتحدث عنهـا جديرة بالدراسة والبحث ففي تاريخها ما يُثير الاعجاب وفي فلسفتها ما يغذي الفكر ولا شك ان نظامها يقوم على الاخاء والمودة ويربط الفرد بالمجتمع بوشائج قربة بحيث يرى هذا الفرد ان حياته في تماسك الجماعة ولذلك نرى الاسماعيلية في كل مكان وفي كل عصر وزمان تربطهم جامعة واحدة ونرى مجتمعهم يتكون من افراد مختلفي المشارب والنزعات يقيدهم رباط الحب والالفة والتفاني في سبيل النهوض بدعوتهم والدفاع عن عميد دعوتهم الذي هو (الامام) .

ويرجع نجاح الدعوة الاسماعيلية في بدء ظهورها الى عوامل مختلفة منهـا ضعف العالم الاسلامي عامة والدولة العباسية خاصة وتخاذل الطوائف الشيعيـة الأخرى وتحمس الناس لنظرية المهدي الذي يأتي لينقذ البشريـة من الظلم والطغيان وتطلعهم بشغف الى ظهوره ، ثم الصبر والهدوء والكتمان والصدق والثقة بالنفس وقد غمرت الدعوة الاسماعيلية امواج من السرية الدقيقة حـتى التبس الامر على المؤرخين فلم يقفوا على حقيقة القائمين عليها اهم من الدعاة ؟ أم من الائمة الحقيقيين من ابناء اسماعيل ؟ والحق ان رئاسة الدعوة في عهد الامـام « محمد المهدي بالله » وقبل عهده وضعت مخطط الدعوة السرية وان القائمين عليها نجحوا نجاحاً كبيراً في تكوين مجتمع اسماعيلي قوي عمـاده التقية والتخفي الكثيف ، فانظر إلى أبي عبدالله الشيعي الداعية الاكبر يكتم أمره فلا يدري الاغالبـة عنه شيئاً حتى يدهمهم بجيوشه سنة ٢٩٨ هـ . وانظر إلى أبي سعيد الجنابي يكوّن دولة سنة ٣٠١ هـ او ما يشبه الدولة في بلاد البحرين التي كانت تابعة للعباسيين دون ان يعرفوا في بادىء الامر شيئاً عنه ، واني لا اتخطى الحدود وأزوّر الحوادث التـاريخية اذا قلت بان النجاح الكبير الذي وصلت اليه الاسماعيلية في تقويض اركان الدعوة العبـاسية مرده الى المنظمات السرية التي

بذر بذورها وتعهدهـا ائمة الاسماعيلية الاربعة : عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، واحمد ، والحسين ، ومحمد المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية وان اعظم ما في الحركة الاسماعيلية تنظيمها واساليب دعاتهـا العجيبة التي تدل على ادراك عميق لنفسيات شعوب الشرق الادنى وعلى فهم دقيق لمصادر التذمر عندهم فقد كانوا يعتنون باختيار دعاتهم كل الاعتنـاء ويزودونهم بارشادات مهمة تتفق وروح البيئة التي يدعون اليها وقد كان من تعاليم هذه الحركة ان يدمج المغلوبون والغالبون في هيئة واحدة وان يجمع في حظيرة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عديدة بين احرار المفكرين الذين لا يرون في الدين وسيلة لسيـادة الشعب وبين الغلاة من جميع الطوائف وان يجعل من المؤمنين آلات صماء تمد المتشككين بالقوة وان يحمل الظافرون على قلب الدولة التي شادوها وان ينشىء حزباً كبيراً مؤتلفـاً يرفع في الوقت المناسب ان لم يكن هو فعلى الأقل ابناؤه وهي فكرة عجيبـة نفذت بحذق مدهش وبراعة نادرة وخبرة عميقة وقد كانت تشتمل على برنامج سيـاسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعيـة والاقتصادية وهذه الناحية الـتي طغت على المجتمع كانت ثورة على التعاليم الاسلامية . وبالحقيقة ان الحركة الاسماعيلية لم تتخذ شكلاً واحداً ولا اقتصرت على اسم معين بل ظهرت باشكال وصور متعددة في نظرياتها وتنظيماتهـا فكانت دائبة على ضم فرق جديدة الى صفوفها واضافة اراء جديدة الى مذهبها . وزيادة على ذلك كانت تتجزأ الى شعب متنافرة في الغالب .

ولا يقل اثر التحمس في نجـاح الدعوة بعهد امامة المهدي عن اثر التعمق في السرية فقد كان من سياسة المهدي الاستعانة بسيوف انصاره لتحقيق مآربه التي تتلخص في تكوين دولة اسماعيلية اولاً . وهدم الدولة العباسية ثانياً . نعم لقد قام انصار المهدي الامام المستور بحركات حربية رائعة تذكرنا بشجاعة الخوارج وثباتهم فنجح ابو سعيد الجنابي في هزيمة العباسيين هزائم متوالية كما نجح في قرمطة بـلاد القطيف والبحرين وها هم اولاد ذكرويه بن مهرويه يهزمون جيوش الطولونيين والعباسيين ويلقون الذعر في بلاد الشام وباديتها وفي شمال العراق

الغربي وقد استطاع ابو عبد الله الشيعي ايضاً بفضل هذه الدعاية المنظمة ان يحوّل الكتاميين فيندفعون وراءه كالسيل المنهمر يجرفون دولة الاغالبة التي لم تستطع الصمود الا قليلاً أمامهم وبفضل هذه الحماسة الحربية استطاع الامام محمد المهدي بالله ان يحقق ما غرسه آباؤه وأجداده ويقيم الدولة الفاطمية في المغرب كل هذا اذا استثنينا الدولة الاسماعيلية في اليمن والدولة التي أقامها حسن الصباح في فارس وامارة الاسماعيلية في جبال السمّاق في سوريا . ومهما يكن من أمر فان التاريخ الاسلامي لا يعرف مذهباً ثورياً لا يستند الى مذهب روحي او حركة ثورية عامة لا ترجع الى الدين وان الحركة الاسماعيلية التي هزت أسس المجتمع الاسلامي الى الاعماق وصدعت من سلطانه السياسي واصابته في روحه وخلاله وأدّت بمضي الزمن الى تفككه واضمحلاله وانتشاره اخيراً الى دويلات ومجتمعات ضعيفة متنابذة استطاع الغرب ان يُخضعها تباعاً لنفوذه واستعماره هي التي عجلت بالقضاء على هذا المجتمع وهذا السلطان ونقلته من عهد الى عهد ومن طور الى طور .

أجل ... لقد كان العامل الاول لنجاح الاسماعيلية في نشر دعوتهم انهم نهجوا منهجاً سبقوا فيه غيرهم من الفرق الشيعية الأخرى فكانوا يبالغون بالتخفي بنشر تعاليم فلسفتهم ومبادىء مذهبهم على شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة حتى تصل بالمستجيب الى مبادىء فلسفية عميقة لا يفهمها الا القليلون حتى ان المستجيب كان لا يعرف شيئاً عن الدرجات التي تلي درجته . وانما كان همه الوصول الى درجة أعلى من الدرجة التي وصل اليها واصبح كثير من الاسماعيلية لا يعرفون شيئاً عن زملائهم الذين انتظموا في سلك الدعوة وخفي امرهم على خصومهم العباسيين وكذلك استغلّ الاسماعيليون مذهب التقية فكانوا سنيين مع اهل السنة وشيعيين مع الشيعية ومسيحيين مع المسيحية لان نظام الدعوة كان يفرض على العالم الاسماعيلي ان يكون عارفاً بكل عقائد الفرق التي تعيش في عصره ملماً بقواعدها ونظمها وفروعها وبذلك انضمّ اليهم آلاف مؤلفة من الناس ولم يشعر العباسيون الا وقد قامت دولة اسماعيلية كبرى لها جيشها

واسطولها وقواعدها وممتلكاتها ومدنيتها وحضارتها .

في الحقيقة ان الحديث عن الاسماعيلية وتاريخها قد يطول وربما كانت لا تفي فيه صفحات أو مقدمات ومهما يكن من أمر فلننتقل الآن الى الحديث عن الموضوع الذي نحن بصدده وهو كتاب الاستاذ الاعظمي الذي هو بين ايدينا

مما هو واضح تمام الوضوح اننا لا نقدم الاستاذ الاعظمي للقراء الكرام ككاتب يبحث في موضوع غريب عنه ، بل نقدمه كخبير ، خبر القضايا الاسماعيلية التاريخية وألم بموضوعها وفتن بآدابها واقتنى الكثير من مخطوطاتها ، لذلك فعندما يعالج موضوعها تطغي عليه روح العالم المطلع وهذا ما يجعلنا نقدم كتابه باطمئنان مرتاحين إلى سلامة النية وصدق القصد وإلى القول بانه لا غنى للعالم وللباحث وللاديب عنه .

امّا منتخبات الشاعر الكبير الأمير تميم بن الامام المعز الفاطمي فنعتبرها جديرة بالنشر لانها تزخر بكل روعة شعرية تقرب هذا الشاعر الكبير من مصاف الشعراء الامراء الفحول الذين ولدوا والشعر بيوم واحد .

ولا يسعنا في نهاية المطاف الا ان نهنىء الاستاذ الاعظمي على كتابه القيم ومجهوده الضخم معتذرين عن قصورنا وعن محاولتنا معتقدين بانه لا بد من كلمة أخيرة تضاف إلى المقدمة تتناول فترة اخوان الصفاء وخلان الوفاء وعلاقتهم بالاسماعيلية وكل هذا مما يلقي اضواءً جديدة على التاريخ الاسماعيلي ويزيد الموضوع وضوحاً فنقول :

جماعة اخوان الصفاء وخلان الوفاء لغز مبهم في التاريخ العربي صعب حله ، وسر من اسرار العقائد الباطنية عسر فهمه ، وكنز فكري ثمين أغلقت الأبواب دونه ، وتضاربت الأقوال فيه ، وتشعبت الابحاث حوله ، حتى أصبح مثاراً للجدل والتخمين بين العلماء والباحثين ومحلاً للاستنتاج العقلي الذي قلما أدى الى نتيجة تميط اللثام عنه ، او الى هدف ينير السبيل امامه ، او يكشف عن الحقيقة المحتجبة وراء ستار كثيف من الكتمان . ولعل اخوان الصفاء تعمدوا اخفاء اسمائهم عن عامة الناس حرصاً على حياتهم المهددة من ملوك ذلك العصر

الذي عاشوا خلاله ، ومبالغة في كتمان هدف رغبوا الا يصل الطالب الى معرفته بسهولة ، وزهداً في شهرة كانوا يعتقدون انها زائلة ، وطمعاً في ثواب أملوا فيه .

ليست دراسة موضوع اخوان الصفاء وخلان الوفاء من الموضوعات السهلة في تاريخنا وفلسفتنا العربية ، فلقد لفت انتباه وانظار فريق كبير من العلماء والباحثين والمستشرقين منذ بدء النهضة العلمية الحديثة ، وكان جميع الذين جالوا في مجاله الواسع مجمعين على القول بأن رسائل اخوان الصفاء هي اغزر مادة فلسفية وأقوم حجة وأثمن تحفة فكرية ضمت بين دفتيها البديع والايجاز والحكمة من فلك وعدد وموسيقى وهندسة ورياضيات وطب وعلوم اخرى أنتجها العقل العربي في عصر مبكر من عصور الاسلام ، وفي فترة كانت فيها الفلسفة ضرب من ضروب الكفر والإلحاد ، وزادوا فقالوا بأن هذه الرسائل تمثل الرقي العقلي والتطور الفكري وتعتبر اقوم مصدر في الفلسفة العربية للتعبير عن الثقافة الواسعة والتبسيطات للمعضلات الفلسفية ، وأغنى موسوعة بالعلوم والآداب الناطقة بسهولة الاسلوب ومرونة الاستدلال .

لقد كانت أقدم دراسة مبكرة عن اخوان الصفاء المقدمة التي كتبها في عام ١٨٣٧ باللغة الانكليزية المستشرق « توماسون » « T. T. Thomason » ، وقد ضمنها فصلاً مقتطفاً من رسائل أخوان الصفاء سماه [تحفة اخوان الصفاء] وموضوعه [تداعي الحيوانات على الإنسان عند ملك الجن] ، وجاء بعده المستشرق [نوورك] « Nowork » فنشر خلال عام ١٨٣٧ ايضاً في برلين رسالة عن اخوان الصفاء مع ترجمتها بالالمانية ، وتبعه المستشرق [ديتريصي] « Fredeirikh-Dictricie » فعرض في عام ١٨٧٩ لبحث اخوان الصفاء بكتابه الذي صدر في برلين بثمانية اجزاء وعنوانه [العلوم الفلسفية عند العرب] ، وقد كان اعتماده في دراسته وعنصر موضوع بحثه مرتكزاً على رسائل اخوان الصفاء انفسهم ، وفي عام ١٨٨٦ ايضاً اصدر في برلين كتاباً سماه [خلاصة الوفاء في اختصار رسائل اخوان الصفاء] ،

ثم جاء « غولدزيهر » « Goldziher » فتناول موضوعهم ببحث موجز ظهر عام ١٨٨٨ في « هالي » « Halle » بألمانيا ، وقد عرف عنهم المستشرق (لان بول) « Lone Poole » ١٨٩٣ ببحث طريف ايضاً ، وفي عام ١٨٩١ ناقش « باربيت دي مينار » « Parbiet de Meinard » موضوعهم مناقشة علمية تاريخية ، اما « ويمر » « Weimer » فأضاف الى ترجمته لبعض الرسائل مقدمة جاء فيها عرض موجز لفلسفتهم ، وفي عام ١٩٠٣ ظهر عنهم بحثان الأول كتبه المستشرق (دي بوير) De Boer في لندن كما ان الأب نعمة الله العنداري أتى على ذكر اخوان الصفاء بكتابه تاريخ الفلسفة العربية ، وكذلك محمد لطفي جمعه في كتابه (تاريخ فلاسفة الاسلام) ، وعبدالحميد سامي بيومي في (مجلة الاسلام) وسليم الجندي في (مجلة المجمع العلمي العربي) والقس سليمان صائغ في بحثه (جمعية اخوان الصفاء) ، وقدري حافظ طوقان في بحثه (مقام العقل عند اخوان الصفا) ومحمد يونس الحسيني في مجلة الكلية واديب عباس في مجلة الرسالة المصرية ، وعبدالرسول الحبشي في مجلة العربي وعبدالحميد مرسي في بحثه (رسائل اخوان الصفاء) ومحمد سمير الهاشمي في بحثه (العلوم الطبيعية عند اخوان الصفاء) وعبد الحميد الدجيلي في مجلة (العربي) ومحمد كامل حسين في (الكاتب المصري) . والثاني ماكدونالد « Macdonald » ، وجاء (كازانوفا) Casanova فكتب عنهم في عام ١٩١٥ دراسة مفيدة ، وحذا حذو من سبقه من العلماء والمستشرقين (ماسينيون) « L. Massignon » فأتى في عام ١٩٢٩ على ذكرهم عندما بحث موضوع [الصوفية في الاسلام وفلسفة الغزالي] ثم أضاف دراسة ثانية مستقلة عن تاريخ وضع رسائل اخوان الصفاء ، وكذلك فعل « تريتون » « A. S. Tritton » و [ايفانوف] « ivanov » في العام نفسه والمستشرق [نيكلسون] R. A. Nicholson الذي اصدر عام ١٩٤١ بحثاً منفرداً عنهم في كامبريدج ، وكذلك فعل ايضاً (سترن) S. M. Stern فكتب دراسة مطولة عنهم اضافها الى موسوعة دائرة المعارف الاسلامية في اكسفورد ، وعند ذكر المستشرقين الذين بحثوا فلسفة اخوان الصفاء يجب ان لا ننسى (دي ساسي) De-sacy و (ستانيسلاس

غويارد) « Stanislas-Guyard » فكلاهما عالج الموضوع وجال في مجاله الواسع وخاض في بحره الزاخر ..

هذا من ناحية المستشرقين ، أمّا من ناحية الباحثين الشرقيين العرب فقد كان أول من عالج موضوع اخوان الصفاء العلامة المرحوم احمد زكي باشا ثم ظهر للعلامة المرحوم محمد كرد علي دراسة عنهم في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وبعد ذلك برزت المقدمة التي كتبها في عام ١٩٢٨ الدكتور طه حسين في الصفحات الأولى من الرسائل ، وفي عام ١٩٤٥ كتب دراسة مطولة عنهم الدكتور عمر فروخ ، وتبعه الاستاذ عمر دسوقي ثم الدكتور حسين همذاني ، الدكتور عبد اللطيف الطيباوي ، وفي عام ١٩٤٨ عالج موضوعهم الدكتور عادل عوا ، وفعل مثله الدكتور جبور عبد النور ، وجاء بعدهما الدكتور جميل صليبا فحقق ونشر رسالة « الجامعة » لاخوان الصفاء ، ويعتبر ايضاً الدكتور محمد غلاب الذي كتب بحثاً عنهم في مجلة المشرق عام ١٩٤٥ ، والأب يوحنا قمير في العام نفسه الأب يوحنا الفاخوري عام ١٩٤٧ من الذين خاضوا بحر هذا الموضوع، وكل هذا بالإضافة الى ما كتب عنهم في دوائر المعارف الدولية سواء البريطانية او التركية او الافرنسية او الروسية او الالمانية .... ومهما يكن من أمر فلا يسعني وانا أردد أسماء هؤلاء الأعلام والباحثين وفيهم ويا للأسف من قد اصبح في عداد الأموات الا ان انحني بخشوع أمام ذكراهم الخالدة ، فهم قد تعبوا وجدوا وخاضوا في مجالات الفكر الزاخرة بالعلوم والمعارف محاولين قطع سهولها الشاسعة المليئة بالظلال والأنوار والخيرات ، راغبين سبر غور قضية عامة مستعصية والوصول الى حقيقة محتجبة وراء سجف الغيب ، وسواء اكتب لهم النجاح في مسعاهم او الفشل في جهودهم فهم قد استحقوا الثواب والثناء وتقدير الفكر الانساني ... وان واجبنا ان نذكرهم بالخير وان نقدس هذه الذكرى العاطرة ، وان ننحني أمامها بصمت وإجلال واحترام .

لقد سبق لي ان بينت في أكثر من دراسة كتبتها عن الموضوع الذي نحن بصدده بأنه لا يمكن للباحث في رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء مهما اوتي

من علم وذكاء وفهم ان يفي الموضوع حقه وان يسلك السبيل المؤدي الى الهدف الأسمى والغاية المثلى ، ما لم يضع نصب عينيه المصادر الاسماعيلية التي تؤلف عنصر الموضوع والتي هي متممة له وذات ارتباط كلي بفصوله وأبوابه وموضوعاته ، وهذه المصادر جميعها كانت مفقودة وبعيدة عن متناول ايدي العلماء وان ظهورها من كهف تقيتها لم يتعد سنين معدودة وهذا هو عذر الباحثين الذين لم يقدر لهم الاطلاع عليها والتعمق في دراستها ومقابلة نصوصها الفلسفية ، وفي الحقيقة على ضوء هذه المصادر نستطيع ان نقول بأن اخوان الصفاء وخلان الوفاء هم الأساس والدعائم التي شاد عليها الاسماعيليون بناء فلسفة عقيدتهم وأضيف على ذلك بالقول بأن هذه الفلسفة كانت اول بذرة عربية نمت وترعرعت في ظل الفكر الاسلامي وهذه بعض الأدلة :

قال المستشرق كازانوفا « Casanova »

« اؤكد ان آراء الأسماعيلية توجد كلها في رسائل اخوان الصفاء ».

وقال ديمفروميري « M.C. Demfromery » :

« ان زعيم الاسماعيلية سنان بن سليمان الملقب براشد الدين تناول علوم الفلسفة وأطال نظره في كتب الخلاف وأكب على مطالعة اخوان الصفاء » .

وقال ماكدونالد « Macdonald » :

« لقد تلقى الأسماعيليون تعاليم اخوان الصفاء وزادوا فيها في حصونهم الجبلية ومقر قواهم » .

وقال ماكدونالد «Macdonald» أيضاً :

« يجب ان نكون على ذكر من ان الاسماعيليين لم يكونوا عصابات من اللصوص تنشر الرعب بأساليبها الشنيعة ولكن كلا الفرعين الشرقي والغربي قد عكف على العلم وربما وجد في حصونهم الجبلية اشد انواع العناء في طلب العلم الصحيح وحينما استولى المغول على قلعة « ألموت » وجدوها غنية برسائل اخوان الصفاء » .

وقال الدكتور عبد اللطيف الطيباوي :

« لا اراني مصيباً في القول بأن فلسفة الاسماعيلية جميعها مبثوثة في رسائل اخوان الصفا فمن الجور ان يُرمى الاسماعيليون بالكفر والانحطاط الخلقي كما جاء في فتوى ابن تيميَّة » .

وقال المؤرخ اليمني الكبير (ادريس عماد الدين) المتوفي عام ٨٧٢ هـ في المجلد الرابع من كتابه عيون الاخبار صفحة ٢٢٩ :

« وقام الإمام التقي احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن ابي طالب بعد ابيه بأمر الإمامة وبث دعاته في الآفاق من « سلميَّة » واتصل به الدعاة ودعوا اليه وهم مخذون لمقامه كاتمون لاسمه ، وكان المأمون حين احتال على « علي بن موسى الرضي بن جعفر » ظن ان امر الله قد انقطع وحجته عن الارض قد ارتفعت فحين ظن المأمون العباسي ذلك الظن ووهم ذلك الوهم سعى في تبديل شريعة (محمد) وتغييرها وان يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين فخشي الإمام ان يميل الناس الى ما زخرف المأمون عن شريعة جده فألف رسائل اخوان الصفاء » .... [وهنا توجد ملاحظة جديرة بالانتباه وهي ان احمد بن عبد الله مات قبل ان يتسنى له اتمام تأليف كتاب الرسائل ولدينا ما يثبت ان الذي اتم تأليفها فيما بعد ولده عبد الله » ...

وذكر مؤلف كتاب «عيون الاخبار» ايضاً فهرست الرسائل على التمام فقال:

« هذه فهرست الرسائل التي ألفها « الإمام » وقد جمع فيها انواع العلوم الفلسفية والهندسية وجعل الجامعة هي منها الغاية التي يتبين منها المراد ويتضح المعنى للمرتاد وقصدها على خلصاء شيعته وخيرة خاصته وانما ألف الإمام احمد تلك الرسائل لتقوم الحجة على المأمون وأتباعه حين انحرفوا عن علم النبوة » .

وقال الفقيه الكبير شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة المتوفي عام ٨٣٤ هجري في رسالته الموسومة « الموقظة » :

« حتى هم المتسمي بالمأمون ان يرد الأمة الى دين القول بالنجوم وقال: ما جاء محمد الا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر وليُّ الله وابن رسول الله رسائل اخوان الصفاء وفيها ما تحير به جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو في كهف التقية مستتر ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر » .

وقال السيد غلام احمد القادياني في رسالة [العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا] ما يلي :

« ولما خشي السيد احمد بن عبد الله ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلسفة الف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفة والشريعة » .

وجاء في كتاب قلائد الجواهر المصنف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

« ان العلامة الفهامة « احمد بن عبد الله » هو مصنف اثنين وخمسين رسالة موسومة بإخوان الصفاء » . وقال الفقيه الكبير العلامة القاضي النعمان بن حيون المغربي التميمي في رسالته المذهبة صفحة — ٧٢ — ما يلي :

« ان الأئمة المستورين هم : عبد الله، واحمد، والحسين، والدعاة الاربعة مؤلفو رسائل اخوان الصفاء وهم : عبدالله بن حمدان ، وعبدالله بن سعيد ، وعبد الله ابن ميمون ، وعبد الله بن مبارك .

وقال القفطي بكتابه تاريخ الحكماء .

« لمَّا كتم مصنفوها اي « الرسائل » اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكلٌ قوم قالوا بطريق الحدس والتخمين وقوم قالوا هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب » .

وانتقل بعد هذا الى ذكر مصدر من اهم المصادر عن اخوان الصفاء اورده.

المؤرخ نور الدين احمد عام (٨٨٥) هجري في بلدة مصياف بكتابه « فصول وأخبار » وهذا هو بنصه الحرفي :

[بعدان اشتد الضغط على الامام السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب خرج من المدينة إلى الكوفة مصحوباً بأخيه علي وقد ظل فيهـا مدة من الزمن متستراً عن العيون بعيداً عن الأرصاد وولد له فيهـا ولداً سمـاه « عبد الله » ومن الكوفة سار الى الري واستقر عند احد دعاته السريين المسمى « اسحق بن عباس » وكان يشغل منصب حاكم الري من قبل العباسيين وبعد مدة من الزمن قال له اسحق يا مولاي إن العباسيين قد بثوا العيون في كل مكان وأخشى عليك منهم فان رأيت أن تخرج إلى الجبل وتعتصم بقلعـة « نهاوند » عند تابعك « منصور بن حوشد » فعمل بإشارته وبعد ذهـابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذاباً شديداً ويروى انه مات تحت السياط دون ان يدل على مكان الإمام ، ولما لم يعرف الرشيد من امره شيئاً ارسل القائد « محمد الخرساني » ومعه جيش كبير من الترك والكرد للتفتيش ثم القبض عليه فلما وصل الى « نهاوند » دخل مسجدها فرأى الإمام مسنداً ظهره إلى المحراب وبين يديه رجلان يعلمهما اصول الدين فلم يتمالك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني أمـامه ويقبل ايديه ثم اعلمه سراً بضرورة سفره من « نهاوند » لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظل فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام متستراً الى بلدة « سابور » ومنها الى « فرغانة » وبعد ذلك إلى « معسكر مكرم » وهنالك نص على إمامة ولده « عبدالله بن محمد » ولقبه « بأحمد الوفي » وبعد موته استلم الامامة ولده [عبدالله] في عام ١٦٩ هجري وازداد في التستر والخفـاء وخرج سراً من « عسكر مكرم » الى « زانهر » ومنها الى « الديلم » وهنالك تزوج بامرأة من الاسرة العلوية يسمى والدها « الأمير علي الهمذاني » ورزق منهـا ولداً سماه « أحمد بن عبدالله » الملقب (بالتقي) ثم ان دعوته انتشرت انتشاراً واسعـاً واستجاب له خلق كثير العدد في بلاد العرب والعراق وفارس وسوريا ولكن

الضغط اشتد عليه من قبل « المأمون العباسي » فاضطر إلى مغادرة « الديلم » سراً قاصداً مدينة « معرة النعمان » قرب حلب وأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك الى مدينة « سلميَّة » قرب حمص ومنهـا انتقل الى بلدة « مصياف » ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها المسمى « مشهد » عام ٢١٢ هجرية وبعد ذلك استلم شؤون الإمامة ولده [احمد بن عبدالله] الملقب بالتقي وقد كان سريع التنقل من المعرة الى حماه الى حمص الى الشام الى مصياف وغيرهـا من القرى السورية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ولما علم بمـا آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » مع دعاته الأربعة وهم امناء سره واعضاء مجلسه الأعلى الذين يعيشون بالكتمان الشديد والسرية التامة وهم : عبدالله بن حمدان ، وعبدالله بن ميمون ، وعبدالله بن مبارك ، وعبدالله بن سعيد .]

وهذا مصدر آخر وأخير أورده العالم الكبير « ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة السرميني الحلبي المتوفي عام (٤٧٠) هجرية في رسالته الموسومـة « الاصول والأحكام » قال :

[فلما انتقل محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور احمد الوفي وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين لأن زمانه كان زمان فترة ومحنـة وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم حسداً وبغضاً لأولياء الله تعالى فأوجب ذلك الاستتـار المعروف للأئمة وكني الدعاة بأسمائهم تقية عليهم ممّا هم فيه وتاه اولو الضلال حتى قالوا ان الإمـام من ولد محمد بن اسماعيل هو [عبد الله بن ميمون القداح] المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه عبد الله بن سعيد ، او عبدالله بن مبارك ، او عبدالله ابن حمدان وان هؤلاء الأربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنتا وخمسون رسالة] .

لا بد ان تكون هذه المصادر التاريخية كافية للتدليل على ما سبق قوله بأن رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء تمثل الأفكار الاسماعيلية تمام التمثيل وانهـا

ولا جدال من وضع الدعاة الاسماعيليين الذين ذكرنا اسماءهم وبعد هذا البيان لم تبق أية قيمة تاريخية او علمية لما ذكره [ابو حيان التوحيدي] عن زيد بن والبستي والمقدسي والزنجاني والمهرجاني والعوفي الذين اعتبرهم ابو حيان وغيره من الباحثين الذين ساروا على طريقته مؤلفي الرسائل في القرن الرابع الهجري والحقيقة ان هؤلاء قد عاشوا بعصر متأخر عن عصر اخوان الصفاء الحقيقيين المؤسسين وهم وان يكونوا من الاسماعيليين الذين اتخذوا نفس الاسم ونهجوا نفس النهج الا انهم ليسوا واضعي كتاب الرسائل ومهما يكن من أمر فلدينا دليل آخر يلقي نوراً ساطعاً على الموضوع وهو ان الإمام عبد الله عندما وضع رسائل أخوان الصفاء جعل عددها – ٥٢ – رسالة لحكمة فلسفية وتأويلية يقول بها وتقضي بأن رسائل اخوان الصفاء دائرة علمية ناموسية حقيقية ، ويجب ان يكون في الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية كما أن في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية ولهذا جعل عددها ٥٢ رسالة مطابقاً لعدد ركعات الصلوات الخمس وهذا العدد نفسه جاء مطابقاً لعدد حروف اسم مؤلف الكتاب بحساب الجمل على هذه الصورة :

ع ب د ا ل ل ه ب ن م ح م د : عبد الله بن محمد

٧ ٢ ٤ ١ ٣ ٣ ٥ ٢ ٥ ٤ ٨ ٤ ٤ : ٥٢

والآن فلنأخذ أدلة أخرى من رسائل اخوان الصفاء نفسها فقد جاء بالجزء الثالث في الصفحة ١٩٨ ما يلي :

[ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علام بالفعل وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة في الهيولى بالتحريك لها وبعدها الهيولى الأولى وهي جوهرة بسيطة — روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة فيه وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلية سارية في جميع الأجسام مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة وبعدها

الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية وبعدها عالم الأفلاك وبعدها العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض وبعدها المعادن والنبات والحيوان] .

وجاء في الجزء الثالث في الصفحة ١٧٨ ما يلي :

[فالعقل هو أول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم أوجد النفس بواسطة العقل ثم أوجد الهيولى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل] .

هذا هو ترتيب عالم الإبداع لدى اخوان الصفاء كما جاء برسائلهم ويقابل هذا العالم عوالم ثلاثة كل واحد منها ممثول للاثنين الآخرين وهي : عالم الاجرام السماوية ، وعالم الأجسام ، وعالم الدين ، ومهما يكن من شيء فإن جميع دعاة الاسماعيلية الذين دونوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصلوه تفصيلاً بديعاً شيقاً ، واني أؤكد بأنني قرأت بإمعان وروية جميع ما تركه — المؤيد في الدين الشيرازي [داعي الدعاة] ومنصور اليمني ، والقاضي النعمان بن حيون المغربي ، وأبو يعقوب السجستاني ، وحميد الدين الكرماني ، وأبو حاتم الرازي ، والنخشبي ، والنسفي وغيره من فلاسفة الاسماعيلية من مؤلفات فلم أجد أحداً منهم خالف هذا الترتيب أو شذ عن هذه القواعد ، فاخوان الصفاء قالوا عن الموجود الأول انه العقل الفعال وأيدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) ، أما الكرماني فقد اطلق عليه اسم العقل الأول وسماه السجستاني السابق وقال غيره العقل ، وأطلق عليه بعض الدعاة الموجود الأول او الكاف ، اما الموجود الثاني فقد سماه اخوان الصفاء النفس الكلية ، وأطلق عليه الكرماني اسم المنبعث الأول وجاء غيره فقال عنه التالي او اللوح وسماه بعضهم المبدع الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الحدان) و [الأصلان] . أما ترتيب عالم الإبداع العلوي فقد جعله الكرماني كما يلي :

ان الحد الأول هو الاول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود والتام في الوجود والعقل الأول والحد الاول والمبدع الأول ، وقال عن الثـاني المنبعث الأول او العقل الثـاني وقال عن الثـالث المنبعث الثـاني من الأول وهو الهيولى والصورة ، ثم نرى الكرماني ينتقـل ليشرح الموضوع ويفصله فيقول :

أنه يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعـة بأفلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعـة يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان إلى مـا عنه وجدت وهو الملائكة ويرجع جسمه الى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرماني ايضاً ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الابداع والانبعاث الذين يذكرهما ويحلهما محل الفيض الذي يقول فيـه افلاطون ، فمن الممكن أن نلتمس لهما وجه شبه لعله اظهر ما يكون بين الكرماني وبين اخوان الصفاء ولكن الظاهر ان القول بالإبداع والانبعاث وبالمبدع والمنبعث نراه شائعاً عند رسائل أخوان الصفاء كمثل ما نراه شائعاً في كتاب [راحة العقل] للكرماني ، ونجد ايضاً ان مذهب الكرماني في وجود العقل الأول على طريق الانبعاث هو عينه ما يذهب اليه اخوان الصفاء من العقل الفعـال له الإبداع الأول والخلق الأكمل وان النفس الكلية هي الإبداع الثـاني او المنبعث الاول ، ولا يختلف اخوان الصفاء عن الكرماني إلا في تسمية الحدود كما قلنا فهم يطلقون على الإبداع الأول اسم العقل الفعال في حين يطلق عليه الكرماني اسم العقل الثاني او المنبعث الأول وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرماني واخوان الصفاء ، وانما هنالك مسائل اخرى تتصل بمراتب الوجود ومراكز العقول وما يقابلها من ترتيب الافلاك والاجرام وحدود عالم الدين وهذه وكثير غيرها من المسائل الفلسفيه وما يمتزج بهـا من عقائد الدعوة الاسماعيلية يقع فيه التشابه بين اخوان الصفاء وبين الكرماني وان هذا التشابـه ليقوى ويأخذ طريقه ويظهر ويتضح إلى ان يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلاً

عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا معه ان الكرماني لم يكن متأثراً باخوان الصفاء فحسب ولا متفقاً معهم فيما يذهبون اليه من الآراء والاعتقادات وانمـا هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقلدهم ويصطنع الفاظهم وعباراتهم ويعتبرهم اسياده ومؤسسي دعوته وأئمته ، ولعلنا لو أردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الإيجاز وعددنا جميع النقاط والارقام ولكن يكفي أن نشير الى ما يصطنعه الكرماني في اوائل مشارع كتابه (راحة العقل) او في أواخره من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان الصفاء في اوائل رسائلهم او في اواخرها فهو يقول مثلاً :

« سيكون الحلّ هذا الرمز عند اصحاب الصنعة ... ومن يكون اخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عيدٌ كبيرٌ » ... ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الإخوان المخلصين في دار القدس » ...

ويقول :

« وعلى جماعة اخواننا التابعين لنا في اعتقادنا »

وكل هذا ردده اخوان الصفاء فقالوا :

« اعلم ايها الأخ البار الرحيم »

« واعلم يا اخي ايدك الله وأيانا بروح منه »

« ووفقك الله وأيانا وجميع اخوانـنـا طريق السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد » .

لقد عرضنا الى ترتيب الحدود العلوية لدى الكرماني وهو احد كبار الدعوة الاسماعيلية كما اننا نورد رأي عالم كبير بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان الصفـاء وأثبت انه من مدرستهم ومن حافظي تعاليمهم وهو المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) في عهد المستنصر بالله الفاطمي ومناظر ابي العلاء المعري اذ يقول في مطلع القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديعُ شكرٍ ووسيعُ حمدٍ لمبدعِ الكافِ الرفيعِ المجدِ
اكمله سبحـــانه اذ ابدعه مبتدعاً واخترع النون معه »

والمعنى ان الله ابدع الكافَ ومركزُهُ مركز العقل واخترع النون ومركزه مركز النفس، وان من الكاف والنونَ اقام العالمينَ العلوي والسفلي وهذه الرموز والكنايات لا يدرك اسرارها ومراتبها إلا المتعمقون بدراسة اصول هذه الفلسفة، وهكذا اتفق دعاة الاسماعيلية مع اخوان الصفـــاء على القول بأن العقل أول الموجودات واخوان الصفـاء قالوا : ان العقل هو اول موجود فاض من وجود البـــاري والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة وقالوا في موضع آخر : « واعلم يا أخي ان العقل انمـا قبل فيض الباري تعالى وفضائله الذي هو البقاء والتمام دفعة واحدة بلا زمانـ ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته فأما النفس فأنه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل. فالكرماني والمؤيد في الدين وإخوان الصفاء قالوا بأن العقل اول الموجودات وهذا العقل الاول هو الذي أشار اليه الله تعالى بالقلم وسماه الكرمـاني المبدع الأول او الواحد الذي لا يتقدمـــه شيء وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الإلهية والشريعـة النبوية بالقلم ، وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة في المجالس المؤيدية صفحة ١٠٩ :

« والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه وبذلك سبب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية واذا رجعنا الى رأي الفارابي في القلم نراه قريباً من رأي الاسماعيلية إذ كان يرى ان القـلم واللوح من الملائكة الروحانيين وهذا ما قاله في رسالة نصوص الحكم المطبوعة في ليدن عام ١٨٩٠ :

« لا تظن ان القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني ايضاً » وهكذا فإن القلم هو العقـــل الكلي او المبدع الأول واللوح هو النفس الكلية او المنبعث الأول في رأي الفارابي الذي لا يختلف عن رأي اخوان الصفاء في ترتيب الحدود والعقول ، ولا يسعنا

بعد ان وصلنا الى هذا الحد لا بد لنا من ان نشرك الفيلسوف ابو يعقوب السجستاني بالبحث ونستمع الى رأيه بالحدود العلوية قال :

ان الباري تعالى لم يوجد في أول الخلقة غير العقـل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء ويقال للعقل العرش اي انه مقر لمن جلس عليـــه وبجلوسه عليه تعرف جلالته عمن هو منحط دونه ويقال للعقل الأول ومعناه ان الاولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ممّا هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها اوجد ذلك الشيء ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل اسبق لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها بـــه وهي العلم والأمر اللذان هما بمعنى واحد وقد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقـــة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ، ويقال للعقل القضاء على ان بالعقل تقضي النفس ادراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ويجوز على أن العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ويقال للعقل أيضاً الهيولى فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل الشمس ومعناه ان بالعقل تبصر الحقائق ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ويقال للنفس اللوح فمعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطر في النفس ومن النفس يتصل بجريانها المنبعث منها على مقدار صفائها ولطافتها ويقال للنفس الملك ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقينه لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما ان بالملك تظهر فضيلة الملك، ويقال للنفس الثاني فمعناها انها الحال الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم اشياءهم إنما تفضيل النفس بين كل شيء ليكون للسلوك والمنطق عبارة ويقال للنفس التـــالي فمعناه ان الذي يتلو العقل في قبول آثار الكلمة انما هي النفس ويجوز على ان النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ويقال للنفس القدر فمعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقـــل فان التقدير والتحديد

محيطان به ويقــال للنفس الصورة ومعنى ذلك ان النفس تصورت من جوهر العقل وضيائه وانها متى همت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما ان القمر نوره من نور الشمس واذا اجتمعا في المنزلة محقت نوره ويقــال للعقل والنفس بكلمة واحدة الأصلان .

وهذه ناحية اخرى هامة تزيد الموضوع توضيحــاً وتأكيداً وهي نظرية التأويل الباطني لدى اخوان الصفاء والاسماعيلية فقد جاء اخوان الصفاء في الجزء الأول من الرسائل صحيفة (٧٨) يقولون :

أن الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً خفياً لا يخفى وبعضها خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظــاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضهــا ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس ايضاً امور الدنيــا ومن الموجودات الباطنة الخفية عن اكثر العقول امور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهراً جلياً دليلاً على الباطن الخفي » .

وجاء أيضاً في الجزء الأول من الرسائل صحيفة (٢٥٥) ما يلي :

« واعلم يا أخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهراً وباطناً وظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله أحكام وحدود ظاهرة بينة يعلمهــا اهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعــام ولأحكامه وحدوده اسرار وبواطن لا يعرفها الا الخواص منهم والراسخون في العلم » .

ولنستمع الى المؤيد في الدين يؤيد ما ذهب اليه اخوان الصفاء في مجالسه المؤيدة جزء (١) مجلس ١٦ فيقول :

« اعلم يا أخي ان لكل شيء من الموجودات في العالم ظاهراً وباطناً فظواهر الامور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وقد سئل الامــام جعفر الصادق عن اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الإيضاح والإظهار فأجاب :

هي الحاجة إلى اتخــاذ الحب من أغطية السنابل والثمار في الأغشية ليؤم لاستخلاصها ذوو البصائر والأبصار فبين الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد في الدين قول جعفر الصادق شعراً :

« ورُبَّ معنى ضمَّهُ كلامُ   كمثل نورٍ ضمَّهُ ظلامُ
باقٍ بقاء الحب في السنابل   في معقل من أحرز المعاقل»

وأخيراً لا بد من الإشارة والوقوف عند ناحية التأويل لدى اخوان الصفاء إذ انه من الملاحظ ان رسائلهم جاءت زاخرة بالرموز والكنــايات والإشارات الخفية التي يحتاج بيانها الى معرفة تامة بالتأويل البــاطني ولنأخذ مثلاً على ذلك ما جاء في الجزء الأول صحيفة (٦٣٢) من رسالتهم الجامعة :

وقد ذكرت الحكمــاءُ ان العلمَ متوجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الاخبار عن الاشياء كلها وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه اقام لإبلاغ رسالته وبيان موعظته وتعليم آياته وصفحات موجزاته اثني عشر رجلاً من اجلة اصحابه وأقاربه وأهل بيته ليبلغوا عما ارسل به الى امته ويعينوه على اظهار دعوته ثم ينبث كل واحد منهم رجــالاً عدة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل كما ينبث منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود ما يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من حواسه وأعمــاله وما يترتب من صنائعه وكلامه وألفاظه مما لا يعلمه إلا الله تعالى وما يتكون في الاقاليم السبعة والجزائر الاثني عشر كذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات مما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على اهل العالم ، وكذلك الرئيس السابع الآتي في آخر الزمــان سيد (اخوان الصفــاء) هو المحيط بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السعادات » .

ان هذا النص يزخر بالتعاليم الفلسفية الاسماعيلية الأصيلة التي جاءت تفصّل مراتب عالم الدين بقولها ان الدعوة الامامية الهادية تقوم على اثني عشر داع ، كل داع منهم يرأس جزيرة وهذه الجزائر عددهـا اثني عشر كعدد بروج السماء او بعدد أضلاع الانسان ، او كعدد الثقوب الموجودة في الجسم او كالاثني عشر شهراً الذين يؤلفون السنة او كالاثني عشر ساعة التي يتألف منها الليل والنهار وكل هذا مطابقاً لما جـاء في الآية القرآنية الكريمة [وضرب موسى بعصاه الحجر فانفجر منها اثنتا عشرة عيناً ...] ويأتي بعد هذا العدد السابع وقد انتسبت الاسماعيلية اليه فعرفت في فترة ما بالفرقة « السبعية » نسبة الى العدد السابع الذي ينطبق كما يلي :

الله خالق الكون بستة ايام ثم استوى على العرش باليوم السابع ، وأن عدد السموات سبع والكواكب النيرات سبع والأقاليم الأرضية سبع والبحـار سبع ، كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية وان عدد الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة سبع ، وان أيام الأسبوع سبعة وعدد الانبياء النطقاء بالرسالة ستة وقائمهم المنتظر سبعة واسسهم ستة وأساس القائم معهم سبعة ، وان الإدراكات العقلية مقسمة الى سبع وفي جسم الانسان سبعة جواهر يقابلها سبع قوى مستورة عليها قوام الجسم وان أركان الدين قائمة أيضاً على سبعة.... وعلينا بعد ان وصلنا إلى هذا الحد ان نمر بلمحة عابرة على أهم رسالة بكتاب اخوان الصفاء تضمنت الرموز والكنايات والتعابير المستورة وجميعهـا جاءت على لسان الحيوانات ، وقد مر كافة الذين عالجوا موضوع رسائل اخوان الصفاء على هذه الرسالة فلم يعرفونا عن الغـاية من وضعها ولماذا ؟ وقد جاء في هذه الرسالة بالجزء الثالث ما يلي :

« ثم انه وليَ على بني الجان ملك في جزيرة « صاغون » الى ان جاء مركب الى الساحل فخرج من فيه الى الجزيرة افرادها متآلفة بعضهـا مستأنسة غير متنافرة وهؤلاء القوم استوطنوا تلك الارض واعجبوا بما فيهـا ثم انهم اخذوا يتعرضون للبهائم ولتلك الانعام يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها اثقالهم فنفرت

منهم وهربت وذهبت الى ملك الجن فشكت اليه فأرسل ملك الجن اليهم رسولاً ودعاهم الى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعين من بلدان شتى ثم اوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة ايام فقال لهم لماذا جئتم الى جزيرتنا بدون دعوة فقال قائل منهم : سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا ليُسمع كلامنا ويُحكم بيننـا وبين عبيدنا الآبقين المنكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم » .

جزيرة « صاغون » على حد اعتقاد وتعبير اخوان الصفاء هي مدينة (اهل الخير) التي ردد اخوان الصفـاء ذكرها اكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو علم الحقيقة والسفينة هي الدعوة الإمامية سواء اكانت ظاهرة للعيان أم مستورة عن الانظار ، وركاب السفينة هم أهل الدعوة الذين لا يدينون إلا بظاهر العلوم دون باطنها ، وقد جاء ان عددهم عندما جاءوا الى صاغون كان سبعين رجلا وهذا معناه ان السفينة قد حملت ممثلين عن جميع الفرق الاسلامية المذكورة بالحديث النبوي القائل : « ستنقسم امتي الى ثلاث وسبعين فرقة اثنتين وسبعين هالكة وواحدة ناجية ... والواضح ان ركاب السفينة عندما تاهوا في عرض البحر وتقاذفتهم الأمواج الصاخبة وفي التأويل انهم عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم أمواج الضلال رمتهم الأقدار بجزيرة صاغون وهي بلدة أهل الخير أو « المدينة الفاضلة » على حد تعبير الفارابي وقد وجدوا فيها الحيـاة على غاية ما يرام ولكن اهالي الجزيرة نفروا منهم لأنهم مؤمنون وهم ضالون وذهبوا الى ملك الجن الذي هو رئيس مدينتهم وسيد اخوان الصفاء فعرضوا الأمر عليه وطلبوا اخراج اصحاب السفينة الضالة الذين جاءوا ليفسدوا عليهم حياتهم ويتحكموا بمقدراتهم فطلبهم رئيس المدينة للمحاكمة وعندما وصلوا لم يسمح لهم بالدخول الا بعد ثلاثة ايام وفي التأويل انه لم يأذن لهم الا بعد أن انضمت اليهم الفرق الثلاثة الأخرى فأصبح عددهم ثلاثة وسبعين تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم وبين رجال الفرقة الناجية المؤمنين أصحاب مدينة أهل الخير كما هومفصل برسالة الحيوانات .

هذا ما اتسع له الوقت للتحدث عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء وأسمائهم وزمانهم وفلسفتهم ... وكم كنا نتمنى لو ان هناك فرصة تسمح لنا بالتحليق في اجوائهم والدخول الى مدينتهم اذن لأخذنا بعجائبها وفتنا بمناظرهـــا وتنعمنا بروائعها وتفيأنا بظلال أشجار حدائقها ذات الورود العطرة والأثمـار الناضجة والينابيع الثرة الدافقة .

والحقيقة إن في مملكة الفكر الاسماعيلي كنوزاً فلسفية ثمينة وحكمـاً نادرة جديرة بالبحث والدراسة والتنقيب فهي تمثل وجه فلسفتنا العربية اصدق تمثيل، وان الواجب يدعونا ان نتفرغ لدراسة هذا التراث الفكري الضخم الذي خلفه لنا الأجداد ونتوفر على استخراج جواهره الفكرية من مخابئها على ضوء التطور الفكري الحديث والتقدم العلمي السريع متتبعين سير ركب المدنية العصريـة سائرين وراء قافلة الحضارة العالمية في السبيل السوي القويم ...

عارف تامر

بيروت — لبنان

١٩٦٠

« تمهيد »

في سنة ١٩٣٨م أي منذ اثنين وعشرين عاماً حتى الآن كنت أقوم بتدريس اللغة الاردية بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وكانت الاعمال الادبية والثقـافية تملأ فراغ وقتي إذ كانت لديّ ثروة من الكتب الفاطمية النادرة ومن بينهـا ثماني مخطوطات لديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، ثم علمت ان العيد الألفي للقاهرة والازهر ستقام حفلاته في مصر في وقت قريب . فبدا لي أن أتقدم إلى هذا العيد بأجل تذكار ادبي يرجع إلى ذلك العهد البعيد في التاريخ وهو هذا الديوان الذي صنفه أكبر أنجال الخليفة المعز لدين الله الفـاطمي الذي يرجع الفضل اليه في بناء هذه المدينة العظمى والجامعة الأزهرية التي طبقت شهرتها الخافقين ، فقمت يومئذ بمقارنة بين هذه المخطوطات التي جمعتهـا من مكتبات الشرق والغرب حتى انتهيت منها الى نسخة أعتقد انها أصح النسخ وأدناها إلى الصواب فافردتها بالتصحيح والمراجعة وشرحت الكثير من ابياتهـا وقدمت للديوان بمقدمة ضمنتها دراسة أدبية وتاريخية عن حياة الفاطميين . وما كاد أمر هذا الديوان يتسامع به الناشرون حتى وفد إليّ كثيرون منهم يطلبون أن يتولوا نشرها ، وكان لكل منهم وسيلته المادية التي عرضها ولكني تقدمت إلى دار الكتب المصرية وآثرتها بطلب نشر الكتاب لما كان يملأ نفسي من ثقة بحسن طباعتها ودقة تصحيحهـا ، ولم يعنني شيء أهم من صون هذا الكتاب وإبرازه في صورة شائقة وطبع أنيق . وكانت نتيجة ذلك ان انعقـد مجلس الدار وقرر طبع الديوان مع مقدماته وحواشيه ، وأعلنت الصحف يومئذ هذا النبأ الأدبي واستقبلته الاوساط الثقافية في مصر والشرق بالمزيد من الترحيب. ثم بدأ العمل

في طبعه بصفة جدية . وكانت الدار ترسل إلي التجارب لمراجعتها ، وانتهت
في ذلك إلى صحيفة (١٠٦) وهي ما تزال تحت يدي ثم كانت الحرب العالمية
الثانية فتوقف العمل ، وسافرت على اثر ذلك إلى الهند ولما وضعت الحرب
أوزارها أخذت أراسل المسؤولين في الدار وعبثاً حاولت أن أتلقى جواباً
مقنعاً .. حتى لم أجد مناصاً من الحضور بنفسي الى القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

ولما اتصلت بادارة الدار كنت أتلقى إجابات غامضة فهمت منها ان نسخة
الديوان مفقودة .

ثم بذلت المحاولات وأعيد الطبع من جديد ، وأخذت مرة أخرى أتسلم
التجارب وأراجعها ، حتى وصلنا الى نفس المرحلة السابقة أعني صفحة (١٠٦)
وهو ايضاً تحت يدي .. ثم وعدتني الإدارة بالمضي في الطبع على أن ترسل
الأوراق والتجارب اليّ حيث أقيم في باكستان ، ثم مضيت الى كراتشي وبدأت
أعاود المكاتبة ولكني لم أتلق رداً مدى ثمانية أعوام .

ورأيت للمرة الثالثة ان أزور القاهرة لاتولى بنفسي الاشراف على نشر الديوان
ولما زرت دار الكتب المصرية وجدت الديوان وقد كمل طبعه وتم نشره دون
أن أجد اسمي على الكتاب كما كان يقتضيه الاتفاق السابق ، وكما هو الشأن في
سائر المطبوعات ، واكتفت الدار بان تنوه باسمي في فاتحته ، أما المقدمة
الدراسية التي جعلتها تمهيداً للديوان وتفسيراً تاريخياً لحياة هذه الاسرة فلم يكن
لها وجود ولم أعرف السبب في اهمالها .

ولذلك أجد ان الواجب يدعوني لاعادة طبع مختارات من الديوان مع المقدمة
الآنفة الذكر حرصاً مني على خدمة التاريخ ونفع القارئين ، مقدماً للقراء صورة
ن واقعنا الذي نعيش فيه ، وعن اسلوب لصوص الادب الذين يسرقون انتاج
غيرهم وينسبونه اليهم ضاربين بالقيم والاخلاق عرض الحائط فالى هؤلاء اللصوص
لعنة التاريخ وصفعة الاجيال .

محمد حسن الاعظمي

الفاطميون في حكم التاريخ

قبل أن أتحدث الى القراء عن تميم الشاعر يجمل بي أن أحدث عن تميم الأمير
وأحاول في موضوعي ان أعالج بيان الصلة الوثيقة بين حياته الشعرية وبيئته
الاجتماعية . واذا كانت شخصية تميم الاولى تبدو في عالم الأدب واضحة جلية .
وتتجلى في دولة البيان ساحرة طلية . فان شخصيته الثانية تبدو مثخنة بجروح
دامية من ظلم التاريخ بل من ظلم كتاب التاريخ الذين حاولوا أن يكدروا على
الفاطميين صفو فاطميتهم ويغلبوهم على أمر هاشميتهم . وكثيراً ما رأينا بعض
المتصدين لتحصيل الحوادث التاريخية تجري اقلامهم طوعاً لهواهم او لهوى غيرهم
بآراء ومتناقضات يخلقونها في أنفسهم تخييلا ويقدمونها الى العالم دليلا . وبهذا
تضطرب الآراء والافكار وتحتجب الشمس عن الانظار . على اني لا احاول أن
أقيم دولة الفاطميين في كلمتي هذه . ولكني أريد ان أضع حداً للمزاعم التي
طوقت باوهامها الخانقة عصراً يهم العالم الاسلامي ويعني المصريين وأبناء العرب
بوجه أخص واعتقادي ان للعوامل السياسية دخلاً كبيراً في القاء الظلام الحالك
على ضوء الحقيقة الساطع واطلاق الافاعي المهلكة في ربوات الروضة الغناء . ان
المؤرخ من هذا النوع واحد من ثلاثة رجال يطمع في مغانم الدولة فتراه يحسن
مثالبها ويطوي معايبها ويبتدع لها الاطراء المحكم والثناء المنمنم . حتى يقيم لها في
الفردوس بنياناً . ويستقل لها الجوزاء مكاناً . ورجل يحمله سلطان الحكومة على
الكيد لخصومها والزراية على أعدائها . فيبري من قلمه سهماً مسموماً يرسله
بالاغلاط والاوهام حتى يضعهم من كتابه في قفص الاتهام وثالث يجهل الحقائق
فيعمد الى الاباطيل ويعوزه البيان فيخلق الاضاليل ومن هؤلاء وأولئك وقعت

الاخطاء المتكررة في زمان . وانخدع بهم طلاب الانصاف ورواد الحقيقة بالرواية
عنهم والتأثر بهم . اذ يظنون قولهم فضـلاً وحكمهم عدلا . وبذلك تنشأ عن
الافراد والجماعات خرافات وخزعبلات تنمو مع الاجيال وتتضخم حتى ان
المنصفين أنفسهم قد يخطئون في تقدير أطوار الشعوب وتقلبات الامم ووضعها
الموضع الصحيح من التاريخ وذلك حين يحكمون بالحوادث الفردية على الحياة
الاجتماعية ويتخذون منها منطقاً يفرضون له النتائج والمقدمات . فان كثيراً ممن
ينتمون الى الفرق الاسلامية كانت لهم في حياتهم الشخصية نزوات وشذوذ
وكانت لهم آراء في المعتقدات لم يكتف المؤرخون بنقلها عنهم ولكنهم نسبوها
الى عقائد شيعتهم أو مذاهب فرقتهم وبهذا أصبحت تسمع ان في الشيعة مثلاً ما
يربو على مئات النحل والمذاهب فاذا حاولت ان تحصر هذه الطرق الكثيرة
والمذاهب العديدة اعياك البحث عن أصولها والوصول الى فروعها كما يطالعنا
بهذه الامثلة العديدة صاحب الملل والنحل وصاحب الفرق بين الفرق والعلامة
المقريزي .

ولقد قال العلامة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في كتاب « أعيان
الشيعة » ج ١ ص ٢٨ « يوجد في كتب الملل والنحل من تأليف غير الشيعة وفيما
ذكره المقريزي في خططه عند ذكر الفرق واختلاف عقائدها أسماء المسميات
ادرجوها في فرق الشيعة لم نسمع بها من غيرهم وبلغوا في تكثير فرقها حتى قال
بعضهم ان الثلاثة والسبعين فرقة أكثرها من الشيعة . وكأنهم لما نقص عليهم
العدد اضطروا الى اختراع فرق لا وجود لها ووضعوا لها اسماء من عندهم كما
سنبرهن على ذلك مع ان المقريزي الذي زعم ان فرقها بلغت الثلثمائة لم يستطع
أن يعد منها غير عشرين ؛ زعم انها المشهورة على اننا سنثبت ان جملة من هذه
العشرين مختلق مخترع . واننا وايم الله لنتحامى ونتجافى عن كل ما يستشم منه
التحيز ؛ ونبتعد جهدنا عن الرد والنقض ما أمكن . ولكن ما نصنع وقد طبع
من هذه الكتب الالوف وانتشرت في الآفاق وقرأها العام والخاص واعتقدها
الكثيرون صواباً حتى وصلت الى اهل هذا الزمان أمثال الرافعي وغيره وبنوا

عليها القصور والعلالي وأودعوها مؤلفاتهم وتصدوا لذم الشيعة فيها لمناسبة
وغير مناسبة ؛ وانكروا كل فضيلة لهم لاجل هذه النسب الباطلة . فالضرورة
واجب الدين وتمحيص الحق والمحاماة عنه المفروضة توجب علينا بيان ما فيها
من الباطل لا سيما وان السكوت عنها يعد كالاقرار بها سائلين من خلص اخواننا
الساعين في تأليف الكلمة ان يقبلوا عذرنا في ذلك قال المقريزي في خططه ..
ان فرق الرافضة بلغت ثلثمائة والمشهور منها عشرون وهي الأمامية (أقول)
مع ان جل هذه الفرق التي ذكرها هو وغيره لا يعرف لاسمائها مسميات حتى
في عصر ناقلها . فهي إما منقرضة او لم توجد في الدنيا . فوجودها وعدمها
لا يضرنا بعد ما كانت طائفتنا الامامية الاثنى عشرية منزهة عما زعم فيها .
انما نريد ان نلفت الانظار الى جملة منها نسبت عقائدها الى اجلاء أصحاب ائمة
أهل البيت وسقاتهم المنزهين في عقائدهم عما نسب اليها . وذلك دليل على انها
مختلقة مكذوبة بدون شك .

« منها الزرارية » قال المقريزي وقالت الزرارية اتباع زرارة بن أعين ..
الامام بعد جعفر ابنه عبدالله إلا انه سأله عن مسائل فلم يمكنه الجواب عنها
فادعى امامة موسى بن جعفر من بعد أبيه . ثم قال بعد نحو ورقة .. والفرقة
العاشرة الزرارية اتباع زراره بن أعين أحد الغلاة في الرفض . وزعم مع ذلك
ان الله تعالى لم يكن في الازل عالماً ولا قادراً حتى اكتسب لنفسه جميع
ذلك ... الخ وعد من فرق المشتبهة » .

(المشامية) قال اتباع هشام بن الحكم . ويقال لها ايضاً الحكمية . ومن
قولهم الاله تعالى كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه . قال (والجولقية)
اتباع هشام بن سالم الجولقي وهو من الرافضة ايضاً . ومن شنيع قوله ان الله
تعالى على صورة الانسان نصفه الأعلى مجوف ونصفه الاسفل مسمط وليس بلحم
ودم بل هو نور ساطع . وله خمس حواس كحواس الانسان ويد ورجل وفم
وعين واذن وشعر اسود . لا الفرج واللحية ثم قال (والفرقة التاسعة الهشامية)
وهم صنفان .. احدهما اتباع هشام بن الحكم والثاني اتباع هشام الجولقي وهما

يقولان لا تجوز المعصية على الامام . وتجوز على الانبياء وان محمداً عصى ربه في اخذ الفداء من اسرى بدر . قال :

(**والمفضلية**) اتباع المفضل بن عمر ، قالت الامام بعد جعفر ابنه موسى وانه مات فانتقلت الامامة الى ابنه محمد بن موسى . قال :

(واليونسية) اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي . وكلهم من الروافض . ثم **قال** : والخامسة عشرة اليونسية اتباع يونس بن عبد الله القمي احد الغلاة المشبهة فجعله تارة ابن عبد الرحمن وتارة ابن عبد الله . والصواب ابن عبد الرحمن والتعدد **معلوم** العدم . قال :

(والسابعة عشرة الشيطانية) اتباع محمد بن النعمان شيطان الطاق . فقد **شارك المعتزلة** والرافضة في جميع مذهبهم وانفرد باعظم الكفر قاتله الله ، وهو انما زعم ان الله لا يعلم الشيء حتى يقدره وقبل ذلك يستحيل علمه . وقال عند ذكر **الفرق** المعتزلة .. والفرقة العشرون من المعتزلة الشيطانية اتباع محمد بن **النعمان** المعروف بشيطان الطاق وهو من الروافض شارك كل من المعتزلة والروافض في بدعهم . وقلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي انفرد بطامة وهي ان الله لا يعلم الشيء إلا ما قدره واراده وأما قبل تقديره فيستحيل ان يعلمه ولو كان عالماً **بأفعال** عباده لاستحال ان يمتحنهم ويختبرهم .

(قال المؤلف) ان زرارة بن اعين والهشاميين ويونس بن عبد الرحمن ومحمد ابن نعمان الملقب بمؤمن الطاق كلهم ثقاة صحيحو العقيدة متكلمون حذاق من اجلاء تلاميذ وأصحاب الامامين جعفر بن محمد الصادق وابن موسى بن جعفر الصادق (ع) وعنهما اخذوا ومنهما تعلموا وبهما اقتدوا في كل علم لا سيا وصف الباري تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقص، وعصمة سيد الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم . لا يمكن ان يعتقدوا امثال هذه الخرافات في حقه تعالى ولا في حق نبيه (ص) وقد أخذوا عقائدهم عن ائمة اهل البيت الطاهر معادن العلم والحكمة ولم ينقل عنهم هذه الخرافات ناقل يوثق به . فما نسب اليهم

محض افتراء واختلاق وثائق تراجمهم في ابوابها . وهم مترجمون في كتب رجال الشيعة بكل وصف جميل . وهم امامية اثنا عشرية ليس لهم مذهب ولا نحلة خاصة سوى ذلك . ولا اتباع ينسبون اليهم . مع ان كلامه في حق زرارة يناقض بعضه بعضاً فاذا كان زراره سأل عبد الله عن مسائل عجز عن جوابها فقال بإمامة اخيه الكاظم دونه فكيف يكون صاحب مذهب ونحلة في عبد الله وله اتباع ينسبون اليه . وهذا لو وقع لكان قبل اعتقاده بإمامته بان يكون سائله لا يعرف مبلغ علمه . فكيف يكون صاحب مذهب ونحلة فيه ؛ وله اتباع ينسبون اليه . والذي زعم انها تنسب اليه الشيطانية التي لم يخلقها الله تعالى هو من أصحاب الامام الكاظم لقب بشيطان الطاق لانه كان صيرفياً بطاق المحامل في الكوفة كان يرجع اليه في النقد فيخرج كما ينقد فيقال شيطان الطاق مبالغة في حذقه وأصحابنا يلقبونه مؤمن الطاق وله مع الامام أبي حنيفة نوادر مذكورة في ترجمته . واما جعله رئيساً لفرقة من المعتزلة تنسب اليه فطريف جداً وفيه من الخبط والخلط ما لا يخفى كقوله كلما يوجد معتزلي الا وهو رافضي . فالرجل أمامي اثنا عشري وأين الامامي من المعتزلي . وان وافقت المعتزلة الامامية في بعض العقائد الا انها تخالفها في أكثر الاصول والفروع . وتوافق الاشاعرة في الاصول والفروع أكثر من موافقتها للامامية . ولكن عدم المبالاة بالكذب والاختلاق يجر الى اكثر من هذا ولا شيء من جرأته على هذا الرجل العظيم بالشتم والنسبة الى أعظم الكفر بدون مبرر الا قلة الحياء ورقة الدين . وأما المفضل بن عمر فاختلف أصحابنا في وثاقته وعدمها في صحة عقيدته وعدمها . ونسب الى الغلو بل قيل انه كان خطابياً فمن زعم عدم وثاقته لم يقبل روايته ومن زعم فساد عقيدته بالغلو تبرأ منه وهذا دأب اصحابنا مع كل غال وهو مما تفاخر به . وكيف كان فليس له اتباع ينسبون اليه على ان الذي رجحه المحققون من اصحابنا وثاقته وبراءته من الغلو .

ثم ان المقريزي وغيره عدوا في فرق الشيعة فرقاً أخرى لم نتحققها . وهي اما منقرضة أو لم توجد في الدنيا كالمباركية أتباع مبارك والشامطية أتباع يحيى

ابن شميط الاحمسي صاحب المختار وغيرهما . وبعد ما وجدناهم يعدون فرقاً علمنا
بعدم وجودها كالتي سبق ذكرها لم يبق لنا وثوق بوجود غيرها ما لم نعلمه . على
ان ابن شميط كان من اتباع المختار وأعوانه على امارته لا صاحب نحلة ومذهب
خاص حتى يكون له اتباع على نحلته ينسبون اليه ثم انهم عدوا في فرق الشيعة —
الغلاة وغيرهم ممن هم خارجون عن الاسلام كالخطابية والسبائية اصحاب عبد الله
ابن سبا وغيرهم . وهذا جهل أو تجاهـــل فالخارج عن الاسلام لا يصح عده من
فرق المسلمين ؛ والشيعة الامامية الاثنا عشرية تبرأ من كل غال وكل مؤله لمخلوق
قال المقريزي ومن فرق الروافض الحلوية والشاعية والشريكية يزعمون ان عليا
شريك محمد (ص) والتناسخية القائلون ان الأرواح تتناسخ واللاعنة والمخطئة
الذين يزعمون ان جبريل اخطأ والاسحاقية والخلقية الذين يقولون لا يجوز الصلوة
خلف غير الإمام والرجعية القائلون سيرجع عليٌّ وينتقم من أعدائه . والمتربصة
الذين يتربصون خروج المهدي . والآمرية والجينة والجلالية والكريبية أتبـاع
أبي كريب الضرير والخزينية أتباع عبدالله بن عمر الحرني ا . هـ .

(أقول) : يعلم الله ان هذه الأسماء كلها لم نسمع بها ولم نرها في كتب الشيعة
وما هي إلا مختلقة لا يقصد ذكرهـــا غير التشنيع والتهجين وهي أسماء بلا
مسميات ولم يذكرها أحد من المؤرخين ولا نقلها من كتب في الملل والنحل من
الشيعـــة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع
في كتاب الفرق والمقالات المتكفل لذكر فرق الشيعة وغيره ووجود بعض النحل
الباطلة بين من ينسب إلى التشنيع ولا يضرنا ونحن بريئون منه كما لا يضر الدين
الاسلامي الحق وجود بعض النحل الباطلة فيمن ينسب اليه . وكذا لا يضر
دعوى النبوة الباطلة بالنبوة الحقة إلا ان الحقيقة يجب أن تظهر وتعرف .

ثم اننا نسأل المقريزي كيف لم يذكر بـين المشبهة والمجسمة أقوال من يقول
من أهل نحلته ان الله تعالى ينزل في كل ليلة جمعة على سطوح المساجد راكباً على
حمار بصورة غلام أمرد قطط الشعر في رجليه نعلان من ذهب . وقول من قال
من أهل نحلته دعوني من الفرج واللحية وسلوني عمـــا شئتم . وقول ابن تيمية

على منبر جامع دمشق ان الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا . ونزل
درجة من درج المنبر كما حكاه مشاهده ابن بطوطـــة في رحلته وكيف لم يعد
المعتزلة من فرق أهل السنة وجعلهم أقرب إلى الشيعة وعد الغـــلاة وغيرهم من
فرق الشيعة مع ان المعتزلة أقرب إلى أهل السنة من الغلاة إلى الشيعة كما لا يخفى .

ونعود إلى صلب الموضوع لنقول :

ان القرامطة ومذهبهم معروف كانوا ينتمون إلى الدعوة الهاشمية ويمتون
إلى الدعاة بنسب عريق . ولكنهم مـا لبثوا ان أوقدوا نار الحرب وكان أول
حطب لنارها هم الفاطميون أنفسهم . وكذلك بدأ الدروز مذهبهم في ولايـــة
الامام الحاكم واتخذوا منه شخصية عظمى . ولعل كثيرين من مخترعي هذه الفرق
إنمـا انشأوها لما كانوا يعلمون من شرف أهل البيت . وان الانتساب اليهم يبلغ
بهم ذروة الشرف والكرامة فعمدوا الى انشاء تلك المذاهب في حين كان البعض
الآخر يعمل إلى تأليف هذه الفرق لعلمه ان الانتساب المباشر إلى اهل البيت
يجعلهم مستهدفين لسيف النقمـــة من خصوم الشيعة ولا ننس ان حب الظهور
والتغلب دفع بعض الأشرار إلى القيام في فترات بثورات متقطعة كما يعلم ذلك
من تتبع سير القرامطة .

على أني لا أذهب بالقـــارىء بعيداً فقد يملكه العجب والاستغراب اذا
تحدثت عن رجل قام في الاعوام القريبة بين مسلمي السند يزيف كعبـة يدعو
الناس للحج اليها والطواف بها . ولم يشأ ان تكون دعوته مجردة عن صبغـــة
فلسفية يستفيد بها في معرض الدعاية والترويج فهو يقول ان الكعبة انمـــا يراد
اجتماع الزوار لا عبادة اللبنات والاحجار كما ان من بين طلاب الشهرة من طريق
مخالفة الجماعة والخروج على الاجماع اناساً مقيمون في الهند شيعة مستحدثة لبني
أمية . يستبيحون في مذهبهم قتل الحسين ويستقبلون اسم قاتله واسم يزيـــد
بالتهليل والتكريم وبالصلاة والتسليم . لقد خرج من ايران والهنـــد طوائف
ينتمي بعضها الى الشيعة وبعضها الى أهل السنة وقد انشأوا في هـــذا العصر
زعامات دينية البسوها أشكالاً وألواناً من التقديس . وظنوا أنفسهم حمـــاة

الاسلام أو دعاة الاصلاح في هذا العصر . فهل يتخذ المؤرخ من هـــذا الشذوذ قاعدة يبنى عليها الاحكام ويقيم بها حقائق التاريخ ؟

جاء الفاطميون الى مصر فاتحين واقاموا بها مدينة ما زالت آثارها ماثـــلة لاعين الناس يتوارثها ابناء القاهرة جيلا بعد جيل وستحتفل القاهرة والازهر بعيدهما الالفي ولا يستطيع أحد ان ينسى أو يتناسى ان هذا العيد هو عيـــد الفاطميين أنفسهم . فهم الذين بنـــوا القاهرة . وهم الذين شادوا الازهر . وهم الذين سنوا لمن بعدهم ابتناء المساجد وتشييد المستشفيات وحبس الوقوف وانشاء المكاتب . ذلك ان تلك الاعمال التي قام بتشييدها الامويون والماليك إنما كانوا يقصدون بها الى محاكاتهم وانهم نظراؤهم في السيرة الحسنـــة وتشجيع العلوم وإقامة الشعائر والبر بالناس .

ان للفاطميين خصوماً ما كانوا يستطيعون ان يدعوا هـذه المدينة تزدهر او تعيش غير ملوثة بالدماء . واذا رجعنا بالقارىء الى العلـل والاسباب لم نجد في الامر ما يحمل على الاستغراب فان الامويين منذ اليوم الاول في دولتهم كانوا حرباً ضروساً على العلويين يقتلون فريقاً ويحبسون فريقاً ويسدون منافذ الثروة على فريق ثالث . وكانوا يطلقون ألسنة الخطباء باللعين الجائر الجارح على أعواد المنـــابر ويشجعون الشعراء من المسلمين أو من النصـارى على تمجيد بيت امية والنيل من آل علي بما لا تتسع له هذه العجالة . ولم يكن بنو العبـاس في المشرق ولا بقية الامويين في الاندلس بأهون ظلمـــاً ولا أيسر اعناتاً من هؤلاء . لذلك بقي ائمة الفاطميين ودعاتهم مطاردين في كل مكان مأخوذة عليهم المسالك متقطعة بهم السبل ولم يكن الى النجاة منفذ إلا الاستتار والاختفاء .

مضت عليهم القرون الثلاثة الاولى وهم معرضون لسيوف اعدائهم حتى اذا قامت دولتهم ازدهرت بعد الاستتـــار امامتهم بدأ اعداؤهم بسيوف المطاعن يشهرونها عليهم لتنفير المسلمين منهم وأخذوا يحشدون الجموع ويؤلفون المحاضر ومضوا يستكتبون ويستشهدون ويبثون العيون والارصاد ويغرون الكتاب بتسويء سمعتهم عن طريق الاعتقاد أو عن طريق النسب العلوي الا أن التاريخ

الحق لم يفقد منصفين يذودون عن حقيقته وينقذون الأجيـال القادمة من خطأ الأجيال الماضية ونحن كما سنبين نرى خصماً للفاطميين . لم تمنعه خصومته من بيان ما يراه وجه الصواب وفصل الخطاب . أما اليوم وقد تحررنا جميعـــاً من اغلال السياسة الاموية والعباسية والفاطمية فينبغي ان لا نأخذ أقوال المؤرخين قضية مسلّمة منزهة عن المناقشة والبحث . كما ينبغي ان لا يحملنا احترام القدماء على تقديسهم والقاء وشاح العصمة على كتبهم التي ربما أصابها الف تحريف وتغيير قبل ان تصل الى أيدينا . أقول نحن اليوم في عصر تحررنا فيه من قيود الطبيعة نفسها وأصبحنا نسيرها ونسخر قواها بمشيئتنا في البر والبحر والهواء . فعليـنـا اذاً ونحن بصدد الحديث عن الفاطميين ان نتناول البيان الموجز فيهم وفي نسبهم وفي أدبهم بما تعتقد ضمائرنا ويملي علينا بحثنا انه الحق غير مبالين بغضب خصوم الفاطميين في قبورهم ولا متأثرين بما تناقله بعض الكتاب المؤرخين تاركين الحكم بعد ذلك للقراء والحكم الاخير لله

خلافتان

قامت الحرب الدامية بين علي ومعاوية . ولم تقف رحاها الدائرة باقامة الحكمين ولا باغتيال علي ولا بسمّ الحسن كما يقال ولا بقتل الحسين ومن معه في كربلاء ، وقد وجه ملوك بني أمية وعمالهم في البلاد جميع قواهم الى استئصال شجرة العلويين من الدنيا . فكان التقرب اليهم والاتصال بهم والتحدث عن فضائلهم ومناقبهم جريمة فاضحة يستحق مرتكبوها في نظرهم أن تقطع أرجلهم وأيديهم ورؤوسهم وان يصلبوا على الجذوع والأشجار اياماً بل شهوراً بل أعواماً حتى تسكن الفواخت في اجوافهم وتشبع الطيور الساغبة والوحوش النافرة من لحومهم وعظامهم وينادي من حولهم باشنع النداء وأشأم الدعاء فاذا مات أحد المسلمين ونقل عنه التشييع بعد موته لحقه الانتقام الى مثواه في البلى فينبش قبره وتهدم داره وينهب ميراثه ويشرد أبناؤه وبناته من بعده ، في فجاج الارض وسفوح الجبال . وكانت الحالة في دولة العباسيين اضعف مما كانت في أسلافهم .

ولهذا قال مروان بن الحكم – لما أخرج حبة الدار قطني – ما كان أحد ادفع عن عثمان من علي فقيل لمروان ما لكم تسبونه على المنابر فقال انه لا يستقيم لنا الأمر الا بذلك وقال الحافظ السيوطي انه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين الف منبر يلعن عليها علي (ع) بما سنه لهم معاوية من ذلك . وفي ذلك يقول العلامة أحمد الحفيظي الشافعي في أرجوزته .

وقد حكى الشيخ السيوطي انه قد كان فيما جعلوه سنة
سبعون الف منبر وعشره من فوقهم يلعنون حيدره

وهذه في جنبهـــا العظائم | تصغر بل توجـــه اللوائم

فهل ترى من سنهـــا يعادى | أم لا وهل يستر او يهادى

او عـــالم يقول عنه نسكت | أجب فاني للجواب منصت

وليت شعري هل يقال اجتهدا | كقولهم في بغيـــة أم الحدا

أليس ذا يؤذيه أم لا فاسمعن | ان الذي يؤذيه يؤذي من ومن

بل جاء في حديث ام سلمـــه | هـــل فيكم الله يسب منه له

عاون اخا العرفان بالجواب | وعـــادِ من عادى أبا تراب

وفي شرح النهج الحديدي ج ٣ ص ١٥ روى أبو الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف المدني في كتاب الأحداث . قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عمـــاله بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهـــل بيته فقامت الخطبـــاء في كل كور وعلى كل منبر يلعنون علياً (ع) ويبرأون منه يقيمون فيه وفي اهل بيته وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم اليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام علي (ع) فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخـــل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله في جميع الافاق الا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهـــادة وكتب اليهم ان انظروا من قبلكم من شيعة عثمان (ر ض) ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكل مـــا يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع. ويفيض في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنـــازل والدنيا . فلبثوا بذلك حيناً ثم كتبوا الى عمـــاله ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل عصر وفي كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الراية في فضائل الصحـــابة والخلفاء الاولين فلا تتركوا خبراً يرويه أحداً من

المسلمين في ابى تراب وإلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعل فان هذا أحب إليَّ وأقر العينين وادحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد اليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها . وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمـانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموا كما يتعلمون القرآن وحتى علموه ابنـــاءهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبسوا في ذلك ما شاء الله تعالى . ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان انظروا الى من قامت عليه البنية انه يحب عليه واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلك بنسخة اخرى من أتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه في العراق ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من شيعة علي(ع) ليأتيه من يثق به ويدخل بيته فيلقي اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمـــان الغليظة فيتمكن عليه فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس بلية في ذلك الفقراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع النسك فيفتعلون الاحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا بـــه الاموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الاخبـــار والاحاديث الى ايدي الديانيين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون انها حق . ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها فلم يزل الامر كذلك حتى مـــات الحسن بن علي (ع) فازداد البلاء والفتنة ثم تفاقم الامر بعد قتل الحسين (ع) وولى عبد الملك بن مروان . فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب اليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي(ع) وموالاة اعدائه فاكثروا في الرواية في فضلهم ومناقبهم باكثر من الغض من علي (ع) وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتى ان انساناً وقف للحجاج ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به ايها الامير ان أهلي عاقوني فسموني علياً واني فقير بائس وانا الى صلة الامير محتاج فتضاحك له الحجاج وقال للطف ما توسلت به وقد وليتك

موضع كذا .

وفي شرح النهج الحديدي. ج ١ ص ٢٩١ ان معاوية بذل لذلك لسمرة بن جنوب مائة الف درهم حتى يروي هذه الآية التي انزلت في علي (ع) وهي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وان الآية الثانية انزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى (ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله) فلم يقبل فبذل له مائتي الف درهم فلم يقبل فبذل له اربعمائة الف درهم فقبل وروى ذلك .

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ١٩ ؛ قال ابن عروة — المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين واعلامهم — ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني أمية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون انوف بني هاشم . ويقول الاستاذ أحمد أمين في فجر الاسلام ج ١ ص ٣٥٥ وتلمح أحاديث كثيرة لا تشك وانت تقرأها انها وضعت لتأييد الامويين كالخبر الذي روى ان رسول الله (ص) قال في معاوية « اللهم قه العذاب والحساب وعلمه الكتاب» وكالذي يروي ان عمر بن العاص قال قال رسول الله (ص) ان آل أبي طالب ليسوا لي باولياء » .

وجرى الامر على هذا المنوال في سائر بني أمية وكان الرجل من الشيعة اذا حدث عن علي (ع) لا يجسر على ذكر اسمه فيقول حدثني أبو زينب وبلغ الحال من الضيق والشدة إلى ان يسمى باسم علي او الحسن او الحسين (ع) الخ ..

وجاءت الدولة العباسية فكان العباسيون أكثر تشدداً على العلويين واضطهاداً وظلماً لهم ولشيعتهم من الامويين . وكانت دولتهم عليهم أدهى وأمر . كما قال الشاعر :

والله ما فعلت أمية فيهم   معشار ما فعلت بنو العباس

(أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٦)

وقال الامير ابو فراس الحارث الحمداني :

ما نال منهم بنو حرب وان عظمت   تلك الجرائم الا دون نيلكم

وقال أحد مخضرمي الدولتين :

يا ليت جور بني مروان دام لنا   وليت عدل بني العباس في النار

(اصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطاء ص ٨٨)

وقال الشريف الرضي :

الا ليس فعل الاولين وان علا   على قبح فعل الآخرين بزائد

واليك أيها القارىء نوضح لك ما كانوا يعاملون به لا في وقت ظهورهم بل في وقت اختفائهم والشك في أشخاصهم فاذا يلقون هذه المعاملة القاسية فكيف كانت تجري معاملتهم لو كانوا غير مستترين . قال جعفر فلما قبض علينا ونقل القائم عن المهدي (ع.م) الى دار غير الدار التي كان ينزلها المهدي بعث معه المهدي (ع.م) مسلماً ليخدمه ويؤنسه وبقي مع المهدي (ع.م) في الدار التي نزلها اولاً صندل الخادم . قال جعفر وطرحنا نحن في الملبس وانا وطيب وابو يعقوب القهرماني ، وكان المهدي (ع.م) ينفذ صندل كل يوم يعرفه اخبار القائم (ع.م) واخبارنا وينفذ الينا نفقاتنا مع صندل . قال جعفر والمهدي والقائم (ع.م) مبجلان معظمان في منزلها قد هيبها الله عز وجل في عين سجلماسة وعظمها في قلبه ، وانما كانت صولته علينا يعذبنا كل يوم بالسوط فأما أبو يعقوب القهرماني فانه أقر بعد ايام . قال جعفر فاذكر اني قلت له في اليوم الذي أقر فيه بعد أن ردونا الى السجن وقد لكمته .. يا ابن اللخناء لم اقررت ، فقال له يا خليلي اوجعني والله السوط . قال جعفر فلم يعذب أحداً منهم عذابي لانهم اقروا وما أقررت واما طيب فلم يصرح لهم ولكن قال لهم لما طال علينا العذاب يا قوم ان كان قد صح عندكم ما قيل فينا فاقتلونا واريحونا من هذا العذاب الذي نحن فيه . وأما أنا فما وجدوا في حيلة . وكان ذلك مما زادهم علي غيظا . فضربوني بالسوط وضربوا في أظفاري بالقضيب حنقاً عليّ ليجبروني على الاقرار

فثبتني الله بفضله . قال والله اني لاعرف اني عطشت يوماً في السجن وابطأ علينا
السقا الذي كان يسكب لنا الماء . فدعوت السجان ورغبت اليه في شربة نحو
مائة مرة ، فكان جوابه بعد هذا كله ان رماني بقهر كسر به أسناني فشربت
دم فمي ، ولشدة غيظهم علينا حبسونا في خلاء السجن وكنا اذا نمنا نجعل خدودنا
لضيق المكان الذي نحن فيه على مرقاة الخلاء الى ان فرج الله علينا (من سيرة
جعفر بن علي حاجب المهدي الفاطمي ص ١٠٧ لمحمد بن اليماني وقد نشرت في
مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية في الجزء الثاني من المجلد الرابع ديسمبر ١٩٣٦
ميلادية . إلا ان زعماء الشيعة ثبتوا للموت وغالبوا الفناء وكونوا لانفسهم جماعة
قوية بالرجال ، غنية بالاموال لم يمنعها توالي الاتحاد والتفرق في البلاد من اقامة
دعوتها وتوحيد كلمتها . والشيعة منذ اليوم الأول مجمعون على الاعتقاد بان
خلافة الرسول (ص) يجب ان تكون فرعاً مستمداً من دوحته وامامته ينتقل
ميراثها ابديا في عترته . وما دام الأمر مذهباً وعقيدة فليس من سبيل عندهم
الى الثقة والاطمئنان الا بالايمان المعصوم من أبناء فاطمة على أن ما ارتكبه
الامويون من لعن على منابر اعدت للعظة والارشاد دوماً استحدثوه في مظاهر
الملك مما لا يتفق ومركز الخلافة الدينية الخطير وما اقترفوه من سفك الدماء
البريئة وازهاق الارواح وامتهان حقوق الرعية وعدم الاكتراث بالحدود
المرسومة . كل ذلك كان يذكي نار التشنيع ويحرض بعض المسلمين على النفور
منهم وانتقادهم ما أمكنت القوة وسنحت الفرصة وما دام الشيعة لا يدينون
بالسمع والطاعة الا لمن يقوم من أهل البيت . وهم في مركز دقيق يعوزهم فيه
القوة والنفوذ فقد كانوا مضطرين بحكم العقيدة الى اقامة الامام . وبحكم الظروف
الى مبايعته خفية واداء الزكاة والفيء والصدقات اليه سرا . لذلك قام في العالم
الاسلامي خلافتان خلافة خفية ترتدي الاثواب الخشنة وتقوم على التنسك
والتعليم والتفقه والارشاد . وخلافة ترفل في الحرير والدمقس وتقوم على العظمة
والابهة والقصور . خلافة فاطمية علوية توجه دعاتها في ازياء التجار بين الحواضر
والامصار لبث الدعوة وتنظيم الانصار وتكثيرهم وخلافة اموية أو عباسية
تجيش الجيوش وتبعث البعوث وتفرض سلطانها القاهر على الاقاليم والاقطار

الاسلامية .

ويظهر ان الامامة الفاطمية او هذه الخلافة المستترة بعبارة أصح أخذت
تزداد مع الايام نمواً في الحواضر وتغلغلا في المشاعر وتأثيراً بليغاً حتى في الولاة
والوزراء وفي قصور الخلفاء انفسهم . في حين ان قضاء المماليك الاسلامية كان كله
مسمماً بالدسائس والجاسوسية التي لم تنم عينها ليلا ولا نهاراً عن ملاحقتهم وعد
الخطوات عليهم والتقرب الى الحكام على حسابهم . ونستطيع ان نقول ان امامة
جعفر الصادق هي التي اتخذت شكلا جديداً من الهيبة والاجلال واصبحت
محاطة بالاحترام والتقديس. وتمتعت بمركز ديني يقض على الخلفاء الآخرين مضاجعهم
ويملأ عروشهم ذعراً وارتياعاً . ويهز مقاعد الخلفاء هزاً عنيفاً فأصبحوا يحسبون
لهذه الامامة الف حساب ويضاعفون لها ولاشياعها التنكيل والعذاب. ولكنك
سترى ان مسلك جعفر الصادق كان الى حد ما يجعله هو واشياعه بنجاة من
تناول هذا الطغيان الذي لم تخمد جذوته ساعة من ليل او نهار . فقد اتخذ
المدينة وطناً وكان بعدها عن حاضرة الخلافة يفسح مجال الحرية لنشر الدعوة
وايفاد الرسل وانفاذ الكتب والرسائل وتمكين الصلات في الكوفة واليمن
وغيرها . وانت تعلم ان المدينة في ظل الحرم النبوي كانت تتمتع بمكانة دينية
استطاع جعفر الصادق ان يزداد بها نفوذاً الى ان شخصيته كانت تحمل العظمة
الساحرة والجاذبية الفائقة والسياسة الرشيدة وكان له في الابحاث الكلامية
والفروع الفقهية منزلة لا تسامى وغاية لا تدرك .

وقد جاء في مناقب ابن شهر اشوب ما يلي :

جاء أبو حنيفة ليسمع منه (الصادق) وخرج أبو عبدالله يتوكأ على عصا
فقال له ابو حنيفة يا ابن رسول الله ما بلغت من السن ما تحتاج معه إلى العصا .
قال هو كذلك ولكنها عصا رسول الله (ص) أردت التبرك بها . فوثب
ابو حنيفة وقال له اقبلها يا ابن رسول الله فحسر ابو عبدالله عن ذراعه وقال له
والله لقد علمت ان هذا بشر رسول الله (ص) وان هذا من شعره فما قبلته.
وتقبل عصاه .

وفي حلية الاولياء لأبي نعيم الاصفهاني . حدثنا عبد الله بن محمد
ثنا سعيد بن عنبسة ثنا عمرو بن جميع ، قال دخلت على جعفر بن محمد أنا
وابن أبي ليلى وأبو حنيفة فقال لابن أبي ليلى من هذا الذي معك فقال هذا رجل له بصر
ونفاذ في أمر الدين . قال لعله يقيس أمر الدين برأيه قال نعم . فقال جعفر لابي
حنيفة ما اسمك فقال نعمان . قال يا نعمان هل قست راسك بعد ؛ قال كيف
أقيس راسي ؟ قال أراك تحسن شيئاً ؟ هل علمت ما الملوحة في العينين والمرارة
في الاذنين والحرارة في المنخرين والعذوبة في الشفتين ؟ قال لا : قال ما أراك
تحسن شيئاً فهل علمت كلمة أولها كفر وآخرها ايمان ؟ فقال ابن أبي ليلى يا ابن
رسول الله اخبرنا بهذه الاشياء التي سألته عنها فقال اخبرني أبي عن جدي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى بمنه وفضله جعل لابن آدم
الملوحة في العينين لانهما شحمتان ولولا ذلك لذابتا . وان الله تعالى بمنه وفضله
ورحمته على ابن آدم جعل المرارة في الاذنين حجاباً من الدواب فان دخلت
الرأس دابة والتمست الى الدماغ فاذا أذاقت المرارة التمست الخروج . وان
الله تعالى بمنه وفضله ورحمته على ابن آدم جعل الحرارة في المنخرين يستنشق لها
الريح . ولولا ذلك لأنتن الدماغ . وان الله تعالى بمنه وكرمه ورحمته جعل لابن آدم
العذوبة في الشفتين يجد بهما استطعام كل شيء ويسمع الناس بهما حلاوة
منطقه . قال فاخبرني عن الكلمة التي اولها كفر وآخرها ايمان . فقال اذا قال
العبد لا إله فقد كفر فاذا الا الله فهو ايمان . ثم أقبل على أبي حنيفة فقال يا نعمان
حدثني أبي عن جدي ان رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم قال : اول من
قاس أمر الدين برأيه ابليس . قال الله تعالى له « اسجد لآدم » فقال أنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين . فمن قاس برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة
بابليس لانه تبعه بالقياس . وروى أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا محمد بن علي
ابن حبيش ، حدثنا أحمد بن زنجويه ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن
عبدالله القرشي بمصر ، ثنا عبدالله بن شبرمة قال دخلت أنا وأبو حنيفة على
جعفر بن محمد وذكره مثله ثم قال زادا بن شبرمة في حديثه : ثم قال جعفر
أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال قتل النفس قال فان الله عز وجل قبل

في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا الاربعة . ثم قال ايهما أعظم الصلاة
ام الصوم ؟ قال الصلاة . قال فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟
فكيف ويحك يقوم لك قياسك . إتق الله ولا تقس الدين برأيك .

وروى هذا الحديث الشيخ ابو جعفر الطوسي في اماليه . وصاحب الروضة
باسنادهما وفي روايتها زيادة عن رواية الحلية (قال) في بيان علة قبول الشاهدين
في القتل وعدم قبول اقل من اربعة في الزنا ، مع ان القتل اعظم ، ان الشاهد
على الزنا شهده على اثنين وفي القتل على واحد ، لأن القتل فعل واحد والزنا
فعلان . وقال في علة قضاء الحائض الصوم وعدم قضائها الصلاة مع كون الصلوة
اعظم : لانها تخرج الى صلاة فتداولها ولا تخرج الى صوم (يعني ان الصلاة تكون
دائماً والصوم لا يكون إلا في السنة مرة) ثم قال المرأة أضعف أم الرجل . قال
المرأة قال فما بال المرأة وهي ضعيفة ، لها سهم واحد والرجل وهو قوي له
سهمان . ثم قال لان الرجل يجبر على الانفاق على المرأة ولا تجبر المرأة على الانفاق
على الرجل . ثم قال البول اقذر أم المني ؟ قال البول قال يجب على قياسك ان
يجب الغسل من البول دون المني . وقد اوجب الله الغسل من المني دون البول
ثم قال لأن المني اختيار ويخرج من جميع الجسد ويكون في الايام والبول ضرورة
ويكون في اليوم مرات . قال ابو حنيفة كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول
« يخرج من بين الصلب والترائب » فقال ابو عبد الله : فهل قال لا يخرج من غير
هذين الموضعين ؟ ثم قال لمَ لا تحيض المرأة اذا حبلت؟ قال لا ادري . قال حبس
الله الدم فجعله غذاء للولد . ثم قال ما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج
عبده في ليلة واحدة ثم سافرا وجعلا امرأتيهما في بيت واحد ، فسقط البيت
عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان . أيهما في رأيك المالك وأيهما المملوك ؟ وأيهما
الوارث وأيهما الموروث ؟ ثم قال فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح وأقطع
قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد ؟ ثم قال واخبرني عن قول الله تعالى لموسى
وهارون (ع) حيث بعثهما الى فرعون لعله يتذكر أو يخشى لعل منك شكاً .
قال نعم قال وكذلك من الله شك إذ قال لعله ؟ ثم قال واخبرني عن قوله تعالى

« ومن دخله كان آمنـــاً » أي موضع هو قال بيت الله الحرام فقال نشدتكم بالله هل تعلمون ان عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنـــا القتل قال فاعفني ياابن رسول الله . قال فأنت الذي تقول سأنزل مثل ما انزل الله قال اعوذ بالله من هذا القول . قال اذا سئلت فما تصنع قال اجيب عن الكتـــاب أو السنة أو الاجتهاد . قال إذا اجتهدت من رأيك وجب على المسلمين قبوله ؟ قال نعم . قال وكذلك وجب قبول ما انزل الله فكأنك قلت أنا انزل مثلما انزل الله (هـ) .

وقال ابن شهراشوب في المناقب : ذكر ابو القاسم البغار في مسند ابي حنيفة قال الحسن بن زياد سمعت ابا حنيفة وقد سئل من افقه من رأيت ؟ قال جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور بعث الي فقال ان الناس قد فتنوا بجعفر من محمد ، فهيء له من مسائلك الشداد فهيأت له اربعين مسألة ثم بعث الي ابو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه فلمـــا بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر فسلمت عليه فأومأ الي فجلست ثم التفت اليه فقال ابا عبد الله هذا ابو حنيفة قال نعم اعرفه ثم التفت الي فقـــال القي على ابي عبد الله من مسائلك . فجعلت القي عليه ويجيبني فيقول انتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا . فربما تابعت وربما تابعهم وربما خالفنـــا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخل منها بشيء ثم قال ابو حنيفة أليس أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس .

وفي كتاب المصايد والمطارد لكشاجم وفي مرآة الجنـــان سيافعي ان جعفر الصادق سأل أبا حنيفة فقال ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي فقال يا ابن رسول الله ما اعلم مـــا فيه فقال لم أنت من الدهاة ولا تعلم ان الظبي لا يكون له رباعية وهو ثنى ابداً . قال يعني من الدهاة في قوة الفهم وجودة النظر (اه)

وفي كنز الفوائد للكراجكي . ذكروا ان أبا حنيفة أكل طعامـــاً مع الامام الصادق جعفر بن محمد فلما رفع الصادق يده من أكله قال . الحمد لله رب العالمين اللهم هذا منك ومن رسولك فقال ابو حنيفة يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له ان الله يقول في كتابه (وما نقموا لا أن أغناهم الله ورسوله من فضله)

ويقول في موضع آخر (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله من فضله) ويقول في موضع آخر (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فقال أبو حنيفة والله كأني ما قرأتها قط من كتـــاب الله وسمعتها الا في هذا الوقت) .

أما صفاته الشخصية فهي التقوى والورع بكل ما في معنى هاتين الكلمتـين وقد جاء عن كتاب سوق العروس عن الدامغاني انه استقبـــل جعفر الصادق عبد الله بن المبارك فقال :

أنت جعفر فـــوق   المدح والمدح عنـــاء
انمـــا الاشراف أرض   ولهم انت سمـــاء
جاز حد المدح من قد   ولدتـــه الانبيـــاء

وقال :

الله أظهر دينـــه   وأعـــزه بمحمـــد
والله أكرم بالخلافـــة   جعفر بن محمـــد

قال أبو الحسن الوشاء لبعض أهل الكوفة : ادركت في هذا الجامع (يعني مسجد الكوفة) أربعة آلاف شيخ من اهل الورع والدين كل يقول حدثني جعفر بن محمد (أصل الشيعة وأصولها لكاشف الغطا ص ٩٩) فقلما كان يرى بالنهار الاصائما أو بالليل الاقائما . وهو بينهما كثير التبتل والانابة . كثـــير النصح والافادة . يقصده الراغبون في بحر علمه أو بحر نواله فلا يمل حتى يمل السائلون . بل كان بنفسه يتردد الى الفقراء خفيـــة ويصل أراملهم وأيتامهم متنكراً في حندس الليل . يطوف على خيام الاعراب حاملا اليهـــا البر والاكرام . ولم يستطع هؤلاء ان يعرفوا من كان يحسن اليهم الا حين انقطع الاحسان بوفاتـــه . وناهيك به من رجل كان ابو حنيفة من قصاده والكميت من شعرائه وعامـــل المدينة من أتباعه وجابر بن حيان مخترع الكيمياء من تلاميذه .

هذه هي الصورة التاريخية التي قدم الينا بهـــا جعفر والحق ان آثاره

تعد كنزاً طريفاً بين كنوز الاسلام . وربما كان هو أول زعيم امتـــاز بفلسفة عميقة وآراء في الكلام والفقه لم تكن معروفـة ولا معهودة . ولولا ان عظمته كانت محجوبة الاشراق بطغيان الظروف السياسية لكان لمؤرخ الفلسفة وعلماء الفقه في تدوين آثاره شأن غير هذا . ولكان الحديث عن جعفر يسبق الحديث عن ابن سيناء والفارابي والاشعري والماتريدي والبسري وغيرهم وقد يكون لنا موقفاً آخر نوفي به هذه الشخصية حقهـا في غير هذه المقدمة المجملة . فلعل الذين عرفوا سقراط في أساليبـه التي كانت تقوم على منهج السؤال والجواب . ولعل الذين عرفوا أفلاطون فيفلسفته الروحية وطرائق بحوثه النفسية سيجدون في الاسلام هذه النواحي وأكثر منها عندما يقفون على أساليب جعفر ومواقفه في الجدل والنقـاش والحوار حيث يقف الخصوم أمامه مبهوتين ويحيلهم أشياعاً يتسارعون الى رفع علمه والسير على قدمه وكثيراً ما حاولوا ان ينفذوا اليه بمأخذ علمي أو يصلوا من حجته إلى خذلان واضعاف ولكنهم تصاغروا جميعـاً وتضاءلوا عن هدم ذلك الجبل الاعصم . وقد ارتعدت فرائص الخليفة العباسي لهذا المنافس الخطير . نعم تسامع المنصور العباسي بأن في المدينة الامام جعفر يزداد على الايام تمكناً في القلوب وشهرة في الشعوب يؤدي اليه أهل الكوفـة الزكاة ويتوسل غيرهم به الى الله . ولم يكن من الحكمة السياسية يومئذ ان يجاهره بالنقمة خوف عواقب الثورات فتحين الفرصة عند زيارة المدينة بعـد الحج وأراد الايقاع به والحـاقه بقائمة القتلى من أسلافه الشهداء . لان مصانعته انتصرت على المنصور وحولت ذئبه الكاسر الى حمل وديع وجمرته الملتهبة الى نسيم عليل . وقد جـاء في مطالب السؤول : حدث عبدالله بن الفضل بن الربيع عن أبيه . قال حج المنصور سنة ١٤٧ فقدم المدينة وقال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً قتلني الله ان لم أقتله . فتغافل الربيع عنه لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال ابعث من يأتينا به متعباً فتغـــافل عنه . ثم أرسل الى الربيع رسالة قبيحــة اغلظ له فيها وامره أن يبعث من يحضر جعفراً ففعل . فلما أتاه قال الربيع يا أبا عبدالله اذكر الله فانه قد ارسل اليك بما لا دافع له غير الله . فقـــال جعفر لا حول ولا قوة الا بالله . ثم ان الربيع

أعلم المنصور بحضوره فلما دخل جعفر عليه أوعده وأغلظ له وقال اي عدو الله اتخذك أهل العراق اماماً يجبون اليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل قتلني الله ان لم اقتلك فقال له يا أمير المؤمنـين ان سليمان (ع) أعطي فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك السنخ . فلما سمع ذلك المنصور منه قال له إليّ وعندي أبا عبدالله . انت البريء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة . جزاك الله من ذي رحم أفضل مـــا جزى ذوي الارحام عن أرحامهم ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه . ثم قـــال عليّ بالطيب فأوتي بالغالية فجعل يغلف لحية جعفر بيده حتى تركها تقطر . ثم قال قم في حفظ الله وكلأته . ثم قـال يا ربيع الحق أبا عبدالله جائزته وكسوته . انصرف أبا عبدالله في حفظه وكنفه . فانصرف . قال الربيع ولحقته فقلت له إني قد رأيت قبلك ما لم تره . ورأيت بعدك ما لا رأيته . فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت . قال قلت :

« اللهم احرسني بعينك التي لا تنام . واكنفني بركنك الذي لا يرام . واغفر لي بقدرتك عليّ ولا اهلك وأنت رجائي . اللهم أنت اكبر وأجل ممـــا أخاف واحذر اللهم بك أدفع في نحره واستعيذ بك من شره .

لقد رأى جعفر ان ظهور الأئمة يعرض شيعتهم واتباعهم لأعظم الأخطـــار فأحيى سنة قديمة تبقى معهـــا الدعوة والإمامة بمأمن من الغوائل . وقوام تلك السياسة ان يتحصن الائمة بالاستتار ودعاتهم بالتقية . وسنرى كيف استطاعت هذه السياسة ان تحيا وتنمو وتؤتي ثمارها . وسنرى ان ترك المجاهرة بالامامة أتاح للدعاة فرصة يتسللون منها الى القلوب رويداً رويداً . ويجمعون الانصـار قليلاً قليلاً في كل صقع من اصقاع المشرق والمغرب حتى اتسع لهم النفوذ ودان لهم السلطان ردحاً من الزمان . وإذا كانت الحرب خدعة . وإذا كان الدهـاء بلغة السياسيين هو الحكمة بلغة المتشرعين . اذا كان ذلك كله من الاساليب التي كان لها فضل عظيم في الفوز والانتصارات في ادوار مختلفة من التاريخ . فان جعفراً كان في هذا الضرب من التسلح نسيجاً وحـــده . وذلك انه ستر ولده

اسماعيل وصيه ووارثه الاول وأكثر من ذلك وأغرب انــه اعلن موته وشيع جنازته واشهد العمال والامراء على وفاته واستكتب شهادتهم واقـــام الحجة عليهم ثم رأى الناس بعد ذلك اسماعيـــل يلقي دروساً بالعراق . ثم يتأكد لك صواب نظر جعفر عندما تعلم انه قد مات مسموماً وان تحصنه بالمدينة والتفاف الناس حوله لم يمنع من وصول سهام المكيدة الى حياته . وقـــد نسج بوصيته عند الاحتضار على الوصاية ستاراً فوق ستار . والقى على شمسها ضباباً فوق ضباب . وزاد المتطلعين اليها والمتربصين بها حيرة وارتباكاً فقد القى بوصيته في الفضاء وتركها كالملك المشاع او انه ابتكر طريقة ضحك بها ضحكة عاليـة على خصومه لم يسمعوا صداها الا بعد أجيال . فقد أوصى بالامامة من بعده لغير واحد . اوصى لعدد من اولاده . بل اوصى بعامل المدينة بل أوصى للخليفـة المنصور نفسه وبذلك اختفى الأئمة وصياً بعد وصي الى ان حان وقت اعلان دعوتهم .

وروى الكليني وغيره بالاسناد عن أبي أيوب الجوزي قال بعث الي ابو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يديه كتاب . فلما سلمت عليه رمى الكتاب اليّ وهو يبكي وقال . هـــذا كتاب محمد بن سليمان (والي المدينة) يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات فانا لله وانا اليه راجعون ثلاثا . وأين مثل جعفر ثم قال لي اكتب . فكتبت صـــدر الكتاب ثم قال اكتب ان كان اوصى الى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقـــه فرجع الجواب اليـــه ان اوصى الى خمسة . أحدهم ابو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة . فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء سبيل . الخ (أعيان الشيعة ج ٤ ص ٦٦٤) .

ثم قام بعده اسماعيل بن جعفر الصادق محمد بن اسماعيل وقد خرج دعـاته وحجبه الى اليمن ومن اليمن الى الشرق والغرب وهم . عبـــد الله بن مبارك . وعبد الله بن ميمون وعبد الله بن حمدان . ويقال بن مسلم . وعبد الله بن جعفر الخ . (من كتاب الفترات والقرانات لداعي دعـــاة المعز لدين الله جعفر بن المنصور اليمن المخطوط بدار الكتب الاعظمية) .

أدوار الامامة

المتطلع على المسائل الفقهية عند الشيعة ومـا مر من الحوادث برجالاتها على تعاقب أجيال التاريخ يلاحظ ان العمل بالتقية أمر لم يكن منه بد في الظروف القهرية عندما يشتد جور الحكام وعسف الظلاّم . إذ هي الطريق الوحيـد الى النجاح والجمع بين حفظ العقيدة وحفظ الحياة . وهذه التقية ترجع الى عصور بعيدة حتى في سير الأنبياء . فقد اختفى موسى عليه السلام عن فرعون ، وفي هجرة الرسول عليه السلام ومبيت علي في برده الاخضر على سريره وفي موقف عمّار بن ياسر موقفاً يرضي الكفار عند اكراهه على الكفر . وفي تنحي الحسن ابن علي عن الخلافة حقناً للدماء وصيانة للارواح . في كل ذلك مـا يسوغ العمل بالتقية . الا أن الامام جعفر هو الذي نظم أساليبها واحكم سياستها وبين للائمة والدعاة طرقها. ولولا ابتكاره هذه السياسة لكان هو آخر امام من أهل البيت. ولما قامت للامامة من بعده دولة . وطبقاً لمقتضيات هذه الخطة الجديدة فقـد كان للامامة دوران أولا دور الاستتار وذلك حين كانت الدولة العباسية منيعة الجانب واسعة النفوذ والسلطان في جميع الامصار الاسلامية . وكان عمالهـا يدينون لها بالسمع والطاعة . وهي تصول بقوة السيف لارهاب العامة . وبقوة العلم والمال لارضاء الخاصة والاجتماع على كسر شوكة المعارضين . ثانياً دور الظهور وذلك عندما تحلل كيان هذه الدولة الى أعضاء منفصلة وانقسم ذلك الملـك

الشامخ الى دويلات وممالك يقتتل سلاطينها ويتنافس رؤساؤها . وقد استقل
عن الخلفاء كثير منها ولم يبق لهم من النفوذ الا الاسم . وارسال بعض الاموال
اليهم . وأصبحت كل مملكة فيها أمير المؤمنين ومنبره . وأما دور الاستتار
فتحدثنا المراجع التاريخية الخاصة أن الإمام جعفر هو الذي عقد بالخلافة لحفيده
محمد بعد غيبة اسماعيل . واستكفل له من الدعاة رجلاً غزير العلم وافر الاطلاع
عظيم الاخلاص ، ذلك هو ميمون القداح . فان محمداً كان إذ ذاك ما يزال ناشئاً
في بُرد الصبا حتى اذا بلغ أشده وكملت رجولته سلمت اليه مقاليد الامر .

ثم كانت الإمامة من بعده لعبدالله ولده الذي بالغ في الاختفاء والاستتار
حتى عن أخص دعاته وأتباعه .

وكان المتغلبون من بني العباس يطلبون من يشار اليهم بالأمر حسداً
وتكبراً على أولياء الله . فأوجب ذلك استتار الائمة . وكنى الدعاة على اسمائهم
تقية عليهم بما هو فيهم ويليق بهم حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل
عبدالله وهو كما قالوا ابن الميمون القداح قداح الحكمة الخ (من كتاب الفترات
والقرانات ص ١٠٧) . وفي الصفحة ٣٤ من الكتاب المذكور : فسموا الأولياء
(أي الأئمة) بهذه الأسماء بأسماء جدودهم . لأجل المحنة ودور الاستتار . وإنما
بالغوا في الكلام ليشتبه على اولي العمى . وكتبوا حروفهم مقطعة الخ .

وقد جاء في كتاب استتار الإمام ص٩٣ ما يلي: اعلم علمك الله الرشد انه أول ما فقد
الامام عليه السلام وبقي الدعاة متحرين اجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم.
وهم سبعة نفر منهم ابو غفير وابو سلمة وابو الحسن بن الترمذي وجياد بن
الخشعمي وأحمد بن الموصلي وأبو محمد الكوفي ، وهو والد أبي مهزول الذي
قتل موالي موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم . ولما اجتمع هؤلاء النفر
المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا . ولا صلاة لنا ولا صوم الا بالامام . ولا
نعرف من نعطي زكاتنا . واجتمعوا مع الاولياء والمحبين . فجمعوا نفقات وقالوا
لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : امضوا فافترقوا على عمل خراسان

والعراق وجزيرة حران واليمن واطلبوه . فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد
صفته وحليته ، وخرجوا في هيئة الطوافين على دوابهم اخرجوا فيها الفلفل
والريحان والمغازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من أصناف السقط ، وجعلوا
بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل أقليم على أقسام لكل واحد منهم قسم يمضي
اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم أتوا الى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل أصبتم شيئاً .
فاذا لم يجدوا في ذلك الموضع شيئاً انتقلوا الى اقليم آخر فيتواعدون الى موضع
آخر يجتمعون فيه . وكان إذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم : هل
وقع عندكم رجل من صفته كذا وكذا ؟ كان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ،
فداروا حلب واقليم الجزيرة وغيرها . فلم يجدوا شيئاً فدخلوا اقليم حمص فنزلوا
بمعرة النعمان وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع ، وكان الامام عليه السلام قد وقع
في معرة النعمان في جبل السماق في دير يقال له دير عصفورين عند كفرقوم .

فخرج أبو غفير ومعه جياده الى معرة النعمان في جبل السماق ، وهو ينادي
مغازل لبان مرايا » فاجتمع اليه النساء والصبيان فسألهم هل وقع رجل صفته
كذا وكذا ؟ فقال له صبي وامرأة هب لنا مما معك ونحن ندلك على هذه الصفة
فوهب لهم مصطكي ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له الساعة جزنا
بدير عصفورين وغلامه واقف على رأسه فقال لهم أبو غفير الله دلوني على
الطريق الى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل الى الدير واخرج
الكتاب الذي معه وفيه الصفة والحلية . ولم تكن له معرفة قبل ذلك . ولما
وقف عليه عرفه بالصفة فنزل وخر لله ساجداً شكراً له اذ وقع عليه وقبل
الارض بين يديه فقال له من تكون ؟ فقال له أنا فلان ابن فلان ، ونحن سبعة
من الدعاة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعاتك في جميع البلدان
افتقدوك وبقوا حائرين . فقال يا هذا انما جئت الى هذا الموضع لاستر نفسي
فيه ، فجئتم لتكشفوني . ولكنك بعد اذ جئت واجتمعت معي فارجع وعرف
اصحابك ليجيئوا اليّ بأجمعهم فاجتمع معكم لاعقد عليكم ما ترجعون به ان شاء
الله تعالى . فخرج أبو غفير فرحاً مسروراً فاجتمع مع اصحابه وفرحوا بذلك

فرحاً شديداً، فمضوا بجماعتهم الى دير عصفورين فاجتمعوا معه صلوات الله عليه، فقال لهم ارجعوا وقولوا لدعاتي انا قد أصبناه في موضع كذا . فمضى هؤلاء السبعة فأعلموا جميع الدعاة في جميع الآفاق .

وأتى هؤلاء الدعاة إلى محمد بن عبدالله بن صالح (باني سلمية) فقالوا له ان ههنا رجلاً بصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار . فأمرهم أن يطلبوا موضعاً يصلح له ، وفرح به وأنزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها ، فاشتروا له دار أبي فرحة ونزل (ع.م) بسلمية كسائر التجار . فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وأتى اليه طوائفه ودعاته وأحدث قصراً شامخاً .

وهو عبد الله الاكبر (ابن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) وبعث دعاته الى جميع البلدان سراً وعزل وولى على انه رجل تاجر ، وولد له بها احمد وابراهيم وتوفي وكانت الامامة بعده لاحمد دون ابراهيم . وبقيت الامامة في عهده ومن بعده ناضرة زاهرة في خفض من العيش ونعمة من الدنيا وحياطة من الحاشية والحشم . يراسلها الاتباع والانصار وتؤاتيها الذخائر والهدايا . على حين كانت سياسة الائمة تقوم على حسن المعاملة ولطف المجاملة مع العشراء والجيران حتى مع من يفد الى سلمية من عمال بغداد . وقد كانوا يحسبون الف حساب لسطو اعدائهم المغيرين ولا يأمنون غوائلهم فاحتفروا السراديب التي يبلغ طولها اثني عشر ميلاً تسير من تحتها (الجمال محملة بنفائس الاموال) . ثم تدفن تلك الكنوز تحت ابنية القصور وتحت البرك المرصوفة التي لا تنضب منها المياه صيفاً ولا شتاء وكذلك تحت الأشجار والنخيل كل ذلك للابهام على اللصوص والمغيرين.

قال وكانت الاموال والذخائر تحمل اليه من كل بلد من قبل الدعاة الى سلمية ، قال وكان الامام قد حفر سرداباً في الارض من الصحراء الى جوف داره سلمية طوله اثنا عشر ميلاً ، وكانت الاموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار ، وتخرج في الليل ويغمي علي باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد . وكانت أموال عظيمة حتى يقال انه ما كسب المهدي قدس الله روحه بعد ان فتح الله

له الا نحواً مما خلف بسلمية (١) . قال ثم دعا المهدي (ع.م) محمد بن عزيزة وقال نحن نسير بالغداة على بركة الله وعونه ، فارجع انت الى سلمية واجمع لك من قدرت عليه من الغوغاء والعوام وخذ بيدك فأساً وافرق عليهم ما استطعت من الفؤوس وسبنا لكل ما تقدر عليه ، وانسب الينا كل قبيح واحمل العامة على هدم دورنا ، فاذا صح لك ذلك فاعمل على أن تقلب العلو على البركة التي تحته حتى لا يتبين لها أثر ولا يعرف لها خبر ، فاذا فرغت من ذلك فاخرج بهم الى النخلة التي على باب المدينة ، فاقطعها واظهر لهم ان تحتها كانت تعقد العقود وليتم لك قطعها ، فاذا فرغت من ذلك كله فأقم حتى يرد عليك أمري بالقدوم عليّ في الوقت الذي يصلح فيه قدومك ان شاء الله .

قال جعفر : والسبب في ذلك أن الامام (ع.م) كان قد حفر بركة ورصها واتقنها وملأها أموالاً ثم رص فوقها وبنى عليها بركة أخرى على قدرها وأجرى اليها الماء . فكان لا يبرح الماء منها شتاء ولا صيفاً ، وكان أكثر جلوساً عليها . قال وسبب قطع النخلة ان أموالاً أتت الامام (ع.م) في الليلة حسب ما كان يرد عليه ، فغلط من قدم بها بباب السرداب فلم يذكره حتى قرب من باب المدينة فلما خشي ان يفضحه الصبح دفن الاموال التي قدم بها تحت النخلة التي بقرب باب المدينة أو من سور المدينة .

وقد حرص الفاطميون على هذه السياسة المالية جهد طاقتهم . فلم يهملوا الأموال ولم يسرفوا فيها . بل تسلحوا بها واستفادوا منها . وكانوا على اختلاف نزعاتهم معروفين بالثروة الطائلة ولانبالغ اذا قلنا انهم كانوا أغنى ملوك عصرهم. وسنرى في الاموال التي جهز بها جعفر وفيما وعته خزائنهم من كنوز اللآليء والجواهر ما يدلنا على مبلغ هذا الثراء العظيم والى ان ضعف أمر الفاطميين في مصر كانت ثروتهم من القوة والوفرة بما لا متسع لحسابه او عده . ومن هذه الاموال استطاع صلاح الدين أن يجهز الجيوش العظيمة بالمؤونة والسلاح. وبفضل هذه الاموال الفاطمية اتيح له أن يوجه الضربة القاضية على الصليبيين فيحطم

(١) من كتاب استتار الامام صحيفة (١٠٨)

شوكتهم ويقضي على آمالهم القضاء الاخير . وحسبك ان تعلم ان وزير الخليفة
العزيز بالله يعقوب بن كلس كان يتقاضى في كل سنة ما قيمته أكثر قليــلا من
خمسين الف جنيه مصري لتدرك مــا كان لديهم من الكنوز والثروة وخزائن
الاموال التي فاقت العد وتجاوزت الحساب .

واذا كان الخلفـاء في بغداد قد تضاءل شأنهم وأصبح أمرهم في يد الأتراك
وانحصر نفوذهم في العراق فهم على اي حال لم يكونوا يدخرون سهماً في كنانتهم
دون أن ينفذوا إلى الفاطميين في مخابئهم ومكامنهم حيثما اختبأوا واينما أقاموا .
ولو كان الأمر أمر بغداد لهان الخطب (ولكنه هم ثان وثالث)فقد نجم عن هؤلاء
الائمة من ابناء دعاتهم واصفياء دعوتهم عدو قوي الخصومة عنيف العداوة بارع
الحيلة خطير الشأن . والعدو القريب يكون دائماً أعلم بالمقتل واعرف بالمكمن
وادرى بالخصوم والانصـار على السواء وذلك هو أبو مهزول القرمطي ابن أبي
محمد داعي الكوفة . والحديث عن أبي مهزول يسلك بنا في شعـاب التفاصيل
التي تلتوي بهذه المقدمة عن طريقها المحدودة ولكن لا مناص لنا من وقفة تأمل أمام
هذه الشخصية الشاذة العجيبة . فقد استطاع ابو مهزول ان يفتك بدعاة المهدي
وهو أعلم بهم . بل استطاع ان ينفذ الى سلميَّة فيقتل الهــاشميين ويدع بيوتهم
خاوية وأجسادهم عارية تأكلها السباع الضارية .

ولما وصلت كتب الهاشميين التي كانت مع ابن ابي الأغر على انه يوصلهـا الى
المعتضد ، قال له جميع الدعاة اذا كان الامر على هذا وقد فعلوا ما فعلوا فشأنك
بهم فوجه (أبو مهزول) في طلبهم الخيل . فأتوا بهم وهم احمد بن محمد وابراهيم
بن محمد وصالح بن محمــد وفضل بن عبدالله وعباس بن عبدالله وبلهجة بن
عبدالله وجماعة الهـاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخاً ، وقفوا بين
به وقالوا له لأي شيء وجهت في طلبنا ، فدفع اليهم الكتب وقال أليس هذه
كتبكم وخطوطكم بأيديكم كتبتم بها الى المعتضد تنتصرون به يوجه الينا بالعساكر
فقال أحمد بن محمد وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ولكن عفوك يلحقنـا .
قال ابو مهزول لعنة الله لاعفا الله عني ان عفوت عنكم ، وامر بهم ان يجرّوا

بكبولهم الى باب اليهود ، وأمر رجلاً كان يهودياً اسلم على يديه من أهـل تدمر
ان يضرب رقابهم . ولما كان من الغد بعث خيــل العسكر الى دورهم فأحرقوا
النساء والصبيان والبنات والاطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة واربعين
نفساً ، فقتلوا كلهم ونادى في جميع اهل سلميَّة ان لا يدفن منهم أحد ولا يستر ،
ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة . فبقوا كذلك حتى أكلتهم الكلاب والطير .
وقد جاء في (كتاب استتار الامام ص ١٠١) ما يلي :

وأمر (أبو مهزول) أن يطيب له الحمــام . فدخل الى المدينـة على
بغلة مزورة من الباب الشرقي ومعـه نحو الف فارس ، وكان طريق الحمام على
باب المهدي (ع.م) ، فدخل الحمام وخرج وارى انـه خارج الى العسكر حتى
جاز ووقف على باب القصر . وكانت جارية المهدي (ع.م) معها ولد يقال له
محمد ، فهربت مع داية هذا الصبي لما أحست أن الفاسق دخـل من باب القصر
الكبير خرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هذه الجارية يقال لها « لعب » قديمة
بالقصر لانها كانت للشيخ محمد بن احمد ، ثم صارت للمهدي (ع.م) من بعده .
فهربت فرآها محمد بن عزيزة فكان عارفاً بها ، فقال للذي كان معه هذه جارية
الشيخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعه خمسة نفر . فقال لها : أين تريدين يا لعب ،
فقالت له يا محمد انا ربيناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخـل
قصرنا وليس نعلم ما يريد بنا ، فاسترنا فانه لم يعرف بي احد غيرك . فقال هاتي
جميع ما معك من الحلي وامضي لشغلك ، فأعطته جميع ما معها من الحلي ومضت
حتى دخلت دار رجل من التجــار يعرف بابن أبي مصحف فقالت له يا محمد
استرني ، فقال لها ادخلي ان كان لم يرك أحد ، وعرفته ان الفاسق قد دخــل
القصر . وكان قد تبعها أحد الخمسة فعاد الى أصحابه فخبرهم الموقع فلما دخـل
اللعين القصر نصب له كرسي جديد في فسقيته ، فقــال الدعاة الذين كانوا في
عسكر الفاسق لأبي محمد الداعي : أنت مدل على هذا الرجل فاعرف ما يريد
بهذا القصر ، وعرفه ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعـة وابو الحسين دعاتنا
لهذا القصر ؛ ودخل اليه أبو محمد فسلم عليه فقال له : يا هذا الرجل أنا رسول

الجماعة اليك انهم يقولون لك ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة فلا تحدث فيه حدثاً ولا تؤذهم بشيء . فقال له الفاسق لا يا أبا محمد لا نحدث فيه حدثاً ، فاخرج وامض الى المعسكر وانا خارج خلفكم .

فخرج ابو محمد فعند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من في القصر واعلم لخبايه واسبابه ، فداروا فلم يجدوا ووقعت الصيحة لعب لعب ، فقال لهم محمد بن عزيزة أنا اعرف موضعها وأنا أجيء بها ، فأدخلوه الى القرمطي فقال له امض وجيء بها الساعة . فمشى بن عزيزة الى دار ابن أبي مصحف ، فدق الباب وقال اخرجي فأنا قد أخذنا بك ، واخرجها صاحب الدار خوفاً على نفسه فأخذها محمد بن عزيزة مع ولدها ودايته حتى اوصلها الى القرمطي . فسلم عليها سلام مودة ورحب بها وسألها عن مولاها . فقال كيف غبت عنا ونحن لا نستغني عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا . فقالت له هو قادم عن قريب ان شاء الله ولا يتأخر اكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال احمد وابن مال محمد وابن مال حسين وابن مال هذا القصر وابن مال مولاك الهارب منا واقبل يتجنى عليها قليلاً قليلاً . فقالت له ما أعرف ابن اموالهم وانا محدثة في هذا القصر ، ثم قالت له كم تطيل الخطاب وتتجنى علينا ، انما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين وتقل الصبيان والله بيننا وبينك . ثم قالت له يا عدو الله يا لعين نسيت فضل مولاي عليك وعلى ابيك من قبلك وهجمت علينا وروعت اولادنا كفراً بما انعم الله عليك ونفاقاً على اوليائه واسمعته ما يكره لما علمت انه يريد قتلهم لعنه الله ، ثم قالت يا عدو الله وعدو اوليائه ان عزمت على قتلنا قتلك الله ولعنك الله ولا بد من ذلك ، فلا تدعنا كما تركت الهاشميين مكشوفين، فليس نحن مثلهم واسترنا ولا تكشفنا. فقال لها ان قتلتك ابن تريدين ادعك ، قالت استرنا في هذا الصهريج وكان قد امر بحفر صهريج فأمر الصقالبة ان يدخلوا السيد ابن النداف السياف التدمري فدخل اليه وسيفه مجرد في يده ، فقال اضرب عنق هذه وارمها في هذا . فرميت في ذلك الصهريج وقتل ولدها ومن كان معها وفرق الصقالبة فأتوا اليه

بجميع من في ذلك القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء فقتلهم كلهم ورمى بهم في ذلك الصهريج وكانوا ثمان وثمانين نفساً ولما أتى عليهم قدموا له بغلته فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط ما فيه[1] .

ولكنه لم يستطع ان يصيب المهدي بسوء اذ كان مقيماً بالرملة في عشرات من البيوت قد اتصل بعضها ببعض بطرق وسراديب يضل فيها السالك ويحار الدليـــل .

ثم ها هو ابو مهزول قد امسك بختامه وهو شارد في العراق بعد تفرق عسكره ثم ها هو يوقف امام الخليفة العباسي وتصب السياط على ظهره فماذا كان قوله الاخير وهو بين الحياة والموت . تتفصد عروقه ويتناثر لحمه . لم يكن له قول سوى ان يكيد مرة أخرى للمهدي وان يوجه اليه آخر سهم في آخر نفس فدل على اوصافه وأتهمه بالتهريج وبين كل ما يعرف عن شخصيته .

وكان المهدي ع م يسكن بالرملة دوراً كثيرة يستتر من دار الى دار . الخ[2]

وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطي أبو مهزول على شاطىء الفرات في موضع يقال قرقيسيا ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغداد .

واتصل بالمهدي ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم انه اتصل به ان القرمطي وصل الى المعتضد ، فدخل من الرملة الى مصر فأقام مدة . ولما رجع الى القرمطي الى بغداد شهر ونودي عليه ونصبت الدكة للمعتضد وفرش له البرمية حتى يشرف على قتله ، وهو يضرب بالسوط فقد يقولون من أنت وأيش أنت وأيش أصلك ولمن كنت تدعو فقال لهم ما أنا من أهل الرياسة ولا من أهل القرامطة ، إنما أمرني بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعني المهدي (ع.م) ، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته وكتبت صفته على ما وصف الملعون ،

---

(١) من كتاب استتار الامام ص ١٠٣
(٢) من كتاب استتار الامام ص ٩٨

ثم مات لعنه الله بالعذاب واحرق بالنار[1] . وما اعرف رجلاً كانت حياتـــه فتنة وموته فتنة مثل هذا الرجل . أما فتنته الاولى فهي ما علمت . وأما فتنته الثانية فهي ان الخليفة وقد علم ما كان خفياً عنه من أمر المهدي بعث رسائله الى العمال بالتنقيب عن المهدي وبث العيون والارصاد لاكتشاف مخبإه .

وفي تلك الفتن العاصفة وبين الظلمات المدلهمة كان المهدي آمناً في سربـــه تصل اليه الانباء في جميع الاوقات وكانت الطيور تحمل الرسائل من دعاته .

وفرق حينئذ المعتضد البريد في جميع الآفاق وأمر العمال ان يطلبوا هـذه الصفة فلم يجدوه . وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبي العباس أخي عبد الله الى طرابلس الغرب ، فقطع عليهم الطريق بالطاحونـــة ، وضرب ابو العباس أخو أبي عبد الله بسيف على وجهه . فوصلوا الى طرابلس على ملحق البريد وهو فيها ، فلما وصل الكتاب داروا على الصفة ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التي كان بها ، فلما رأوه قالوا: هذه الصفـــة صفتك وانت المطلوب لا شك ، ولكنا نخليك عن العقلة فارحل عن بلدنا ولا تقم فيه . وكان ابو العباس بن حسان بها ، فرحل معه حتى وصل الى قسطيلية ودخـــل الى سجلماسة فأقام بها ثلاثة أشهر حتى لقيته الحرم مـــع يوسف القهرمان وطيب الخاضن ، ومع ذلك كتب أبي عبد الله تترى تطلبه حيث ما نزل ، فكتب اليه ان أقدم فقد استقامت كل العساكر فتأخر حتى قدم اليه ابو عبد الله سجلماسة وخرج المهدي (ع.م) ، وولده أبو القاسم محمد الامام (ع.م) وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف[2] .

قال جعفر وكان قد خرج في ذلك الوقت رجل خارجي يزعم انه قرمطي ، فلم يشك الخليفة بأنه لنا يدعو ومن قبلنا خرج لانه سار يريد سلمية فبادر الخليفة بالتركي وقال له ان سبقك القرمطي الى سلمية قطعت رأسك فاجهد ان تسبقه

(١) من كتاب استتار الامام ص ١٠٦ .

(٢) من كتاب استتار الامام ص ١٠٧ .

وتقبض على الرجل وتنحدر به الى بغداد في البحر فانه ان سبقك القرمطي شد ظهره واستفحل أمره فكتب الدعاة الى المهدي بالله صلوات الله عليه من بغداد على أجنحة الطيور ومع الفيوج بما جرى[1] . وكان نفوذ دعوته يجد تأثيراً غير قليل في نفوس العامة والخاصة حتى عند ولاة الخليفة .

وكان من اتباعه من له نفوذ في بلاط بغداد لذلك لم يكن لتلك الاعاصير ان تنال من تلك الدوحة الراسخة . أما الآن فقد انتقل المهدي من الرملة الى مصر . ولكن الرسائل من ورائه والرسل في طلبه والجواسيس في اثره والمكافآت المالية تلمع ببريق الذهب لمن يدل على مكانه والعقوبـــة الصارمة بالمرصاد لمن يأويه او يناصره . ولم تستطع ايضاً تلك السهام المصوبة من كل حدب وصوب ان تطفيء سراجه . فقد كان له بمصر من يوالونه ويفدونه بمـــا وسعهم من تضحية وايثار ومنهم الداعي أبو علي . وقد احتالوا بالقبض على جعفر الحاجب وانهالوا عليه بالضرب الخفيف المهين وذلك ارضاء للهيئة الحاكمة الرسمية ولكن سيل الفتن لم يكد ينقطع . فقد انتهت فتنة أبي مهزول وما تبعها من خطوب وارزاء . ولكن المهدي امتحن مرة اخرى بتسمم فرع من شجرته ومروق داع من كبار دعاته عن دعوته . وذلك هو فيروز صهر أبي علي داعي مصر . فان المهدي عند ما اعتزم المضي الى طرابلس انفصل عنه فيروز الا ان فتنته لم تحدث اثراً كبيراً . وكان يمكن ان يكون لهـــا أسوأ النتائج لو جعل بغداد مكان اليمن في رحلته وقد ظن انه يلتمس مرتعاً خصيباً لبناء مجد جديد فكان بها مصرعه الاخير بعد وقوع حوادث له مع داعي اليمن .

قال فسرنا ولم ننزل بها حتى وصلنا الى الرملة فنزلنا بها عند عاملها ، وكان مأخوذاً عليه ، فلم يدر من السرور برؤية مولانا المهدي ع كيف يخدمه ، ورفع المهدي فوق رأسه وقبل يديه ورجليه قال : فاذكر قيامي على رأس المهدي أنا وطيب وأبو يعقوب على المائدة والعامل مع المهدي ع م والقـائم ع م وفيروز

(١) من كتاب استتار الامام ص ١٠٩ .

يتغدون اذ ورد النجاب الذي ورد الى دمشق من بغداد بكتاب القبض علينـا وبصفة المهدي واسمه . قال فقرأه العـامل ودفعه إلى المهدي ع م فلما وقف على ما فيه انكب العامل على رجلي المهدي ع م يقبلهما ويبكي ، فقال المهدي ع م طب نفساً وقر عيناً فوالذي نفسي بيده لا وصلوا اليّ أبداً ولنمكن أنا وولدي من نواصي ولد العباس ولتدوسن خيولي بطونهم فلا تخش عليّ شيئاً مما ترى « فكتب عامل الرملة الى عامل دمشق جواب كتابه بأنه ما رأى هذا الرجل ولا هذه الصفة ولا علم بجوازه ان كان قد جاز ، وان لم يكن جاز فنحن نترصده على كل طريق ان شاء الله . قال جعفر فجدد المهدي ع م البيعة على عامل الرملة واقمنا عنده يومنا ذلك وليلتنا[1] .

قال وسرنا من الرملة الى مصر فاستقبلنا ابو علي الداعلي وكان مقيمـاً يدعو بها . واكثر دعاة الامام من قبله وكان فيروز الذي دعاه رباه وزوجه ابنته ام أبي الحسين ولده . فتقدم اليه المهـدي ع م قبل دخولنا مصر بان لا ينزله عنـده ولا عند من يشار اليـه بشيء من امرنا وأن ينزله عند من يثق به فأنزله عند أبي عيـاش . قال فما أقمنا الا يسيراً حتى ورد الرسول الى مصر في طلبنـا ، قال فوجـه صاحب مصر في ذلـك الوقت الى ابن عياش فاعلمه بالرسول وأقرأ عليه الكتاب ، فقال له ابن عياش أما الرجل النازل عليّ فوالله لاوصل اليه شيء الا ما يصل اليّ لانه رجـل هاشمي شريف من وجوه التجار معروف بالفضل والعـلم واليسار والذي أتى الرسول في طلبه قد اعطيت خبره أن توجه الى اليمن قبل ورود هذا الرجل بمدة طويلة ، قال جعفر فقال العامل لابن عياش نحن نقضي حقك في هذا الرجل وحقـه ولكن لا بد لنا أن نبدي عذراً بالقبض على بعض غلمانه ونقرره خوفـاً من صاحب الأخبار ، والأمر يجري له ولكن على مـا تحب ويحب ان شاء الله . قال جعفر وكنت ذلك الرجل المقبوض عليـه وقدمت الى التقرير وعلقت وضربت أسواطاً يسيرة ضرباً خفيفاً لم يكون عليّ من بأس . وكان المهدي بالله

(١) من كتاب استتار الامام ص ١١٣

(ع.م) قد تقدم اليّ قبل القبض وقال لا توجعك نفسك اذا دفعتك الى العامل دون أصحابك ، فاني أريد أن اردك الى سلميّة لتستخرج القمقمين اللذين أمرتك بدفنهما ، فليس معي من الغلمان من يعلم بهما سواك ، واذا وقفت للتقرير فقل أنا رجل حر خدمت هذا الرجل باجرة معلومة فعلى م تقررونى ولم أخدمه الا من قريب ، وأنا أرد عليه باقي اجرته وأرجع عنه الى بلدي . قال ففعلت ما أمرني به وخلى العامل سبيلي فدخلت على المهدي (ع.م) بالليل فقال لي بكر في الغداة ولا تلو على شيء حتى تصل الى سلميّة وتستخرج المال وتشتري منه أحمال قطن وتجعله في بعضها وتسرع جهدك ، واحذر أن تظهر لأحد بسلميـّـة إلا لمحمد بن عزيزة وابنه منصور المعروف بأبي الليث وحسن ابن اختـك ، وانا انتظرك بطرابلس الغرب ولا أبرح منها حتى أراك ان شاء الله[1] .

قال ولما صح عند فيروز خروج المهدي (ع.م) الى المغرب تغيرت نيته وعزم على النفاق وكان قد زوج ابنته كما ذكرنا أولا بأبي علي الداعي بمصر ، ومحمد أبو الحسين بن أبي علي الداعي ولده ، وقد بلغ محمد ابو الحسين هذا مع الأئمة المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله صلوات الله عليهم المحل الجليل العظيم ، وكان داعي الدعاة . وكان قد سأل أبو علي الداعي بمصر المهدي (ع.م) المسير معه الى المغرب ورغب في ان لا يفارقه فلم يجبه الى سؤاله وأمره بالمقـام بمصر الى الوقت الذي يصلح قدومه فيه ، فشق ذلك عليه واغتم غماً شديداً .

وخرج المهدي (ع.م) من مصر وخالفه فيروز قبل خروجه من مصر ومضى الى اليمن . قال جعفر فكان المهدي (ع.م) يقول بعد هروب فيروز اني لأعجب من رجلين مؤمنين أحدهما تغمه فرقتنا والآخر تغمه صحبتنا . قال ووصـل فيروز الى داعي اليمن وهو رجل من الكوفة وكان السبب في اتصاله بالامـام فيروز ، وهو ابو القاسم الحسن بن فرح المعروف بمنصور اليمن من بيت تشيع ، فلما وصل فيروز اليه لقيه بالتبجيل والتعظيم لما كان يعلم من محله عند الامام علي

(١) من كتاب استتار الامام ص ١١٣

وخرج له من مسكنه وأنزله . فكان يقف على رأســه حتى يأذن له بالجلوس ، فأظهر له ان الامام إنما بعث به مشرفاً عليه الى ان يقدم من المغرب بالعساكر الى مصر ويكتب اليه ليستقبله بعساكر أهل اليمن، فقدر أبو القاسم أنه صدقه . وعلم فيروز ما عمل وان المهدي (ع.م) لا بد أن يكتب الى الداعي يعرفه نفاق فيروز ويأمره بما يشاء ، فاصطفى لنفسه وصيفاً من غلمان ابي القاسم فاحسن اليه فوق ما كان يحسن اليه مولاه حتى صار آثر عنده من مولاه ، وقال له لا تكتم عني ما يحدث على مولاك في كل وقت ، ولا ما يتحدث به ويدبره في الليـــل والنهار . قال وكان ذلك الوصيف لا يكتم عنه شيئاً الى أن ورد كتاب المهدي (ع.م) مقروناً بكتاب الداعي ابي علي بمصر صهر فيروز زوج ابنته يعرفان ابا القاسم كيف جرت قصة فيروز ويأمره المهدي بقتله . فلمـــا ورد الكتاب عرف ذلك الوصيف فيروز بورود ما ورد من ذلك . فهرب لوقته وطلبه الداعي ابو القاسم فلم يدرأي الجهات سلك ، ولم يزل يبحث عنه الى أن بلغه انــه وصل الى علي بن الفضل الجيشاني وأنه افتنه وأفسده . فلمـــا علم ابو القاسم الداعي بموضعه وانه فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم ودعاه أهل بلده الى نفسه خرج اليها ابو القاسم وحاربها مدة طويلة الى ان ظفر بها وقتلها [١].

---

(١) كتاب استتار الامام ص . (١١٤)

كشف الغطـــاء

اضطرب المؤرخون في الأدوار التي خطاها أئمة الفاطميين . واذا كان الدعاة أنفسهم تعرضوا مراراً للجهل بأئمتهم وعدم الالمام بشؤونهم وعرفان مواطنهم ومخابئهم فللمؤرخين بعض المعذرة اذا جهلوا هذه الشؤون بيد ان المؤرخ لا يعذر اذا جهل شيئاً فانتحل له الاسباب لأسماء وخلق له العلل والتفاصيل ولنـــا مع المؤرخين وقفـــة أخرى عندما نتناول نسب هؤلاء الأئمة وسنحتكم الى محض الحقيقة وصريح العقل ونحن الآن بصدد مناقشتهم في مسألة لها شأنهـــا فهم يتعارفون على ان أبا عبدالله الشيعي هو الذي اطلع شمس الفاطميين من المغرب . وهو الذي استل سلطان البلاد من انياب بني أغلب . وهو الذي اقام لهم ذلك العرش الوطيد والملك البعيد . ثم قتله المهدي بعد ذلك خوفاً من غروره وخشية من نفوذه . ولكي نصل الى لب الحقيقة يجب علينا ان نعرف من هو المهدي وهذا يرجع بنا الى ان نذكر القـــارىء بأن محمد بن اسماعيل قد أنجب عبدالله وان عبدالله أعقب احمد وابراهيم وكانت الامامة لأولها واعقب احمد الحسين وسعيد الخير . وكانت الامامة للأول ايضاً ثم كانت الامـــامة لعلي بن الحسين الذي هو المهدي . غير ان سن علي في الطفولة لم تسمح له بالقيام بأعباء هذه المهمة الخطيرة فاستودع الحسين بخلافة ولده لأخيه سعيد الخير الذي حصل تلك الامامة بجميع مظاهرها كما ان لقب المهدي كان يلازم مع ما تبع من محن وخطوب وسجن والى هذا الحد كان سعيد الخير هو المهدي الذي دخل البلاد دخول الظافرين .

وقد روي عن الامام جعفر بن محمد الصـــادق في تسليمه الامر الى ولده اسماعيل وغيبة اسماعيل وولده محمد بن اسماعيل في حد الطفولة ولم تكن الامامة

ترجع القهقرى منه كما لم ترجع من غيره .. فأودع حجته المنصوبـــة بين يديه ميمون القداح مقامه لولده وأقامه ستراً عليه وقدمه بين يديـه واستكفله اياه الى بلوغه أشده . فلما بلغ اشده تسلم وديعته ثم جرى الأمر في عقبه خلفاً عن سلف حتى انتهى الأمر به إلى علي بن الحسين بن احمـــد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل (بن جعفر الصادق) . . .

وكان على يديه طلوع الشمس وذلك انه لما ظهرت الأنوار باسقة باليمن وبلاد العرب سار ولي الله في ارضه علي بن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان في بعض طريقه من الشام فأظهر الغيبـــة واستخلف حجته سعيد الخير الملقب بالمهدي . فبث قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدهما بسجلمـــاسة من العمال بالمغرب ما جرى . ووقى الله بوليه كيده ... فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله . وجرت الامامة في عقبه حتى انتهت الامامة الى مستقرها واطمأنت موضعها وموطنها ... الخ .

وقد جاء في كتاب غاية المواليد الثلاثة للعلامة الخطـــاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحمداني داعي الفـــاطميين (١١٣٨ — ٥٣٣) المحفوظ بدار الكتب بالاعظمية بباكستان) .

وفي كتاب استتار الامام : ص ٩٥ ما يلي : وولد له (عبدالله بن محمد بن اسماعيل) بـ (سلمية) احمد ابراهيم ، وتوفي وكانت الامامـــة بعده لأحمد دون ابراهيم وولد لأحمـــد بن عبد الله الامـــام الحسين وهو والد المهدي وسعيد الخير وأقام الحسين الى ان ولد له المهدي (ع.م) . فلما اتت نقلتـــه استودع له أخاه سعيد الخير إذ كان ولده يومئذ في حال الطفولية ، واستبـــد سعيد بالامامة ونص بها على ولده فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلـــك وكان له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم الى انـ هلكوا باجمعهم فعلم حينئذ سعيد الخير ان الحق لا يفارق اهله فتاب واناب الى الله تبارك وتعالى وجمع دعاته وعلمهم انه مستودع للمهدي صلوات الله عليه وسلم اليه الامامـــة واعترف له بالوديعة وتنصل اليه مما تقدم منه قبل ذلك وصارت الامـــامة الى

المهدي ع م فقال الشاعر :

الله اعطاك التي لا فوقهـــا — وكم ارادوا منعها وعوقهـــا
عنك ويأبى الله الاسوقها — اليك حتى طوقوك طوقها .. الخ

واستقبل الناس جميعـــاً بعشائرهم وقبائلهم فعرفوا شخصه وفهموه وتبينوا صفاته وسمعوا قوله فكان من العسير والحالة كما علمنـــا ان يظهر على الذي هو المهدي الحقيقي من ستار الخفاء . بـل بقي الأمر مكتوماً حتى عن أبي عبد الله الشيعي ولم يتعرف وجه الحقيقة الا بعد ان عرفه اخوه ابو العباس الذي كان ملازماً للامام من الشام الى مصر الى المغرب . ثم اقبل عبد الله الشيعي بعد ذلك مقلوب القميص أمام المهدي (وقلب القميص يقصد به عندهم الى قلب السريرة وتغيير العقيدة) فأدرك سعيد الخير ان أبا عبد الله قد أصبح أمـام حالة نفسية لا يستطيع معها النهوض بأعباء ما وكل اليه وان بقاءه بين الجحافل من البلابل والوساوس قد يدفعه الى اظهار الأمر الذي ينجم عنه حدوث فتنة وينقلب بها ذلك الملك الجديد رأساً على عقب فجعل بعد تنبيه وانذار بقتـــل أبي عبد الله تفاديا لهول عظيم وخطر داهم . قتله وهو اشد ما يكون احتفاظاً به وايثاراً له ونادماً على فراقه ومن الخطأ في القياس والتقدير ان نماثل بين مقتل أبي عبد الله وأبي مسلم الخرساني فالزمان غير الزمان والقوم غير القوم .

ومما هو جدير بالذكر ان ابتداء أمر (أبي عبد الله الشيعي) هو انه كان رجلا صوفياً جاراً لابي علي الداعي بالكوفة هو وأخوه ابو العباس محمد بن احمد ابن زكريا وابو عبد الله حسين بن احمد بن زكريا . وكان ابو العباس هذا اكـــبر سناً من أبي عبد الله . وكانوا شيعيين جميعاً فلمـــا علم بخروج أبي علي الداعي الى مصر سأل صهره فيروز ورغبا اليه معـــاً بالجوار والتشيع ولم يكونا قد ابصرا الامام ولا وصلا الى رؤيته فسأل بهما فيروز الامام بعد ان أخـــذ عليهما فيروز ورباهما وفقههما في انفاذ أبي عبد الله حسين بن احمـــد الى مصر ثم الى أبي القاسم الداعي باليمن ليعنيه فيما ندب اليه . وانفاذ أخيه أبي العباس الى القائم بمصر مع أبي علي الداعي بها فأجاب الامام (ع.م) سؤاله فنفذ أبو عبد الله من مصر الى اليمن وأقام أخوه ابو العباس بمصر مع أبي علي[1] .. الخ

(١) استتار الامام ص ١٢١ .

طلوع شمس الفاطميين

طلعت شمس الفــاطميين من المغرب كما جرت هذا التعبير أساليب كتابهم . ولم يكن في متناول الدولة العباسية ان تصل إلى تلك الافاق النائية عنهم حتى تلقي على سمائها غماما او على نورها ظلاما كما ان الحالة النفسية لجنودهم من البربر كانت من الصفاء بحيث تصلح لاتخاذهـــا حقلا خصيبا لانماء دوحة ذلك الملك الذي مد نفوذه الى المغرب ثم إلى مصر فبلاد الشام وديار مكة فالحرمين واليمن ثم النفوذ الأدبي والديني بعد ذلك في كثير من بلاد العراق وايران والهند وقـد كان التاريخ يظهر لنا البلاد الاسلاميـــة في أيدي الأمويين اولا ثم في سلطان العباسيين ثانيا . وكنا نتحدث عن خلافتين أما الآن فلا نبالغ اذا قلنا ان تلك البلاد قد أصبحت تدين لخلفاء ثلاثة عباسية في بغداد واموية بالاندلس وفاطمية بالمغرب . ولندع ذلك جانبا لنعود الى هذه الدولة الناشئة بالمغرب . فاذا بنا نرى عهود الملك من المهدي الى المعز وهي في حقيقتها عهود ترميم وتنظيم يتبعهـــا لاح والتجديد ثم يتبع ذلك كله تقوية الجيش بالعدة والعدد وانفاذ الفيالق والاجناد لافتتاح ما بقي من البلاد حتى تمتد ظلال الشجرة الفاطمية الى اقصى المواطن المغربية حتى المحيط . اما مصر فقد كانت تابعة للدولة العباسية في ظاهر ر لانها كانت تمتاز بكل مظاهر الاستقلال ولم تستقر بهـــا دولة منظمة ولا تقوم على العصبية . او تمت الى الانساب الدينية . فكانت صلتها ببغداد لا تعدو ان تكون صلة اسمية رسمية والاسر المالكة التي تولت مصر كانت قصيرة المدى بالنسبة الى عمر التاريخ ولا سيما في عهد الأخشيد ولم يكن تفكير الفاطميين فتح مصر وليد عشية وضحاها فهم منذ يومهم الأول كانوا يعدون سلطـانهم

بين المشرق والمغرب . وقد وجهوا الى المصريين حتى في ايام استتارهم عدداً من الدعاة كانوا ينزلون عندهم في بعض الاحايين كما حصل ذلك للمهدي وبعد ان تم لهم الامر جهزوا بعض البعوث ولكن الدولة الاخشيدية وهي في شبابهـــا استطاعت ان تردهم عن الاسكندرية لان البيت الاخشيدي قد اصيب بصدع في اركانه وزلزال في بنيانه واصبح الامر فيه الى كافور . ومهما يكن لكافور هذا من الشخصية القوية ومن الاستمساك بعرى الدين والتأثير بالجاه والمال والعلم فهو لا يعدو ان يكون مملوكاً مشترى ثم هو بعد لا يتصل باسرة ولا يستطيع ان يكوّن اسرة كافورية يمكن الاعتماد عليها والثقة بها . ولعل كافورا قــد شعر بمركزه بين العباسيين وهم في ضعف متزايد والفاطميين وهم في قوة مطردة واشتهر بأنه الى الفاطميين اقرب وبهم الصق فكان يحابيهم كما كان يفعل ذلك بحكومة بغداد وهو بين هؤلاء يحاور ويداور ويمالىء ويصانع حتى انقضت حياته الطويلة دون ان يحدث في امر مصر تغيير بعد ان تركت عرشاً بلا وارث وبلاد بلا ملك وكأن البلاد وقد اصبحت بين محن مالية وفتن اهليـــة بدأت تستدني الجيش الفاطمي رويداً رويداً وما هي الا كرة الطرف حتى وجه المعز جوهراً بالسيف والذهب كما يقولون . قام هذا القـــائد الصقلي بحملته الكبرى مجهزاً بكنوز الاموال تحملها الجمال وبالفيالق تقطع بها السباسب والرمال . وقـد ودعه المعز أحسن التوديع وهو على ثقة من نهايـة ذلك الظفر ونتيجة ذلك الفتح الذي لم يعان فيه جوهر الا قليلاً من المقاومة . وقد بنى مدينة القاهرة وأقام بها المسجد الازهر وبنى جامعة للصلوة وجامعة للعلوم واتم ذلك كله في ثلاث سنين واستدعى الخليفة المعز وكان لقدوم هذا الخليفة يوماً مشهوداً . انتخب له الزمان واصفى له يوم الجمعة من رمضان واستقر له الملك كما هو معروف في التاريخ وقد قامت مدينة الفاطميين في حكمهم على ثلاث ظواهر . الاولى مدينـة التشييد والتعمير وابتناء القصور وانشاء الحدائق على شواطىء النيل وخلجانه ولها من الازهار الوان ومن كل فاكهة زوجان كما ان مدينة القاهرة أخذت شكلاً جديـــداً من الرواء والعمران فعظمت مبانيها وارتفعت طبقات منازلها الى خمس طبقات أو ست كما ارتفعت اسوار القصور الى ما يبلغ أربعين متراً وكان منظر القاهرة اذ ذاك

يدعو الى العجب والاعجاب ويحمل على الدهشة والاستغراب ففي أقصر مـدة أقيمت اعظم مدينة واتسعت تجارة مصر وتحسنت زراعتها ، وتوالت اليهـا الوفود في طلب التجارة او الاقامة -- ولعل هذا اللون من المدنية كان يقصد به منافسة اندلس ومحاكاة منازلها الطبيعية واقامة ملك شامخ محاط بمظاهر الأبهة والجلال والكلام عن هذا -- اللون يتمادى بنا الى اسهاب تغنينا عنـه الكتب والمؤلفات المخصصة لذلك التاريخ .

وقد قال ابن خلكان في تاريخه (ج ٣ ص ٣٨٥) ولما استولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره اختار منه ما أراد ووهب اهله ما أراد وباع منه كثيراً وكان فيه من الجواهر الاعلاق النفيسة ما لم يكن عند ملك من الملوك قـد جمع على طول السنين وممر الدهور(١) الخ ..

أما الظاهرة الثانية في المدنيـة التي تقوم على نشر الأدب وفنون الحكمة ونواحي العلوم المختلفة ولا سيما الدينية منها . والاستكثار من الكتب وبنـاء الخزائن والمكتبات المفعمة بمئات الألوف من الكتب بخطوط مؤلفيها كان يقصد بذلك الى معارضة بغداد وانشاء عصر يفوق عصر المأمون وعهد أبيه هارون وقد حملت هذه المكتبات والمؤلفات كثيرين من طلاب العلم على ارتيادهـا والاختلاف اليها . وأصبحت مصر في ذلك قبلة الشرق والغرب ومحجة القاصي والداني كما انها شجعت على التأليف وفتقت أذهان العلماء والمؤلفين ونفحت روحاً جديدة في الكتاب والشعراء ولهذا تفوقت مصر بحضارتها الجديدة من عـلم ومدنية بحالة لم تطلع بها الاندلس ولا بغداد اذ كانت حياتها عرضة للأعاصـير والانقلابات .

وصف ناصر خسرو الرحالة الفارسي المشهور (في القرن الخامس الهجري) مدينة القاهرة المعزية وصفاً شائقاً وقد رآهـا في ذلك الوقت (بين سنتي ٤٣٩ و٤٤١ هـ) كانت قد ثبت عمادها وأصبح فيها ما لا يقل عن عشرين الف دكان

(١) ابن نجب ص ٢٣ .

كلها ملك للسلطان . وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير في الشهر وليس بينهـا الا قليل تبلغ اجرته في الشهر دينارين . وكان فيها من الخانات والحمامات ما لا يمكن حصره . وكانت كلها ملكاً للسلطان أما قصر السلطان نفسه فقد كان في وسط القاهرة وبينه وبين ابنيته المحيطة به فضاء يفصله عنها . وكان يحرسه في الليل خمسمائة حارس من الفرسان وخمسمائة حارس من الرحـالة وكانت اسواره عالية فلا يستطيع أحد رؤيته من داخل المدينة . بينا يبدو من خارجها كالجبل. وكان في القصر ألوف من الخدم والنساء والجواري وله عشر بوابات فوق الارض وباب يقود الى ممر تحت الارض يعبره الخليفة راكباً ليصل الى قصر آخر وكان كل كبار الموظفين في قصور الخليفة من الروم او السود ومما لفت نظره ان التجار كانوا يبيعون بأثمان محددة وان الذي كان يغش الناس كانوا يركبونه جمـلا ويضعون في يده جرساً يدقه ويطوفون به البلد وهو يصيح بأعلى صوته لقـد كذبت وها أنذا القي عقابي جزا الله الكاذبين . ويقول ان تجـار الجواهر والصيارف لم يكونوا يحفلون باغلاق حوانيتهم إذ لا يخشون عليها من اللصوص (من سفرنا من ناصر خسرو بالايرانية ص ٦٠ وقد ترجم معظم ذلك لين بول في كتابه The story of cairo).

كان للفاطميين في القاهرة مكتبات منهـا اربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنفائس المؤلفات الجليلة القدار ونوادرها المعدومة المثال . وكان اشهر هـذه الخزائن كما روى المقريزي عن ابن الطوير في المارستان العتيق في القطر الشرقي ولم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم منهـا وذكر ابو شامه نقلاً عما اورده ابن ابي طي عن القصر بعد سقوط الخلافة الفاطمية ان مكتبة الخلفاء كانت من بين محتويات القصر التي باعها الايوبيون في عهد صلاح الدين وقال : ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التي كانت في القاهرة في القصر . ومن عجائبها انه كان فيها الف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري . ويقال انها كانت تشتمل على ٦٠٠،٠٠٠ كتاب ، وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشيـاء كثيرة (كتاب الروضتين لابي شامة طبعة القاهرة

ج ١ ص ٢٠٠) وقد روى هذا الكاتب عن عماد الدين الاصفهاني ان عدد كتب هذه المكتبة يبلغ ٢٠٠٠،٠٩٠ كتاب .

وكان من عادة الخليفة اذا زار المكتبة ان يترجل ثم يسير الى دكة مرتفعة فيجلس عليها فيأتيه الخازن بنسخ من المصحف مختلفة الحجم وبكتب اخرى في مواضع مختلفة لمصادقة الخليفة على اقتنائها [1] .

وقد اصاب هذه الخزائن من الاحن بتوالي الفترة مثل ما اصاب مكتبة الاسكندرية في عهد الروم فألقى بعضها في النار والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء فسفت عليها الرياح حتى عرفت بتلال الكتب واتخذ العبيد من جلودها نعالاً . وطرح ما بقي منها عند دخول الأكراد للمبيع في اواسط القرن السادس للهجرة . وكان في جملة ما أخرجوه نحو ١٣،٠٠٠ من خواص الكتب اعطاها صلاح الدين للقاضي البيساني « كما ذكر ابن خلدون في تاريخه (راجع خطط المقريزي ج ١ ص٤٠٨ طبع بولاق) ومواداً للطاقة ص ٢٧ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٠٥ ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣ ص ١٤٢ .

اما الظاهرة الثالثة في نشر العقائد الفاطمية بطريق الدعاية والانصاف يحتم علينا ان نقول ان الفاطميين لم يرغموا الناس على الاخذ بمذهبهم واعتناق عقائدهم اذ هم يعلمون ان خطة الارغام والاكراه لا توصل الى شيء واصدق برهان على ذلك ان حكمهم قد لبث في مصر زهاء ثلاثة قرون ثم لا نسمع ولا نرى أحداً في مصر يعتقد عقائدهم او يعرف عنها شيئاً لان شعار دعوتهم كان لا اكراه في الدين . في حين كان غيرهم من الخلفاء اذا ارتأى رأياً او انتحل نحلة يرغم عليها سواد الناس ويحمل الجميع بقوة السيف على اعتناقها كما حصل ذلك عند القول بخلق القرآن في عهد العباسيين. قلنا ان الفاطميين تركوا حرية الاعتقاد والتفكير كما تركوا لطلاب الازهر حرية انتخاب المذهب الفقهي الذي يميلون اليه .

---

(١) خطط المقريزي ص ٤٠٩ .

ونزيد على ذلك ان الحاكم بامر الله وهو أشد ملوكهم بأساً ، وأعظمهم جبروتاً لم يفكر في ارغام احد من خصومه على عقيدة يعتقدها وأما ما صدر عنه من الاحكام الشديدة فكان يرجع اما لظروف سياسية خاصة واما لحالات ضرورية كان يعتقد ان النظام لا يستقر بدونها وقد حمل المعز الى مصر رفات أجداده وجميع اولاده وولى على المغرب من يخلفه فيها . وبهذا أحس الفاطميون ان مصر وطنهم الأول والأخير فاخلصوا لها وتوسعوا في بسط نفوذهم بها ودان لهم السلطان في بلاد الشام والحجاز واليمن كما سبق وقد تخلل ذلك حروب وازمات داخلية الا ان ازدهار تلك المدنية بقي يصابر الزمان . ويجالد الحدثان اما فداحة ثروتهم وثروة ابنائهم واقاربهم من الضياع والبساتين وسبائك الذهب وخزائن الجوهر واقتناء الوف الجواري والغلمان وغيرها . فالحديث عن ذلك يشكل مؤلفاً كاملاً .

وأهم خصائص الازهر انه وان بدأ كغيره من المساجد الا انه لم يلبث ان اصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواده من كل صوب وحدب الكثير من مختلف العلوم والفنون وأول من فكر في تحويل هذا الجامع الى جامعة هو يعقوب بن كلس (الفاطميون في مصر ص ١٢٧).

ورحلة عبد الوهاب بن نصر المالكي كما سيأتي ذكره وهو فقيه مالكي متشدد لتدلنا على مبلغ ايمانه بسعة صدر الحكومة الفاطمية وعدم تعصبها وهو برهان على انهم تركوا حرية الاعتقاد والا لما فضل ابن نصر الحياة في جوارهم على بلاد هي أقرب لعقيدته ومذهبه في مصر في تلك الآونة .

واني شخصياً أعتقد ان التاريخ الموجود المنتشر لدى الجمهور قد ظلم الحاكم خاصة والفاطميين عموماً وهكذا قال الاستاذ عبد الله عنان المصري في كتابه الحاكم بأمر الله ص ٨٨ .

ولنلاحظ أولاً أن ما انتهى الينا من أقوال الرواية الاسلامية انما هو في الغالب أقوال المؤرخين السنيين خصوم الشيعة وخصوم الدولة الفاطمية واننا لم نتلق من تراث الشيعة الذي بددته الحوادث والدول الخصيمة ما يلقي ضياء كافياً

على ذلك الخطأ والذي يحيط بشخصية الحاكم أو عماله .

جاء في كتاب المجالس المؤيدية لداعي دعاة المستنصر وهو أحـــد كتب الفاطميين الاصولية (كتب الاصول عند الفاطميين أربعة : دعائم الاسلام لقاضي قضاة المعز والمجالس المؤيدية لداعي المستنصر بالله وكتاب راحـة العقل لداعي دعاة الحاكم بأمر الله ورسائل اخوان الصفاء للامام الفاطمي جد المهدي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) .

اللهم فكل من دعي الى الامامة الاسماعيليـة وانتمى الى الدعوة الفاطمية فتنقّص واحداً من الرسل او قدح في شيء من الشرائع والسبل او حل في شيء من مناسك شريعة محمد صلاتها وصومها وزكاتها وحجها وجهادها وحرامهـــا وقضاياها وأحكامها ... من ماض وغائب وحاضر اللهم فاجعله موقع النقمات وموضع اللعنات — من أهل الارض والسموات اللهم انا نشهدك ملائكتك اننا براء ممن هذه سبيله وأنه من المشركين وان الله بريء من المشركين) .

اما نسب الفاطميين فقد وقع للمؤرخين اشتباه عظيم فيه وحق لهم ان يشتبهوا فقد أسلفنا ان أئمتهم كانوا يحتجبون حتى عن حاشيتهم وأشد المتصلين بهم وربما لبس الامام ثوب داعيه او الداعي ثوب امامه . وربما احتجب أمام مستقر بامام مستودع كما حصل ذلك للمهدي وسعيد الخير . وهنا انفسح المجال للمرجفين بهم والطاعنين عليهم . فأخذوا يصنعون الاكاذيب ويفترضون الفروض ويؤلفون الكتب محاولين هدم اصولهم والتشهير بعقائدهم ويذيعونهـــا في كل البلاد بكل اللغـــات وكان يزيد هذا الاضطراب عند المؤرخين اذ كان يوجد لتلك الدولة خصمان منافسان اولهم اموي بالأندلس ونستطيع ان نعرف ذلك من الخطـاب الذي رد به احد ولاة الاندلس على الخليفة الفاطمي والخصم الآخر في بغداد فقد اخذ العباسيون يستشهدون الشهود ويستكتبون المحاضر غير مكتفين بالعلمـاء وأولي الرأي فيهم بل استكتبوا الهاشميين ليكون ذلك من قبيل شهادة المرء على نفسه . إلا ان عقلاء المؤرخين لم تخدعهم تلك الحيلة ولم تمنعهم خصومة الفاطميين في العقائد من قول الحق في نسبهم محتجين لذلك بأن انفصال نوح عن ابنه وابراهيم

عن ابيه آذر والرسول الكريم(ص) عن عمه ابي لهب ؛ كل ذلك لم يقدح في نسب ولم يطعن في القرابة ولم تخل هذه الدولة من طاعن عليها ومرجف بها .

قال ابن اثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ :

وقد اختلف العلماء في صحة نسب (المهدي) فقالوا هو وأصحابه القائلون بامامته ان نسبه صحيح على مـا ذكرناه ولم يرتابوا فيه وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب الى موافقتهم ايضـاً ويشهد بصحة هذا القول ما قاله الشريف الرضي في هذا الصدد :

ما مقامي على الهوان وعندي   مقول صـارم وأنف حميّ
احمل الضيم في بلاد الاعادي   وبمصر الخليفـة العلويّ
مـن ابوه ابي ومولاه مولا   ي اذا ضامني البعيد القصيّ
لف عرقي بعرقه سيد النا   س جميعـاً محمـد وعليّ
ان ذلّي بذلك الجد عز   وأوامي بذلك الربع ريّ

واننا نرى الشريف الرضي لم يودع هذه الابيات في ديوانه خوفاً ولا حجة بما كتب في المحضر المتضمن القدح في انسابهم فان الخوف يحمل على اكثر من هذا على انه قد ورد ما يصدق ما ذكرته وهو ان القادر بالله لما بلغته هذه الابيـات احضر القاضي ابا بكر بن الباقلاني فأرسل الى الشريف ابي محمد الموسوي والد الشريف الرضي يقـول له قد عرفت منزلتك منا ومـــا لا نزال عليه من الاعتداد بك بصدق الموالاة منك وما تقدم لك في الدولة من مواقف محمودة ولا يجوز أن تكون أنت على خليقة ترضاهـــا ويكون ولدك على ما يضادها . وقد بلغنـا انه قال شعراً وهو كذا وكذا فيا ليت شعري على اي مقام ذل اقام وهو ناظر في النقـــابة والحجيج وهما من اشرف الاعمال ولو كان بمصر لكان كبعض الرعايا واطال القول فحلف أبو احمد انه اعلم بذلك واحضر ولده وقال له في المعنى فانكر الشعر . فقال له اكتب خطاباً الى الخليفة بالانذار واذكر فيه ان نسب المصري مدخول وانه مدح في نسبه فقال لا افعل فقال أبوه أتخـاف ممن هو بعيد عنك وتراقبه

وشخط من هو قريب وانت برأى عنه وهو قـادر عليك واهل بيتك . وتردد
القول بينهما ولم يكتب الرضى انه قال هذا الشعر واندرجت القصـة على هذا
ففي امتناع المرضى من الاعتذار من ان يكتب طعناً في نسبهم مع الخوف دليل
قوي على صحة نسبهم . وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين في نسبهم فلم يرتابوا
في صحته وذهب غيرهم الى ان نسبه مدخول ليس بصحيح . وعدا طائفة منهم
الى ان جعلوا نسبه يهودياً وقد كتب في الايام القـادوية محضراً يتضمن القدح
في نسبه ونسب اولاده وكتب قيد جماعة من العلويين وغيرهم ان نسبه الى امير
المؤمنين علي غـير صحيح . فمن كتب فيه من العلويين المرتضى واخوه وابن
البطحـاوي وابن الازرق العلويين من غيرهم ابن الاكفاني وابن الخرزي وأبو
العبـاس الأبوي وأبو حامد الكشفلي والقدوري والعميري وابو الفضـل
الذوي وابو جعفر الفسفي وأبو عبيد الله بن النعمان فقيه الشيعة وزعم القائلون
بصحة نسبه ان العلماء من كتب في المحضر انما كتبوا خوفاً وتقية ومن لا علم
عنده بالانساب فلا احتجاج بقوله (تاريخ الكامل لابن اشبرج ٨ ص٨ و٩) .

وقال ابن خلدون المتوفي سنة ٨٠٨ هـ ومن الاخبار الواخية مـا يذهب اليه
الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيد عن خلفاء الشيعة ما يقرأون القـاهرة
من نفيهم من اهل البيت صلوات الله عليهم .. والطعن في نسبهم الى اسماعيـل
الامام بن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على أحاديث لفقت مستضعفين من اعداء
خلفاء بني العباس تزلفاً اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننا في الشمات بعدوهم حسبما
تذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفطن لشواهد الواقعات
وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم
متفقون في حديثهم عن مبـدأ دولة الشيعة .. ان أبا عبدالله المحتسب لما دعا
بكتابه للرضى من آل محمد فهربا من المشرق محل الخلافـة واجتازا بمصر وانهما
خرجا من الاسكندرية في زي التجار وفي خبرهما الى عيسى النوشري عامل
مصر والاسكندريـة فرح في طلبهـا الخالية حتى اذا ادركا خفي حالهما

على تابعهـا مـا لبسوا من الشارة والذين افلتوا الى المغرب وان
المعتقد اوعز الى الاغالبـة امراء افريقية بالقيروان وبني مدرار على خفي
مكانهما ببلده ، واعتقلهما مرضاة للخليفـة . هذا قبل أن تظهر الشيعة على
الأغالبة بالقيروان . ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب وافريقية
ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك
الاسلام شق الابلمة ، وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويزايلون في أمرهم . ولقد
أظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الأمير البساسيري من موالي الديلم المتغلبـين على
خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبـين أمراء العجم ، وخطب لهم على
منابرها حولاً كاملا ، وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني
امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم . وكيف يقع هـذا كله لدعي في
النسب يكذب في انتحال الأمر . واعتبر حال القرمطي إذ كان دعيـاً في
انتسابه، كيف تلاشت دعوته وتفرقت أتباعه وظهر سريعاً على خبثهم ومكرهم
فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال أمرهم ولو كان أمر العبيديـين كذلك لعرف ولو
بعد مهلة .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام
ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط
الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على أتم ما كانوا عليه من الطـاعة
لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامـام اسماعيل بن جعفر الصـادق ولقد
خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعين الى بدعهم هاتفين بأسماء
صبيانهم من اعقابهم يزعمون استحقـاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية
ممن سلف قبلهم من الأئمة . ولو ارتابوا في نسبهم لمـا ركبوا اعناق الاخطار
في الانتصـار لهم . فصاحب البدعة لا يلبس في أمره ولا يشبه في بدعته ولا
يكذب نفسه فيما ينتحله . والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني . شيخ النظار
من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فان كان

ذلك لما كانوا عليه من الالحـاد في الدين والتعمق في الرافضة فليس ذلك بدافع
في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذي يغنى عنهم من الله شيئاً في كفرهم
فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انـــه ليس من اهلك انه عمل غير
صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم . وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظهـا
يا فاطمة اعملي فلن اغني عنك من الله شيئاً . ومتى عرف امرؤ قضية او استيقن
أمراً وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . والقوم
كانوا في مجال ظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم
في القـــاصية بدعوتهم . وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم
بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل .

فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت   وأين مكاني مـــا عرفن مكاني

حتى لقد سمي محمد بن اسماعيل الامـام جد عبيد الله المهدي بالمكتوم سمته
بذلك شيعته كما اتفقوا عليه من اخفائه حذراً من المتغلبين عليهم . فتوصلت شيعة
بني العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا بهذا الرأي القائل
للمستضعفين في خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم المتولون لحروبهم
مع الأعداء يدفعون به عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة
لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين وأهل
دعوتهم ، حتى لقد سجل القضاء ببغداد بنفيهم عن هذا النسب ، وشهد بذلك
عندهم في أعلام الناس جماعـــة منهم الشريف الرضي وأخوه المرتضى وابن
الطحاوي ومن العلماء أبو حامد الاسفراني والقدوري والصيرى وابن الاكفاني
والابيوردي وابو عبدالله النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من أعلام الامـــة ببغداد
في يوم مشهود وذلك سنة اثنين واربعمائة في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك
على السماع لما اشتهروا وعرفوا به بين الناس ببغداد . وغالبها شيعة بني العباس
الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه جسيماً ووعوه والحق
من ورائه . وفي كتاب المعتضد في شأن عبيدالله الى ابن الأغلب بالقيروان وابن
مدرار بسجلماسة أصدق شاهد واوضح دليل على صحة نسبهم . فالمعتضد اعرف

بنسب اهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب اليه بضائع
العلوم والصنائع وتلتمس فيه طوال الحكم وتحدى اليه ركائب الروايات والأخبار
وما نفق فيها نفق عند الكافـة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن
والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجره عن قصد السبيل نفق في سوقها الابريز
الخالص واللجين المصفى . وان ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسماسرة
البغي والباطل نفق البهرج الزائف والنـاقد البصير قسطاس نظره وميزان
بحثه وملتمسه[1] .

وقال المقريزي المتوفي سنة ٨٤٥ هـ وبعض منكري نسبهم (الفـاطميين)
في العلوية يقول ان عبيدالله من اليهود وان الحسين بن أحمد المذكور تزوج امرأة
يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودي حداد وتركه لها فرباه الحسين وأدبه
وعلمه . ثم مات عن غير واحـــد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيدالله
المهدي وهذه أقوال ان انصفت تبين لك أنها موضوعـــة فان بني علي بن أبي
طالب (رضي الله عنه) قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر
عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعـــاء لابن مجوسي —
او ابن يهودي فهذا مما لا يفعله أحد وابلغ الغاية في الجهل والسخف . وانما جاء
ذلك من قبل ضعف خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفـاطميين فانهم كانوا
قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العبـاس بلاد
المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب ببغداد نحو أربعين
خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة
عنهم باشاعة الطعن في نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم واعجب به اوليـــاؤهم
وأمراء دولتهم الذين كانوا يحـــاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن
انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عمـــا غلبوا عليه من ديار
الشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من لقب العلويين
وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضى والمرتضى وابو حامد

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٠

الاسفراني والقدوري في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة اثنتين واربعمائة ايام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب من بني علي بن أبي طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة فانه كتب في شأن عبيدالله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيدالله فتفطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد . فان المعتضد لولا صحة نسب عبيدالله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يعون لدعي البتة ولا يذعنون له وانما ينقادون لمن كان علوياً فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم اعني بني علي بن أبي طالب تحت ترقب الخوف من بني العباس لتطلبهم لهم في وقت وقصدهم اياهم دائماً أنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد وشريد وبين خائف ومترقب ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم لا مزيد عليه فتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمي محمد بن اسماعيل الامام جد عبد الله المهدي بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذراً من المتغلبين عليهم(١) ... الخ .

وذكر المقريزي أنه أثر عن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم انه قال في ٢٥٢ هـ (٨٦٨ م) ان المهدي سيظهر بعد اثنين واربعين سنة أي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) فعبر الفهري عن هذا التصريح باسلوب شعري حيث قال في قصيدة نقل منها هذه الأبيات :

ألا يا شيعة الحق ذوي الايمان والبر
ومن هم نصرة الله على التخويف والزجر

(١) خطط المقريزي ج (١) ص ٣٤٨ الى ٣٤٩ واتعاظ الحنفاء من ص ٢٤ الى ٢٦ .

فعند الست والتسعين قطع القول في العذر
لأمر ما يقول الناس بيع الدر بالبعر(١)

ونقل هذه الأبيات مسيو كترمير ونشرتها المجلة الاسبوعية الفرنسية في عدد أغسطس سنة ١٨٣٦ .

واليك أيها القارىء نص أحد المحاضر التي كانت تزيف لأبطال نسب الفاطميين ولعله واحد من ألوف حررت لنفس هذا الغرض .

وهم منسوبون الى ديصان بن سعيد الخرمي اخوان الكافرين ونطف الشياطين شهادة يتقربون بها الى الله ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء ان ينشروه للناس فشهدوا جميعاً ان الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم – حكم الله عليه بالبوار والخزي والنكال – ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد – لا أسعده الله فانه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي هو ومن تقدمه من سلفه الارجاس الانجاس – عليه وعليهم اللعنة – ادعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب . وأن ذلك باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون ان أحداً من الطالبين توقف عن اطلاق القول في هؤلاء الخوارج انهم ادعياء وقد كان هذا الانكار شائعاً بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب ، منتشراً انتشاراً يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم ، أو يذهب وهم الى تصديقهم وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار زنادقة ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وسفكوا الدماء وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية وكتب في (شهر) ربيع الآخر سنة اثنتين واربعمائة(٢) .

وذهب شعراء الاغالبة المتشيعون من أمثال ابن سعدون الدرجيلي الى القول بصحة هذا النسب ، كما يتبين ذلك من هذه الأبيات التي أنشدها هذا الشاعر في حضرة المهدي عبيد الله وابي عبيد الله الشيعي .

(١) المقفي الكبير – المكتبة الاهلية بباريس مخطوط ٢١٤٤ ورقة رقم ٢١٢٠٠ (ب) .
(٢) من النجوم الزاخرة ج ٤ ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

هذا أمير المؤمنين تشعشعت   لقدومه أركان كل أمير
هذا الامام الفاطمي ومن به   أمنت مغاربها من المحفور
يا من تخير من خيار دعاته   أرجاهم للعسر والميسور

وقد ذكر مسكوية والمقريزي ان نصر بن احمد الساماني أمير خراسان بعث الى المهدي بكتاب يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال ، كما يتبين من هذه العبارة : « انا في خمسين الف مملوك يطيعونني ، وليس على المهدي لهم كلفة ولا مؤنة ، فان امرني بالمسير سرت اليه ، ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديه وامتثلت أمره[1] ... الخ .

وقد أشاد كترمير Quatremare في كلامه عن أصل الفاطميين بهذه العبارة « بين انه لسوء الحظ ، فان بعد الزمن وما ساد العقول من أوهام ، وما تسلط على نفوس الرجال من نزعات وميول وما أدلى به المؤرخون من أدلة متناقضة متضاربة : فريق — ألف وكتب متأثراً بسلطان الخلفاء العباسيين وفريق آخر قام بهذا العمل مجارين أعداء هذه الاسرة — كل ذلك لإحاطة هذه المسألة بظلام دامس ، لا يستطيع مشعل النقد كشفه إلا بشكل ناقص مبتور ».

وهناك مثل آخر وهوما سبق ان أشرنا اليه من احراج ابن طباطبا للمعز بسؤاله عن نسبه وكان ان سل المعز سيفه قائلا : « هذا نسبي » ونثر الذهب الكثير قائلاً « وهذا حسبي » هذا مثل أقوالهم ونحن نشك فيه كل الشك — اذا علمنا انه لما وصل المعز مصر سنة ٣٦٢ هـ كان ابن طباطبا قد مات سنة ٣٤٨ هـ أي قبل أربع عشرة سنة من مجيئه[2] .

وجاء في سيرة المؤيد الشيرازي داعي المستنصر بالله الفاطمي هذه العبارات التي ننقلها . وقد كان المؤيد يسجل الوقائع بنفسه وهو الذي ناظر ابا العلاء المعري

(١) المقريزي — كتاب المقفي الكبير — المكتبة الاهلية بباريس مخطوط ٢١٤٤ ورقة ١٢٢٢ (أ — ب) .
(٢) الفاطميون في مصر ص ٧٠ الى ٧١ .

في أكل لحم الحيوان وهذه السيرة مع باقي مؤلفاته الاخرى مخطوطة ومحفوظة بدار الكتب الاعظمية بباكستان . بينا أنا جالس (في ايران) ذات يوم اذ قرع الباب بهول . فقيل من على الباب ؟ قالوا فلان ابن فلان أحد أصحاب الملك (كاليجار) من الأضداد المبائنين بالشقاق الداخلين مع المارق المقدم ذكره مدخل كل بليه فدخل وقمت له واكرمته قال أين الكتاب الذي احضره اليك كاتب فلان الفراشدار ويحتاج أن ترده الى حضرته فسمعت شيئاً نكراً لا علم به فقلت أي كتاب ؟ قال ذلك النذل كأنك لست تعرفه وتشككني في عرفانك به مع ما صح لي من احضاره اياه بين يديك استراقاً من صاحبه وتقرباً به اليكم وقالوا انك أحرقته قلت فمطالبتك لي برد شيء أحرقته تكليف ما لا يطاق . قال فان الملك تقدم باحضار الكاتب المذكور وحبسه في الخلاء في شر موقع وهو متوعد بقطع يده الساعة ان لم ترده وقال الملك اني أعرف أنك تتحوب من أن ينال انساناً ضرر تكون أنت سبيله ، فجد على هذا البائس بيمينه وحام عليه من قطعها برد الكتاب . قلت إن شاء فليقطع يده وان شاء فليقطع رأسه ، فما على حوب فيما يفعله به . والكتاب المشار اليه لم أره ولم يقع عليه ولو قلت لي أي كتاب هو لعلي كنت أقع على مثله فأحمله اليه ان كان له بحضورته هذا النفاق العظيم . قال هو كتاب مصنوع في ابطال انساب أئمة الدين بمصر والابانة عن كونهم موهين مدلسين ونشر مطاوي مثالبهم ومعائبهم . وان هذا الكتاب أحضره العلوي الذي ناظرك فلما استتممت قراءته أسلمه الملك الى فلان الفراشدار ليحفظ له فحمله الفراشدار الى بيته واذكى كاتبه عينه على الذي أودعه اياه فأخذه وجاء به اليه ولما كان هذا اليوم حضر وأرسل العلوي يطلبه وقال ان كنتم غنيتم عنه فردوه الى فنسي الملك لمن أعطاه وإلى من سلمه . ففكر فيه ملياً فتذكر وقال للفراشدار رده فقال حتى أطلبه في بيتي فذهب وعكس داره وحزائنه فلم يجده فيه فعرفوا ان كاتبه سلمه منه وأحضره عندك وتقرب به الى قلبك بكونه من أهل مذهبك ، فقلت والله ما وقع طرفي على هذا الكتاب ولا أحضر بين يدي وما لي منه علم وان كان عندكم هذا الفرح به وبمثله فليس هو بالكبريت الاحمر ان أشباه ذلك وما هو في معناه كثيرة والمواضع مشحونة

منها بما صنعتة أيدي السفل وأعداء الرسول (ص) وأنا أحصل لكم مثله أن
شئتم وافرج قلوبكم به فخرج الرجل من عندي بعد مكاشفات جرت بيني وبينه
وأحوال لم أعتمد فيها رفقاً ولا هوادة بل جردت لساني عليه وعلى مرسله وقلت
انني قاعدمنحوف للموت واني ليعجبني أن أكون مستشهد بأيديكم. فاقضي يا فرعون
ما انت بقاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا . وكان الكاتب البائس المتهم بسرقة
الكتاب وحمله الي باقياً على جملته في الاعتقال الى ان قضى الله من سواد وجوههم
ما قضى وذلك ان رجع الفراشدار إلى داره مغموماً لما يرى حلوله بكاتبه من
البلاء فقالت جارية من جواريه انك كنت سلمت الي دفتراً يوماً من الايام
فخبأته عندي في مقدمتي ولعله هو المطلوب المحبوس كاتبك من أجله . فقال
الفراشدار هو المطلوب وليس المطلوب غيره . فأخذه فرده الى الملك
وسقط في يده وزاده ذلك خجلاً على خجل[1].

وحتى في هذا العصر الأخير حين قامت اكذوبة مرقص سميكة باشا في تنصير
المعز وقد أتاح الله من المصريين من ينافح عن هذا الخليفة ويستبسل للدفاع عنه
بالحجة القاطعة وسيف البرهان الصارم حتى اعترف ذلك المختلق وردت الفرية
على مفتريها وبارت الخديعة على مروجيها .

وقد صدر كتاب مستقل يتناول الرد البليغ لما افتراه أو تورط فيه مرقص
سميك في تنصير المعز لدين الله الفاطمي وسنقدم الى القارىء بعض جمل من
مقالات بعض هؤلاء الكتاب المؤرخين المعروفين والعلماء المشهورين .

مما قال أحمد زكي باشا شيخ العروبة في مقالته الاولى : (ص ٢٣ من الكتاب
المذكور) لعلك تدافع عن نفسك ، يا عزيزي مرقس باشا بأن الذي خطته
يمناك في التقديم باسم قلم نشر مطبوعات الحكومة بالمطبعة الأميرية الرسمية
(في صفحة ١٧١) اثناء كلامك على دير أبي سيفين انما هو قولك بالحرف :
« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة

(١) سيرة المؤيد في الدين داعي دعاة المستنصر بالله ص ٩٠

تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان المعز لدين الله تعمد فيها سراً « بنصه وفصه »
بل بعجره وبجره ، بل باكذوبته وضلالته .

هكذا تكون الدسيسة ، والا فلا ...

أأنت تنفث السم وتغشيه بطلاء كذاب بلفظ (يقال)

أأنت ترسل الدسيسة تسعى مثل الافعى ، وقد غطيتها بثوب الرياء الشفاف
أي بكلمة « يقال » هذه الاخدوعة ، يا عزيزي مرقس باشا ، هي مفضوحة
وفوق المفضوحة . فانك تخيلت أنها تفيد سهام الملاح ، فيما لو قام أحد لمحاسبتك
عليها ، فتكون في حل من الكذب ، ونشر الكذب وترويج الكذب ،
في وثيقة رسمية صادرة باسم الحكومة المصرية (وأكرر أنه لا يهمنا ان تكون
الحكومة اسلامية او ارثوذكسية ، استقلالية أم بروتستانتية) أنت ظننت
انك فتحت لنفسك باب الخلاص من هذا المأزق الحرج ، يا شاطر
ولكنك وقعت يا شاطر وكانت وقعتك غير موفقة ، يا شاطر !
فلو انك استنجدت بابليس وبكل كذاب في العصر القديم، وفي العصر الحديث،
ما أمكنك أن تتخلص من هذه الورطة ، إلا اذا أدليت أنا اليك بحبل النجاة ،
يا مسكين ! أنت تقول في وثيقة رسمية لحكومة مصر « يقال ان المعز لدين الله
تعمد سرا في كنيسة بدير أبي سيفين » أين قيل هذا ، يا صادق النقل ويا صحيح
العقل ؟ من ذا الذي قال لك قبلي ، يا صاحب الامامة ، ويا رب الشرف ؟
لا أحد ، لا أحد ، لا أحد ! بل هنالك واحد ، قال ذلك وذلك الواحد أنا
أعرفه كما تعرفه أنت ! ذلك الواحد هو :

سعادة مرقس سميكه باشا ، ولا غيره !.... الخ .

ومما قال الأستاذ محمد عبد الله عنان في جريدة السياسة يوم أغسطس سنة
١٩٣١ : وبعد فقد رأينا أن المعز قدم الى مصر من افريقية في سنة ٣٦٢ (يونية
سنة ٩٧٣) وانما خلافته لم تطل أكثر من عامين ونصف عام إذ توفي في ربيع
الثاني سنة ٣٦٥ . وكانت ثورة القرامطة تهدد ملكه الجديد في مصر ودمشق .

وكان القرامطة قد زحفوا على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ بقيادة زعيمهم الحسن الأعصم ونشبت بينهم وبين جيوش المعز بقيادة جوهر الصقلي معارك هائلة على مقربة من الخندق حتى انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام. ولكنهم اجتمعوا ثانية وقصدوا دمشق وفيها ابن فلاح من قبل المعز ، فافتتحوها واستولوا عليها ، ثم زحفوا ثانية على مصر بقيادة الحسن الأعصم أيضاً ، فلقيتهم جيوش المعز على مقربة من بلبيس ، وهزمتهم وأمعنت فيهم قتلاً . وذلك في أواخر سنة ٣٦٣ هـ. وكتب المعز الى زعيم القرامطة كتابا طويلا يدعوه فيــه الى الطاعة والهداية ، ويشرح فيه الدعوة الفاطمية وأصولها . وهي وثيقة هامة تدل عباراتها وروحها على مبلغ حرص المعز على التمسك برسوم الأمانة ، وأصول الدين .... الخ .

ومما قال أحد المتصوفين المعروفين بمصر محمد ماضي أبو العزائم في جريــدة وادي النيل بالاسكندرية ١٥ أغسطس سنة ١٩٣١ : واني لا أعتقد أن الطمع في الزلفى عند المتسلطين هو الذي حدا بأنصار دعاة النصرانية الذين هم طلائع الجيوش الظالمة أن يقف خطباؤهم على المنابر بالأمس يؤذننا فيمن نفديه بالأرواح والأموال والأولاد .

ثم يقدم اليوم بعدهم رجل يؤذننا بنشر كتاب باسم الحكومة المصرية المسلمة يقول فيه ان خليفة من ملوك مصر تنصر غير هياب من حجـــة التاريخ ولا من حكومة هو أحد موظفيها وعلى رأسها رجل أقل ما فيه أنه مسلم يغار لدينه ، ولا من أمــة أحسنت الى النصارى في مصر كل الاحسان فجعلت منهم الوزير والقاضي والثري ولا من الحكمة المأثورة التي تقول : الحكومات بائدة والأمانـة خالدة وهو في النهاية لا يخشى على قومه من بعده من حكم التاريخ القاسي الذي يجعلهم بالعار .... الخ .

ومما قال ، فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عرفة وكيل كلية التشريعية بالجامعــة الأزهرية في جريدة الأهرام ص ٥٧ : ليس المعز خامل الشأن ولا مغمور المكان ولا هو واحداً من غمار الناس وليس الحادث قليل الخطر ، بل هو شديد الخطر عظيم الوقع لأنه ارتداد خليفــة مسلم عن الاسلام الى دين النصارى ولبسه زي

الرهبان ودفنه في كنيسة المسيحيين ولعل قائلاً يقول ان أصدقاء الدولة الفاطمية كتموا ذلك خوف العار وانتقاض المملكة فنقول وأين كان المؤرخون من رعايا الدولة العباسية أعداء الفاطمية وهم كانوا يبحثون جاهدين عن معائب يلصقونها بالدولة الفاطمية . ان العباسيين قد عيوا بأمر الفاطميين وغصوا بمكانهم وخافوا منهم على دولتهم وقد قاسمهم الفاطميون ممالــك الاسلام وكانوا شجى في حلق الدولة العباسية وقذى في عينها . وكان العباسيون يحاربونهم بالدعاية الدنيئـــة فتارة ينفون نسبهم عن آل البيت (بيت الرسول) ويجعلونهم أدعيــاء وغلين فيهم والشهود على ذلك العلماء وكبار الدولة . وتارة يرمونهم بالالحاد والكفر فلم يتركون هذه الثلمة لا يلجون عليهم منها ؟ ولم يتركون هذا المقتل وقد كان لهم بادياً ويلجأون الى نفي نسبهم وهو ما لا يسلمه التاريخ ؟.... الخ .

ومما قيل تحت عنوان : صدقي باشا يقضي على الدسيسة المرقسية ، بادعيــاء تنصر الخليفة المعز لدين الله ص ٦٥ فيقول: فيا أيتها الروح الحائرة ، روح المعز لدين الله ، روح المجاهد في سبيل الله ارجعي الى ربك راضية مرضية فقد أدى واجبه وزير خليفتك على مصر جلالة فؤاد الأول الذي يجلس في مصر بمجلس المعز لدين الله ينشر فيها العدل والأمان . فهذا الوزير الحازم بسيف حكمته ذلك الباغي أن يقطع بيده لسان فريته . ارجعي أيتها الروح الطاهرة الى مقرك في دار الخلود ، وأنت أيتها العظام الشريفة المضطربة في قبرك الكريم اهدئي . اطمأني . قري في مكانك. فهذا وزير خليفتك قد أحسن الى سمعتك صنعاً كما أحسنت في حياتك الى المسلمين والاسلام صنعاً .... الخ .

ومما قال حضرة الاستاذ ابراهيم بك جــلال القاضي يوم ٢١ أغسطس في جريدة المقطم :.هو الرابع من خلفاء الفاطميين ولكنه الاول بالديار المصرية . وكان عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً للرعية ملماً بعلم النجوم . خطب له على منابر الغرب كله من أقصى المغرب الأقصى الى برقة ومصر والشام والحرمين واليمن وبعض العراق وكانت جزيرة صقلية وسيسليا واقليم جنوى من أملاكه وكان أسطوله ٦٠٠ قطعة يسود البحار . وكانت عصبية دولته من قبائــل البربر

صنهاجة وزناتة ولواتة وكتامة ولكن العنصر الرومي من أبناء صقلية كان ظاهراً بين جنوده وخاصته وعلى رأسهم قائده العظيم جوهر الصقلي . وقد جلس المؤرخون على اختلاف مشاربهم يعددون مناقبه وحسن سياسته ، وحزمه الذي يفوق حزم المنصور العباسي ... وختم مقالته قائلاً : وصارت القاهرة من عهد المعز حاضرة الاسلام الكبرى كل أيام الفواطم الى أن دالت دولتهم عام ٥٦٧ هجرية .

ومما قال الدكتور حسن ابرهيم حسن استاذ التاريخ بالجامعة المصرية في جريدة البلاغ يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣١ : واذا كان المعز نصرانياً — ولو في الباطن — فلا ينتظر منه ان يعمر المساجد ، وينشىء الجامع الأزهر العظيم ، وأن تضرب السكة باسمه ، ويشيد فيها بالاسلام وبالنبي وعلي بن أبي طالب وأولاده من بعده ، فينقش عليها « لا اله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين » ... الخ .

ومما قيل تحت عنوان « تصريح فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (السابق) ص ٧٣ وفي ٢١ أغسطس تلقى حضرة الاستاذ الفاضل أحمد عبدالحليم العسكري احد محرري الأهرام من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ المعاهد الدينية التصريح الآتي :

السؤال : واسطورة تنصر المعز لدين الله يا مولانا . فهل بلغ الى مسامع فضيلتكم تلك الضجة التي أقيمت بشأنها . وهل من الانصاف أن يقال عن المعز لدين الله مؤسس الأزهر انه تنصر في احدى الكنائس ؟

الجواب : نعم سمعت بها وعنيت لموضوعها كل العناية لأن المعز لدين الله عظيم من عظماء التاريخ الاسلامي وكان من أثاره بناء الجامع الأزهر وهذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة ... الخ .

الادب في عصر الفاطميين

الأدب فن كسائر الفنون يشف عن كيان الامم ويتحدث عن صورة حياتها ويوضح ما اشتملت عليه تلك الحياة من عواطف وميول ومن آراء وأهواء . والأدب يفوق الفنون جميعاً في هذا النحو من الابانة والايضاح لأنه تصوير حي واستدلال ناطق ولأنه يبدي في وضوح ما اشتملت عليه أنظمة الشعوب وعقائدها ومدنياتها وأطوارها . وكما كان الأدب الجاهلي صورة من حياة العرب وكان في جملته وصفاً لمضارب خيامهم ومنتج قبائلهم ونعوت رماحهم وخيولهم وابلهم ، والحديث عن مغازيهم وحروبهم . فكذلك كان الأدب في عصر بني أمية يستطيع ان يصور لنا ضروب النزاع وأنواع المذاهب والخلافات التي سببها قيام الدولة الاموية وما تبعها من اضطهاد للخصوم ومحاباة للأنصار . وعلى هذا كان الأدب في بغداد مرآة صافية تجلت فيها الحياة العباسية والحضارة البغدادية بكل ما فيها من خير وشر . فكنت تلمس في ذلك الأدب مذاهب الحكمة والفلسفة كما كنت تجد فيه ضروب الخلاعة والمجون والاسراف في الخمريات والغزليات وكان الشعر يمد الخلافة بروحه المعنوية ويستمد منها غذاءه المادي ولعل الأمصار الاسلامية لم تخل من أدب قوي الا ان اصحاب ذلك الأدب لم تواتهم الحظوة بقصور الخلفاء ومحافل الوزراء ومجالس الندماء وكما ان صناعة الادب لا تروج إلا حيث الحضارة ومظاهر الثروة فكذلك الرواية كانت تابعة له في كل ذلك حين أصبح أمر العباسيين في يد غيرهم . ارتحل الشعر والنثر عن ساحتهم لينشد له بيئة أخرى يترعرع فيها وينمو في ظلالها . وقد انتقل الشعراء فعلاً يلتمسون لأنفسهم في الشام دولة يقيمونها في ظل بني حمدان . وكان ملوك

تلك الأسرة يشجعون العلم وينصرونه ويستقبلون الشعر ويجيزونه . فمنذ أوائل القرن الرابع كابن الحجاج بالعراق « قال السيوطي » دخـــل مصر ومدح المعز وأولاده والوزير بن كلس ومات سنة ٥٢٩ . ومن ذكرياته قوله :

ليالي النيل لا أنساك ما هتفت   ورق الحمام على دوح وأغصان
أصبو الى هفوات فيك لي سلفت   قطعتني وعيون الدهر ترعـــاني
مع سادة نجب شم غطـــارفة   في ذروة المجد منذهل بن شيبان الخ

بدأ عصر المتنبي وأبي العلاء بالشام على ما هو معروف ومشهور . أما مصر فلم تكن قبل الفاطميين مستعدة لانماء دوحة الأدب أو تشجيع الشعراء بالجوائز والصلات وكان ولاتها من قبل العباسيين بعيدين في جملتهم عن متنـــاول اللغة وفهم أسرار البلاغة العربية والاطلاع على محاسنها ودقائقها . وكان في مصر الفقه والفقهاء والحديث وبقية العلوم الدينية . أما الشعر الجميل أو النثر البديع فلم يكن له مدخـــل الى نفوس الولاة ولا منفذ إلى صدور العمال وقد ورد المتنبي مصر وسرعان ما ارتحل عنها حاملا في قلبه ذلك الحقد الذي ضمنه قصـــائده ومضى يطلب من بلاد المشرق لشعره مستمعـــاً ومجيزاً (وان كان للمتنبي ظرفه الخاص) .

الفاطميون ومصر

عندما قامت الدولة الفاطمية على ساقها كان مفروضاً انهـــا من العروبة في الركن الأصيل ومن الهاشمية في المكان الجليل . وكان أولئك الخلفـــاء بأنفسهم دعاة علم وأصحاب فقه وكلام . إذ كانت دعوتهم تقوم كما أسلفنـــا على مذهب يحتاج دعاته والقائمون به الى نصيب من التعليم غير يسير . فاحتاجت هذه الدولة الى قوة البيان تضيفها الى قوة الأجناد والأعوان . وقد تم لها ذلك قبل أن تطأ خيول عسكرها وادي النيل . وقد كان لهم شعراء يتغنون بمفاخرهم وينظمون القصائد في مآثرهم .

وقد سبقت أبيات ابن سعدون الورجيلي في مدح المهدي عبيد الله .

وقال أبو القاسم الفزاري القيرواني في المنصور بالله بن القائم بن المهدي بالله الفاطمي قصيدته المعروفة بالفزارية وهي موجودة في دار الكتب المصريـــة (أدب ٢٤٠٣١٠ ش) التي — أولها :

لعمرك ما أوس بن سعدى بقومه   ولا سيد إلا وما رقيس بن عاصم الخ.

ومن أشهر ما اتصل بالمعز من الشعراء أبو حامد أحمـــد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق قال صاحب التسمية هو نادر الزمان ، وجملة الاحسان ، وممن تصرف بالشعر الجزل في أنواع — الجد والهزل ، وهو بالشام .

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي يهنىء العزيز بخلافة مصر ويرثي أباه المعز لدين الله :

قد أصبح الجوهر العلوي منتقلا … في خير من كان من خير الورى بدلا
يا منحة كملت في محنة عظمت … لولاك في الدهر ما نال امرؤ أملا
صنع من الله في خطب آتيح لنا … عم البلاد وعم السهل والجبلا
كان الزمان بن أبقى ومن أخذت حروفه … مذنباً طوراً ومنتصلا
قام العزيز بما أفضى المعز به … اليه مضطلعاً بالعبء محتملا
فقام يحفظ مسترعى رعى فكفى … من بعد خير إمام قوّم الميلا
كالسيف منتصلا والبحر مندفقاً … والبدر مؤتلقا والغيث محتفلا

ومنها : —

في طلعة البدر من شمس الضحى عوض … وظلمة الليل يجلو جنحها ابن جلا
وما الأئمة الا أنجم زهر … يبدو لنا كوكب ان كوكب أفلا
ان المعز الذي لا خلق يشبهه … الا العزيز ابنه ان قال أو فعلا
ملك وجدنا التقى والعدل عدته … اذا الملوك استعدوا الكيد والحيلا
سمت الى العالم النوري همته … ففارق القتم الارض وانتقلا
وأرجعت نفسه في القدس عنصرها … ولم يزل لجبال الله متصلا
لم يرض خلقاً من الدنيا يجاوره … الا الملائك في الفردوس والرسلا
لولا نزار وعين الله تحرسه … كنا بفقد معد أمة هملا
فان مضى كافل الدنيا وما ضمنت … فذا ابنه كافل عنه بما كفلا
وان هوى الجبل الراسي فذا جبل … راس لنا بعده أعظم به جبلا
عمت خلافته الدنيا برونقها … كأنه الشمس فيما حلت الحملا
ملك أغر وأيام محجلة … ودولة كل وقت تقهر الدولا
أضحت ملوك بني الدنيا له خولا … وما حوت كل دار منهم كفلا
يأيها الملك المأمول نائله ومن هو … الغاية القصوى لنا أملا
كان السرير سرير الملك منخفضا … حتى ارتقيت ذراه فارتقى وعلا

ومن كبار الشعراء في عصر الفاطميين محمد بن القاسم وكان شاعر الحاكم بأمر الله . وهو صاحب البيت المشهور قاله في الحاكم :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها … لكنها رقصت من عدله طربا

ومما رثى به المنتصر حظي الدولة أبي المناقب عبد الباقي بن علي التنوخي شاعره :

وليس رزى المستنصر اليوم كالردى … ولا أمره امر يقاس به أمر
لقد هاب ملك الموت اتيانه ضحى … ففاجأه ليلا ولم يطلع الفجر
فأجرى عليه حين مات دموعنا … سماء فقال الناس لا بل هو القطر
وقد بكت الخنساء صخراً وانه … ليبكيه من فرط المصاب به الصخر
وقادها المستعلي الظهر حسب ما … عليه قديماً نص والده الطهر(١)

وان الخليفة الحافظ ، أمر الشعراء أن يختصروا قصائدهم ولذلك يقول أحد الشعراء :

أمرتنا ان نصوغ المدح مختصراً … لم لا أمرت ندى كفيك يختصر
والله لا بد أن تجري سوابقنا … حتى يبين لها في مدحك الأثر(٢)

وقد اجتذب جود الفاطميين الى مصر شاعراً معروفاً وهو أبو الحسن علي بن ابراهيم الملقب بابن العلاني من اهل معرة النعمان منبت الشاعر أبي العلاء المعري . ومما قال هذا الشاعر :

فمكة مصر والحجيج وفوده … ويمناه ركن البيت والنيل زمزم
وشاكر ما تولى مقر بعجزه … ولو انه في كل عضو له فم ... الخ

(شرحه رقم ورقة ١٣٣ ب) وقد عبر جعفر بن أبي زبيد عما خالج ضميره من أسى بعد مغادرته مصر الى بغداد في قصيدة منها :

وما قصدنا بغداد شوقاً لأهلها … ولا خفيت مذقط أبصرنا عنا ؟
ولا اننا اخترنا على مصر بلدة … سواها ، ولكن المقادير ساقنا الخ..

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٣
(٢) عماد الدين الاصفهاني مخطوط ٣٣٣٢٨ ورقة ١١٠ ب .

وكان ابن الضيف وهو من شعراء الفاطميين الذين عاشوا في عهد الخليفة الآمر ، ملحداً في نظر عماد الدين الذي أبى أن يودع كتابه بعض القصائد التي نظمت في مدح الفاطميين محللاً ذلك بهذه الكلمات : « ابن الضيف كان من دعاة الاعياء ، المغالين لهم في الولاء . وكان في حدود سنة خمسمائة في عهد آمرهم . وله فيه مدائح كثيرة ... وكنت عازماً على حطه ، لانه أساء شرعاً وان أحسن شعراء ، بل أظهر كفراً ... لكنني لم أر أن أترك كتابي منه صفراً ، لانه البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البر الفاجر » .

(عماد الدين الاصفهاني ، المكتبة الملكية بباريس ، ومخطوط ٣٣٢٨ ، ورقة ٥٢ ب) ويحدثنا المقريزي في عبارة شائقة أوردها في سياق كلامه عن المنظرة التي كانت تطل على بركة الحبش ، التي شيدها الخليفة الامر فيقول : « في هذه المنظرة طاقات ، وعليها صور الشعراء ، كل شاعر واسمه وبلده . وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش ، كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في المدح . وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب . فلما دخل الخليفة وقرأ الاشعار ، أمر أن توضع على كل رف صرة مختومة فيها خمسون ديناراً ، وان يدخل كل شاعر ويأخذ صرة بيده » [1]

وقد يتبين مبلغ جود الخلفاء الفاطميين وكرمهم من هذين البيتين اللذين نظمها أبو العباس أحمد بن مفرج .

امرتنا ان نصوغ المدح مختصراً   لم لا امرت ندى كفيك يختصر
والله لا بد ان تجري سوابقنا   حتى يبين لنا في مدحك الاثر

ولقد كان لهم من مطولات ابن هاني عدة أدبية استطاعوا أن يبدأوا عصر المنافسة وعهد المساجلة واذا علمت ان ابن هاني قضى حياته الاولى بين عواصف الاضطراب ومطارح الاغتراب وان عيشه بالاندلس كان عسيراً مريراً ألزمه تحمل الاعباء وتلقي سهام الاعداء فانك لا ترى مندوحة من الايمان بتشجيع

(١) خطط المقريزي ص ٤٨٦ – ٤٨٧

الفاطميين للأدب عندما تدرك مبلغ حفاوتهم بابن هاني وقد أتى في ظل دوحتهم وقضى الشطر الأخير من عمره خادماً لدولتهم وترجماناً ينشر في المشرق والمغرب دعوتهم . وطاب له المقام وأجزل له العطاء فاغترف من بحر الثناء ما شاء . ولو تصفحت أشعار ابن هاني للمست فيها قوة ايمانه بالدعوة الجديدة ويبدو ان اكرام المعز له قد نشط بحركته الفكرية وحلق به في السماء حتى كان يضيء فيها مع المتنبي في أفق واحد من البيان وعلو الحكمة وضرب الأمثال وإلى غير ذلك ولعل شخصية ممدوحه كانت على ما لا تليه شخصية اخرى على المتنبي . فهذا وغيره كانوا يمدحون عمالاً وامراء ووزراء وكان ابن هاني يمدح خليفة واماماً . ولو قدمنا الأمثلة في مدائحه لاستفاض بنا القول الى الاطالة وديوانه مطبوع مشروح .

ولما قدم المعز كانت مصر نهاية الأمل وبداية العمل أعني ان قد حمل اليها رفات السالفين وحضر الى قصره بكل ما لديه من نفائس وذخائر كان لا بد له من التفاني والاخلاص لوطنه الجديد فقد كان بحق مصرياً في كل شيء ولم تعد له ولا لبقية الفاطميين صلة بمسقط رأسه ومطلع أفقه . وما كادت الدولة تستقر حتى تألقت في سماء الأدب نجوم زاهرة وجيوش زاخرة . حمل رايتها ولده الأكبر الأمير تميم . وبدأ للشعر والنثر سوق حافلة ومنابر قائمة ومراسلات سائرة يشجعها المال وتغذيها المكتبات وتنميها المساجد والمدارس والجوامع . وتتعاقب عليها الفرص المتوالية من تلك المواسم التي أقاموها والموالد التي ابتكروها فكانت مواسم للشعر قبل ان تكون للمظاهر أو للأعياد وفوق ذلك كله فانك لو قرأت كتاب الخليفة المعز إلى حسن القرمطي ورأيت نفسك بين يدي ملك قد أحاط باللغة والحكمة إحاطة السوار بالمعصم . أقول انك لو قرأت ذلك السحر الحلال من ذلك الكتاب المطول لأخذت عليك بلاغة مشاعرك واستولت على مجامع لبك ونواحي تفكيرك . وبدا لك من ذلك الملك القاهر فيلسوف ساحر أو حكيم نادر ولا اقصد بهذا إلى المدح او الأطراء ولكنني أردت أن أعرض ما يشعر به الأديب عندما يطلع على ذلك البيان الخلاب . فيرى ان

الخليفة يحمل بيده صولجان الأدب ويقيم من نفسه كاتباً يذكرك بمـــا عرفت من
عبدالحميد وما درست من ابن العميد . والناس على دين ملوكهم .

ويجمل بنا أن نجتزي للقارىء بجمل من هذا الكتاب المسهب تشهد بعـــلو
كعبهم في الأدب ومبلغ علمهم بالأساليب الفخمة والبلاغة الساحرة من لغة العرب
ويمكن الاطلاع على الكتاب بجملته في كتاب اتعاظ الحنفاء للمقريزي ص ١٣٣
— ١٤٣ « من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم المعز لدين الله أمـــير
المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضل الوصيين ، الى الحسن بن أحمد .
بسم الله الرحمن الرحيم ... أيها الناس ، ان الله جل وعز اذا أراد أمراً قضاه ،
واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحـــاً ،
وأبرزنا أرواحاً ، بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين حين لا سماء مبنيـــة ، ولا
أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ولا قمر يسري ولا كوكب يجري ، ولا ليـل
يجن ، ولا أفق يكن ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق ولا ليل ولا نهار ، ولا
فلك دوار ، ولا كوكب سيار . فنحن أول الفكرة وآخر العمل ، بقدر مقدور
وأمر في القدم مبرور ، فعند تكامل الأمر ، وصحة العزم وأنشأ الله جل وعز
المنشآت ، وابداء الأمهات من الهيولات ، طبعنا أنواراً وظلما ، وحركة وسكونا ،
كان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليـل
ونهار وما في الافاق من آثار معجزات وأنوار باهرات وما في الأقطار من الاثار ،
وما في النفوس من الأجناس والصور والأنواع من كثيف ولطيف ، وموجود
ومعدوم ، وظاهر وباطن ومحسوس وملموس ، ودان وشاسع وهابط وطالع ،
كل ذلك لنا ، ومن أجلنا دلالة علينا واشارة الينا يهدي به الله من كان له لب
جميع وراي صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى فدان بالمعنى .... (وخـــتم
كتابه بهذه الجمل) وان أبيت الا فعل اللعين فاخرج منها فانك رجيم وان عليك
اللعنة الى يوم الدين ، اخرج منها فما يكون لك أي تتكبر فيها قيـــل اخسئوا
بها ولا تكلمون فما أنت الا كشجرة خبيثة من فوق الارض ما لها من قرار فلا
سماء تظلك ولا أرض تقلك ولا ليل يجنك ولا نهار يكنك ، ولا علم يسترك ،

ولا مئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الأسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله
عز وجل ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فلا ملجأ لكم من الله
يومئذ ولا منجاً منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لا يزال ذوو أحقـــاد وثوار
هجاد ورجال انجاد ، فلا تجد في السماء مصعداً ولا في الارض مقعـــداً ولا في
الارض ولا في البحر منهجاً ولا (في) الجبال مسلكاً ولا الى الهوى سلماً ولا الى
مخلوق ملجم . حينئذ يفارقك أصحابك ويتخلى عنك أجيالك ويخذلك أترابك
فتبقى وحيداً فريداً وخائفاً طريداً وهائماً شريراً قد ألجمك العرق وكظك الفلك
وأسلمتك ذنوبك واذ دراك خزيك كلا لا وزر الى (ربك) ....

فماذا ترى في أمة كانت ترى نفسها بين يدي حكام من غير العرب لا يعرفون
لغة سوى لغة السيف ولا بلاغة غير بلاغة السياط ثم في لمحة الطرف ترى نفسهـا
ماثلة أمام ملك متوج بتاجين من ملك وبيان جالس على عرشين من بلاغة وسلطان
أليس شأن ذلك أن يفتح القلوب المقفلة ويستخرج العبير من الأكمام المغلقـــة .
تشجع الشعراء والكتاب لما رأوا في خلافتهم الجديدة من نفوذ الى جمـــال —
الأساليب وتجديد في صوغ التركيب ولما رأوا من أن وزراءهم قد استحالوا الى
كتاب بارعين ونقاد مؤلفين ولما رأوا كذلك من أن القضاة والدعاة الفاطميين
يبثون محاضراتهم الدينية في أسلوب غير أسلوب القواعد الفقهية بـــل ذلك
الاسلوب الطليع الشائق الذي تصادفه في نهج البلاغة وتوحيـــد جعفر الصادق
وبيان الجاحظ ورسائل ابن هارون . تحدثنا كتب مراجع الأدب أن مائة شاعر
قاموا برثاء يعقوب بن كلس وأن جميعهم اجيزوا بما شجعهم وتمادى لهم في الانشاء
والابتكار لذلك لا نعجب اذا سمعنا أن جمـلة الأقلام وحذاق النظم بدأوا —
يوجهون أنظارهم شطر مصر ويولون وجوههم صوب ذلك الملك الفتى الناظر
لينهلوا من تلك المدنية ما يروي الصدى ويبرد الغليل ، فقد ارتحل عبد الوهاب
ابن نصر المالكي من بغداد وهو شاعر عالم فقيه لم يكن بها مجهول الفضـــل ولا
محمود المكانة ولكنه يعد نموذجاً للكثيرين من أضرابه وانداده الذين لم تغنهـــم
بغداد مع وفرة علومها ومكتبتها ومدارسها وقد رأوه لم يعد لخليفتها الا اسمه

على السكة والمنابر . وليس له بعد ذلك من الأمر شيء فارتادوا خصب الحياة وطيب المكان في بلد يشجع ملوكه ووزراءه على الاجادة في التفكير والابتكار في التأليف . ذلك الأدب وما لونه الفني وما هي اتجاهاته الفكرية .

ونعود الى الموضوع لنقول :

كان عبد الوهاب بن نصر المالكي من أهل بغداد وكان فقيهاً مالكياً مبرزاً ، كما كان أديباً وشاعراً . وقد وصفه أبو بكر البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » فقال انه كان ثقة في الحديث وانه لم يلق من المالكين احداً افقه منه ويصف لنا ابن نصر في احدى قصائده معيشته في بغداد فيقول :

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
اصبحت فيها مضاعاً بين اظهرهم ... كأني مصحف في بيت زنديق

وقد رحل ابن نصر الى مصر واجتاز في طريقه معرة النعمان وبها يومئذ ابو العلاء المعري فأضافه عنده واشار الى هذا الحادث في قصيدته الى خازن دار العلم ببغداد حيث يقول :

والمالكي ابن نصر زار في سفر ... بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
اذا تفقه احيا مالكا جدلا ... وينشر الملك الضليل ان شعرا[1]

الحق ان ذلك الأدب قد جمع بين مزيتين مزية الفخامة في التعبير والجزالة في التحبير ثم المعاني الطريفة التي كانت تمليها المناظر الطبيعية الجميلة وتحت سماء مصر الصافية وجوها المعتدل وهوائها السجيع وشمسها المشرقة وطبيعتها الضاحكة بألوان الزهور الراقصة على ضفاف هذا النيل فكان شعراً يشتمل على الأوصاف الدقيقة والمدائح البالغة والمراثي الدامعة والجدل الحار والفلسفة العميقة الا ان لغته اختارت لنفسها طريقة ومذهباً غير طريقة الأولين ومذهبهم فلم تعد إلى البداوة ولم تسلك سبيل الاغراب والتعقيد بل كانت سمحة في ألفاظها رقيقة في حواشيها وقد برأت من الجناس والمحسنات والشقل التي اخذت ترزح

(١) سقط الزند ص ١٣٤ .

تحت أعبائها في عهد الأيوبيين ومن بعدهم عندما خمل الأدب وأدركته صناعة التحسين اللفظي .

وخلا من دقة التفكير والتحديد في المعاني . كان ذلك الأدب مصرياً ويحق لمن يؤرخ الأدب المصري أن يبدأه بعهد الفاطميين لأنه العصر الذي أخصبت به العقول واستكملت البلاد فيه استعدادها من علم وحضارة ونظام واستقلال . واذا بلغت الأمة أوج السيادة سرت العظمة من روحها الى أدبها والحرية الى تفكيرها ولقد عرفت مصر بحق معنى سيادتها ومجدها على أيدي هذه الدولة التي تمصرت لحماً ودماً فأصبح كل شيء من اثارها مصرياً بصيغته وحقيقته . وهذا قول الخليفة العزيز بالله يدلنا على أنهم أحبوا رعيتهم وامتلأت قلوبهم لها حدباً وحناناً وأحبوا أن يروا أثار النعمة وفيرة في مصر وطنهم الجديد . وهذا منتهى اخلاص الخليفة لرعيته .

قال الوزير يعقوب بن كلس: « سمعت العزيز بالله يقول لعمه حيدرة : يا عم، أحب ان أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهر، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار ، وان يكون ذلك كله من عندي » قال المسجى وهذا لم يسمع بمثله قط من تلك[1] .

ولو استعرضت قصيدة قيلت في ذلك العصر مع مئات غيرها في عصور أخرى لبدا اللون المصري في تلك القصيدة واضحاً جلياً بما يحمله من حسن الدعابة وجمال الفكاهة ودقة العبارة وخفة الروح ولم تكن الازمات والاضطرابات التي مرت بدولة الفاطميين بقادرة على ان تؤثر في قوة الشعر والنثر اذ لم تنقطع حركة التفكير والتأليف حتى من الوزراء والخلفاء انفسهم وقد كانوا في الفينة بعد الفينة يطالعون الناس بكتبهم ورسائلهم وحججهم ومقالاتهم .

فمن عهد المعز الى الآمر الى من بعده كان الشعر في اوج كماله ومستوى جماله

(١) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٥

لم يضطرب ولم يصبه ما اصاب الحكومة في بعض الاحيان من تزلزل وتغيير ولكن الذي يستوجب التأثر العميق حقاً هو ان تلك الثروة الطائلة ذهب اكثرها وتبدد اغلبها امام اعاصير السياسة فما نكاد نعثر من ذلك الادب الا على القصائد المتناثرة بين شتات المعاجم والكتب وما نكاد نصيبها الا بين المخطوطات والدواوين التي تناقصت اطرافها وتآكلت حروفها وسطورها فلعل ديوان تميم وقد اصبنا جملته يعوضنا عن تلك الخسائر الادبية العظيمة ولعل في قراءته غنى وسلوى عما فقدناه من امثاله من مئات بل الوف الدواوين .

ولكي نزيد القارىء معرفة بما كان لهؤلاء الخلفاء من قدر سام في ميدان العلم والشعر والانتاج الفكري نقدم بين يديه اسماء بعض اشعار هؤلاء الخلفاء ومصنفاتهم ومصنفات دعاتهم الكبار ونبدأ بمؤلفات امير المؤمنين علي بن ابي طالب :
(١) جمع القرآن وتأويله او جمعه على ترتيب النزول (٢) كتاب املى فيه ستين نوعاً من انواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثالاً يخصه (٣) الجامعة (٤) الجفر (٥) صحيفة الفرائض (٦) كتاب في الزكاة (٧) كتاب في أبواب الفقه (٨) كتاب آخر في الفقه (٩) عهده للأشتر (١٠) وصيته لمحمد بن الحنيفة (١١) كتاب عجائب احكامه (١٢) ما اثر عنه من الادعية والمناجاة المعروف بالصحيفة العلوية [١] (١٣) كتاب الشهاب العلوي (١٤) ديوان امير المؤمنين (١٥) أكاليم امير المؤمنين . (١٦) وصية امير المؤمنين الى الحسن . (من فهرس المجدوع احد اتباع الفاطميين) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٤ الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربية ما تعريبه ملخصاً : ان اول من امر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافق لسنة ٦٦٠م.

ومن شعره : كما اورده سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص :

وعن الجاحظ في كتابي البيان والتبين وفضائل بني هاشم والبلاذري

---

(١) اعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٩٨

في انساب الاشراف ان علياً اشعر الصحابة وافصحهم واخطبهم واكتبهم .

الناس من جهة التمثيل اكفاء ... ابوهم آدم والام حواء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء

الحسن بن علي : له خطب واقوال في الحكم والآداب والمواعظ ونحوها .
ومما ينسب اليه من الشعر فمنه ما اورده ابن شهرا شوب في المناقب وقوله .

قل للمقيم بغير دار اقامة ... حان الرحيل فودع الأحبابا
ان الذين لقيتهم وصحبتهم ... صاروا جميعاً في القبور ترابا

وله ايضاً :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني ... وشربة من قراح الماء تكفيني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني ... حياً وان مت تكفيني لتكفيني

وقال وقد جاءه اعرابي فقال اعطوه ما في الخزانة فكان عشرين الف درهم فقال يا مولاي ألا تركتني ابوح بحاجتي وانشد مدحتي فأنشأ الحسن يقول :

نحن أناس نوالنا خضل ... يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال انفسنا ... خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا ... لغاض من بعد فيضه خجل

(اي هو خجل) الخ

الحسين بن علي : له خطب واقوال في المواعظ والحكم والآداب :

كلما زيد صاحب المال مالاً ... زيد في همه وفي الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيو ... ش ويا دار كل فان وبالي
ليس يصفو لزاهد طلب الزه ... د اذا كان مثقلاً بالعيال

وقوله في زوجته الرباب بنت امرىء القيس بن عدي القضاعية وابنته منها سكينة اورده ابو الفرج في الاغاني :

لعمرك انني لاحب دارا ... تكون بها سكينة والرباب

وفي نسخة أخرى :

احبهما وابذل كل مالي   وليس لعاتب عندي عتاب

وفي نسخة فيها عتاب وزاد الزبير بن بكار :

ولست لهم وان عتبوا مطيعاً   حياتي او يغيبني التراب الخ الخ

مؤلفات علي بن الحسين زين العابدين : (١) الصحيفة الكاملة في الادعية تحتوي على احد وستين دعاء . (٢) الصحيفة الثانية السجادية جمعها الشيخ محمد ابن الحسن بن الحر العاملي نزيل اصفهان . (٣) الصحيفة الثالثة السجادية جمعها الميرزا عبدالله الاصفهاني المعروف بالافندي صاحب رياض العلماء . (٤) الصحيفة الرابعة السجادية جمعها الميرزا حسين النوري . (٥) الصحيفة الخامسة السجادية جمعها ـ السيد محسن الأمين العاملي صاحب اعيان الشيعة . (٦) رسالة الحقوق . وله اقوال في الحكم والمواعظ . ومما نسب اليه من الشعر ، ما جاء في المناقب لابن شهراشوب ، وقوله :

لكم ما تدعون بغير حق   اذا ميز الطحاح من المراض

عرفتم حقنا فجحدتمونا   كما عرف السواد من البياض

كتاب الله شاهدنا عليكم   وقاضينا الاله فنعم قاضي الخ ..

مؤلفات محمد بن علي بن الحسين الباقر : (١) كتاب التفسير اورده ابن النديم ـ (٢) رسالته الى سعد الخير من بني أمية . (٣) رسالة أخرى اليه أوردهما الكليني في روضة الكافي (٤) قال ابن النديم ابو جعفر محمد بن علي له من الكتب كتاب ، ـ الهداية ويمكن يريد به الباقر[1] .

وقد روى عنه في فنون العلم الشيء الكثير وألف أصحابه في ذلك المؤلفات الكثيرة .

(١) اعيان الشيعة ج ؛ ص ٥٢٠ الخ

ومما نسب اليه من الشعر ما جاء في كشف الغمة :

لنحن على الحوض ذواده   نذود ويسعد وراده

فما فاز من فاز إلا بنا   وما خاب من أحبنا زاده

ومن كان غاصبنا حقنا   فيوم القيامة ميعاده

(٥) كتاب صفات الجنة والنار (٦) الرسالة الى جابر الجافي (٧) كشف كبير[1] .

مؤلفات جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق : (١) رسالته الى عبدالله النجاشي . (٢) رسالة له . أوردها الصدوق في الخصال وأورد سنده اليها عن الأعمش عن جعفر بن محمد تتضمن شرائع الدين من الوضوء والغسل بأقسامه والصلوة بأقسامها الخ (٣) توحيد المفضل في رد الدهرية واثبات الصانع . (٤) كتاب الاهليلجة برواية المفضل بن عمر . (٥) كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة (٦) رسالته الى اصحابه (٧) رسالته الى أصحاب الرأي والقياس (٨) رسالته في الغنائم ووجوب الخمس (٩) وصيته لعبد الله بن جندب (١٠) وصيته لابي جعفر محمد بن النعمان ـ الأحول (١١) نثر الدرر (١٢) كلامه في وصف المحبة لاهل البيت والتوحيد والايمان والاسلام والكفر والفسق . (١٣) رسالة في وجوه معائش العباد . (١٤) رسالة في احتجاجه على الصوفية . (١٥) كلامه في خلق الناس وتركيبه (١٦) حكمه القصيرة (١٧) نسخة ذكرها النجاشي في ترجمة محمد ميمون الزعفراني. (١٨) نسخة رواها الفضيل بن عياض عنه . (١٩) نسخة رواها عبد الله بن ابي اويس بن مالك بن عامر الاصبحي . (٢٠) نسخة رواها سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي (٢١) نسخة يرويها ابراهيم بن رجا الشياني. (٢٢) كتاب يرويه جعفر بن بشير البجلي. (٢٣) كتاب رسائله رواه عنه جابر بن حيان الكوفي . وله أقوال في الحكم والمواعظ .

ومما أثر عنه من الشعر : في المناقب : ـ

فينا يقينا يعد الوفاء   وفينا تفرخ أفراخه

(١) فهرس المجدوع .

رأيت الوفـــاء يزين الرجال   كما زين العذق شمراخــه

وله : لا اليسر يطرؤنا يوماً فيبطرنا   ولا لازمــة دهر نظهر الجزعا

ان سرنا الدهر لم نبهج لصحته   او ساءنا الدهر لم نظهر له الهلعا

مثـل النجوم على مضمار اولنا   اذا تغيب نجم ، آخر طلعـــا

وله : في الاصل كنا نجوماً يستضاء بنا   وللبرية نحن اليوم برهان

نحن البحور التي فيها لغائصكم   در ثمين وياقوت ومرجان

مساكن القدس والفردوس نملكها   ونحن للقدس والفردوس خزان

من شذّ عنا هوت فيه مساكنه   ومن اتانا فجنات وولدان

مؤلفات :

١ — الامام احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيـل بن جعفر الصادق وهو جد المهدي الفاطمي تنسب اليه رسائل اخوان الصفا . (٢) رسالة الجامعـــة نصفان (٣) جامعة الجامعة .

٢ — المهدي (٢٩٧ — ٣٢٢ ﻫ) (١) كتاب الاسرار .

٣ — المنصور (٣٣٤ — ٣٤١ ﻫ) (٢) تثبيت الامامــة لعلي بن ابي طالب (٢) وصيته الى المعز .

٤ — المعز (٣٤١ — ٣٦٥) (١) تأويل الشريعة (٢) كتـــاب الروضة . (٣) بيان في العلم ومجلسه . (٤) الرسالة الى حسن القرمطي . (٥) المناجاة (٦) الرسالة في شأن المسيحية .

من شعره قوله (في النجوم الزاهرة) :

لله مـــا صنعت بنـــا   تلك المحاجر في المعاجر

امضى واقضى في النفوس   من الخنــاجر في الحناجر

ولقـــد تعبت ببينكم   تعب المهاجر في الهواجر

٥ — ومن شعر العزيز (٣٦٥ — ٣٨٦ ﻫ) وذكره الثعالبي في يتيمة الدهر وقدمات له ابن في العيد فقال :

نحن بني المصطفى ذوو محن   يجرعها في الحيـاة كاظمنا

عجيبــة في الانام محنتنا   اولنـا مبتلى وخاتمنـــا

يفرح هـذا الورى بعيدهم   طرا واعيادنا مآتمنـــا

ومن شعره قوله في جواب رقعة وصلته من داعي دعاته فيها :

اقسم لو انك توجتني : بتاج كسرى ملك المشرق

ونلتني كل امور الورى من : قد مضى منهم ومن قد بقي

وقلت ان لا نلتقي ساعة اجبت يا مولاي ان نلتقي

لان ابعادك لي ساعة : شيّب فوديّ مع المفرق

فأجاب :

يا حجة مشهودة في الورى   وطود علـم اعجز المرتقى

ما أغلقت دونك ابوابنـــا   الا لامر مـــؤلم مقلق

ولا حجبنــاك ملالاً فثـق   بودنا وارجع الى الاليـق

خفنا على قلبك من سمعه   فصدنا صـــد اب مشفق

شيعتنـــا عدموا رشدهم   في الغرب يا صاح وفي المشرق

فانشر لهم ما شئت من علمنا   وكن لهم كالوالد المشفق

ان كنت في دعوتنـا آخرا   فقد تجاوزت مدى السبق

مثلك لا يوجد فيمن مضى   من سائر الناس ولا من بقي[1]

قيل ان قلم الحبر احد المخترعات الحديثة ويرجع عهده الى القرن الثامن عشر الميلادي ، وقيــل ايضاً ان الاميريكيين كانوا اسبق الناس الى معرفته ، ولذا اطلق عليه المصريون اسم « القلم الامريكي » واعتقد الناس هذا كله ولم يخطر

(١) ديوان المؤيد الشيرازي عن النسخة المحفوظة بدار الكتب الاعظمية بباكستان

بباالهم ان هذا النوع من القلم انما عرف قبل ذلك بقرون عديدة . والذي اخترعه هو المعز لدين الله الفاطمي منشىء القاهرة ومشيد الجامعة الازهرية . فقد جاء في كتاب « المجالس والمسايرات » للقاضي ابي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن احمد بن حيون التميمي المتوفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٣٦٣ هـ (قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه : ذكر الامام المعز لدين الله القلم فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ، ثم قال : نحن نريد ان نعمل قلماً يكتب به بلا استمداد من دواة ، يكون مداده من داخله ، فمتى شاء الانسان كتب به فامر ان يكتب بذلك ما شاء ، ومتى شاء تركه فارتفع المداد وكان القلم ناشفاً منه يجعله الكاتب في كمه او حيث شاء ، فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد عنه ، ولا يكون ذلك الا عند ما يبتغي منه ويراد الكتابة به فيكون آلة عجيبة لم نعلم انا قد سبقنا اليها ، ودليلي على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها فقلت : ويكون هذا يا مولانا عليك سلام الله ؟ قال : يكون ان شاء الله . فما مر بعد ذلك الا ايام قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة به معمولاً من ذهب ، فاودعه المداد وكتب به فكتب ، وزاد شيئاً في المداد على مقدار الحاجة فأمر باصلاح شيء منه فأصلحه ، وجاء به . فاذا هو قلم يقلب في اليد ويميل الى كل ناحية ، فلا يبدو منه شيء من المداد ، فاذا اخذه الكاتب وكتب به كتب احسن كتاب ما شاء ان يكتب به ثم اذا رفعه عن الكتاب امسك المداد ..

فرأيت صنعة عجيبة لم اكن اظن ان ارى مثلها وتبين فيه مثل حسن بأنه لا يسمح بما عنده الا لمن طلب ذلك منه ، ولا يجوز لغير مبتغ ، ولا يخرج منه ما يضر فيلطخ يد من يمسكه او ما لصق به ، فهو نفع لا ضرر ، وجواد لمن سأل وممسك عمن لم يسأل .

فأنت ترى ان المعز لدين الله الفاطمي وضع وصفاً دقيقاً لاقلام الحبر التي نستعملها اليوم ، وأمر بصنعها على النحو الذي رسمه ، ويفهم من كلام المعز لدين الله والنعمان ان هذا النوع من الاقلام لم يكن معروفاً قبل المعز ، واذاً فالمعز

لدين الله الفاطمي هو اول رجل بلغنا انه فكر في صنع قلم الحبر على هذا النحو وانه نفذ فكرته واخرجها الى حيز الوجود بان صنع قلم الحبر من الذهب .

(وهذه المقالة منشورة في مجلة الثقافة ، العدد ٨ من السنة الاولى)

٦ — المستنصر (٤٢٧ — ٤٨٧ هـ) (١) خطب مولانا المستنصر .

٧ — الحاكم (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ومما ينسب اليه من الشعر — وقيل هو للامر (النجوم الزاهرة) .

دع اللوم عني لست مني بموثق   فلا بد لي من صدمة المتحنق
واسق جيادي من فرات ودجلة   واجمع شمل الدين بعد التفرق

٨ — الآمر . (٤٩٥— ٥٢٤ هـ) (١) الهداية الآمرية (٢) اكليلاً (٣) كتاب البرهان (وقد فند) ومن شعره قوله (النجوم الزاهرة) :

أصبحت لا أرجو ولا اتقي   إلا إلهي وله الفضل
جدي نبي وأمامي أبي   ومذهبي التوحيد والعدل

٣ — جاء في كتاب عيون الاخبار للداعي ادريس عماد الدين اليماني ج ٦ ص ١٨٧ ان هذه الاشعار للخليفة المعز لدين الله الفاطمي قالها في ابنه الامير عبدالله لما توفي في اقبال العيد : وقال فيه الامير (تميم) رثاءه المعروف اوله : كل حي الى الفناء يصير ..

مؤلفات :

١ — المفضل بن عمرو الجعفي تلميذ جعفر الصادق ١ — في الخصال السبعين المحمودة واضدادها ٢ — فصول من الاسرار العالية ٣ — الابتداء والانتهاء مما رواه عن جعفر الصادق ٤ — الأدلة على الخلق ٥ — رواية الارز .

٢ — ابو عبد الله محمد بن احمد النسفي البرزئي الداعي في تركستان (٣٣١ هـ ٩٤٢ م) ١ — كتاب المحصول ٢ — كون العالم .

٣ – الداعي عبدان (٢٨٦ هـ ٨٩٩ م) ١ – رسالة الشمعة المسماة بمفاتيح النعمة .

٤ – ابو يعقوب اسحاق بن احمد السجستاني وكان كالخليفة من الامام الفاطمي في الري وقتل في بخارى سنة ٣٣١ هـ – ٩٤٢ م . ١ – كتاب الافتخار ٢ – كتاب[1] الينابيع ٣ – كتاب اثبات النبوة ٤ – كتاب المقاليد ٥ – كتاب المبدأ والمعاد ٦ – رسالة مسلية الاحزان ٧ – كتاب تأليف الارواح ٨ – كتاب سلم النجاة ٩ – سرائر المعاد والمعاش ١٠ – رسالة مؤنسة القلوب ١١ – كتاب الغريب في معنى الاكسير ١٢ – الرسالة الباهرة ١٣ – كتاب الامن والحيرة ١٤ – رسالة الموازين ١٥ – تحفة المستجيبين ١٦ – اساس الدعوة ١٧ – كشف المحجوب ١٨ – تأويل الشرائع ١٩ – كتاب النصرة في شرح ما قاله الشيخ الحميد في كتابه المحصول ٢٠ – كتاب الواعظ ٢١ – خزانة الادلة .

٥ – جعفر بن منصور اليمن داعي دعاة المعز لدين الله (منتصف القرن الرابع) .

١ – اسرار النطقاء ٢ – سرائر النطقاء ٣ – كتاب العالم والغلام ٤ – كتاب الكشف ٥ – كتاب الفترات والقرانات ٦ – كتاب الرضاع في الباطن ٧ – كتاب الفرائض وحدود الدين ٨ – كتاب الشواهد والبيان ٩ – كتاب تأويل الزكاة ١٠ – كتاب تأويل سورة النساء ١١ – تأويل حروف المعجم .

٦ – حميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني داعي دعاة الحاكم بامر الله (المتوفي بعد ٤٠٨ هـ) .

١ – كتاب المصابيح في اثبات الامامة ٢ – الرسالة الوضيئة ٣ – كتاب الرياض[2] ٤ – كتاب الاقوال الذهبية ٥ – ثلاث عشرة رسالة ٦ – راحة

(١) حقق هذا الكتاب الاستاذ عارف تامر .

(٢) حقق هذا الكتاب الاستاذ عارف تامر .

العقل جزءان ٧ – تنبيه الهادي والمستهدي ٨ – معاصم الهدى ٩ – الاصابة في تفضيل علي على الصحابة ١٠ فصل الخطاب وابانة الحق ١١ – رسالة النظم ١٢ – المضيئة في الأمر والأمير والمأمور ١٣ – الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان ١٤ – الروضة في الأزل ١٥ – الرسالة الزاهرة ١٦ – التوحيد في المعاد ١٧ – تاج العقول ١٨ – ميدان العقل ١٩ – الرسالة الحاوية في الليل والنهار ٢٠ – رسالة الواعظ ٢١ – رسالة المعاد ٢٢ – رسالة الكافية في الرد على هارون الحسني ٢٣ كتاب خزائن الادلة ٢٤ – رسالة الفهرست ٢٥ – رسالة المقادير .

٧ – المؤيد في الدين ابو نصر هبة الله بن علي بن محمد الشيرازي السلماني داعي دعاة المستنصر بالله (المتوفي سنة ٤٧٠ هـ)

١ – ثمان مائة محاضرة المعروفة بالمجالس المؤيدية ٢ – ديوان المؤيد ٣ – السيرة المؤيدية ٤ – الابتداء والانتهاء ٥ – المسألة والجواب ٦ – كتاب نهج العبادة ٧ – شرح المعاد ٨ – المسائل السبعون ٩ – نهج الهداية للمهتدين ١٠ – اساس التأويل بالفارسية ١١ – السبح السبع ١٢ – الايضاح والتبصير في فضل يوم الغدير ١٣ – تأويل الارواح ١٤ – المجالس المستنصرية للمؤيد .

٨ – ابو حنيفة النعمان بن محمد بن المنصور بن حيون التميمي قاضي قضاة المعز (المتوفي سنة ٣٦٣ هـ) وقرأ عليه الشريفين الرضي والمرتضى .

١ – كتاب الهمة في آداب الائمة . ٢ – المجالس والمسايرات جزءان . ٣ – افتتاح الدعوة ٤ – المناقب والمثالب ٥ – اختلاف اصول المذاهب ٦ – الارجوزة المختارة ٧ – كتاب الطهارة ٨ – كتاب المنتخبة جزءان ٩ – كتاب الاقتصار جزءان ١٠ – منهاج الفرائض ١١ – مختصر الآثار ١٢ – الينبوع في الفقه ١٣ – دعائم الاسلام جزءان ١٤ – اساس التأويل ١٥ – تأويل الدعائم جزءان (١٦) جوابات عن مسائل خطاب بن وسيم ١٧ – شرح الاخبار ١٨ – جواب القاضي نعمان ومسائل الحيرة ١٩ – الاخبار في الفقه ٣ اجزاء من مختصر المصنف يتلوها . ٢٠ – شرح الخطب التي لامير

المؤمنين علي ٢٣ ـ كتاب الراحة والتسلي ٢٤ ـ مفاتيح النعمة ٢٥ ـ كتاب الدعاء ٢٦ ـ تأويل الرؤيا .

٩ ـ **يعقوب الوزير بن كاس** : ١ ـ مناسك الحج ٢ ـ كتاب الفقه .

١٠ ـ **محمد بن زيد داعي العزيز** (٣٦٨ ـ ٣٨٦) ١ ـ كتاب البلاغ .

١١ ـ **حسن بن محمد الميهدي داعي العزيز** ١ ـ رسالة إلى جماعة اهل ري .

١٢ ـ **احمد بن ابراهيم النيسابوري داعي العزيز والحاكم** ١ ـ اثبات الامامة ٢ ـ كتاب المعجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود ٣ ـ الزاهرة في معرفة الدار الآخرة .

١ ـ رسالة منير البصائر ٢ ـ رسالة النفس ٣ ـ غاية اللطائف والكتائف ٤ ـ رسالة النعيم ٥ ـ غايـة المواليد ٦ ـ رسالة في بيان اعجاز القرآن ٧ ـ ديوان الشعر ٨ ـ القصيدة الميمية في علي .

٢٨ ـ **ابو حاتم عبد الرحمن الرازي داعي الديلم** ١ ـ كتاب الاصـلاح ٢ ـ مجالس سيدنا حاتم ٣ ـ كتاب الزينة ٤ ـ اعلام النبوة ٥ ـ كتاب الجامع .

٢٩ ـ **الداعي المكرم بن علي بن محمد الصليحي** ١ ـ قصة الرؤيا ٢ ـ حداثة الارواح .

٣٠ ـ ١) كيفية الطلب لمن اراد التخليص من حبائل الشيطان لأحد دعاة الفاطميين .

٣١ ـ ١) سيرة القائد جوهر لابن زولاق .

٣٢ ـ ١) سيرة الاستاذ جوزر للمقضور الجوزري سكرتير الاستاذ جوزر الذي هو وزير المعز .

٣٣ ـ ١) استتار الامام لاحمد بن ابراهيم النيسابوري في عصر المعز وتتلوه سيرة جعفر الحاجب لمحمد بن احمد اليماني .

٣٤ ـ ١) ديوان ابن هاني الاندلسي شاعر المعز لدين الله .

(العودة الى الاستاذ الكبير)

يجب ان لا يفوت القارىء ان النظر إلى الفاطميين من حيث هم ملوك وخلفاء يختلف عن النظر اليهم باعتبارهم ائمة اوصياء . واتباع الفاطميين يعتقدون منذ كانوا إلى الآن ان الامامة ميراث يتعاقبه المنصوص عليهم من ذرية فاطمة الزهراء وهذه الأمامة تظهر احياناً وتستتر احياناً وفقاً لما تسمح به مقتضيات الاحوال. وان الامامة باقية فيهم ما بقي لهم .

وقد بقيت الامامة مؤيدة للملك مرشدة له منذ عهد المهدي بالله بالمغرب الى عصر الآمر بمصر . وحدث في خلافة المستعلي ان قام نزاع بينه وبين اخيه نزار انتهى بقتل الاخير الا ان البقية من شعيته وانصاره لم تنطفىء في جذوة حقدهم حتى عصر الآمر . وقد صنف الآمر كتاباً ١ ـ يدافع فيه عن وجهة نظره في الخلافة ويقيم الدلائل على امامة أبيه المستعلي مما يحقق لنا ان الخصومة كانت في ذلك العهد على أشد ثورتها . حتى ان الخليفة لم يكتف بما يصنفه دعاته فتصدر بنفسه للدفاع وحمل لواء القلم ضد النزاريين فما لبثوا ان دبروا كميناً لاغتيال الآمر فطعنوه بسكين وقبل ان تدركه الوفاة أدرك بثاقب نظره وسعة حيلته ان الأمر يؤول الى شروان والخصومة قد لا تنتهي عند هذا الحد فارسل ولده الطيب بطريقة سرية وهو صغير لم يتجاوز الخامسة مع ابن مدين داعي دعاته والدعاة الآخرين واستوصي به الملكة الحرة أروى بنت احمد آخرة الملوك الصليحيين الذين قاموا في خلافة المستنصر دعاة ينشرون المذهب الفاطمي في كل بلاد اليمن . .

١ ـ وقد نشر هـــذا الكتاب « اسلامي ريسرج اليوسي ايشن » ببومباي الهند (جمعية الابحاث الاسلامية في بومباي) .

٢ ـ سنة ٤٥٣ كتب الصليحي الى المستنصر الجيدي يستأذنه في اظهـــار الدعوة ووجه اليه هدية جليلة منها سبعون سيف قوائمها من عميق . وبعث مع الهدية رجلين من قومه احمد بن محمد والد السيدة واحمد بن المظفر والد السلطان سبأ بن احمد ، فقبل المستنصر هديته وأمر له برايات وكتب عليها الالقاب وعقد

له الألوية واذن له في نشر الدعوة . ولم تمض سنة ٤٥٥ الا وقد ملك من مكة الى حضرموت سهلاً وجبلا .

(قرة العيون لاخبار اليمن لابن الديبع بدار الكتب المصرية تاريخ ٢٢٤)
(ابن خلكان ج ٢ ص ٧٤) .

وفي نفس تلك السنة توفيت الملكة الحرة السيدة اروى بنت احمد الصليحي.

١ ـ قام ذؤيب بن موسى الداعي المطلق بعد الحرة الملكة اروى بنت احمد في اليوم الثاني والعشرين من شعبان سنة ٥٣٢ هـ وقام بعده اثنان وعشرون داعياً مطلقاً في اليمن بهذا الترتيب ٢ ـ ابراهيم بن الحسين الحامدي ٣ ـ حاتم بن الداعي ابراهيم ٤ ـ علي بن الداعي حاتم ٥ ـ علي بن محمد بن الوليد ٦ ـ علي ابن حنظلة ٧ ـ احمد بن المبارك بن الوليد ٨ ـ حسين بن علي بن الوليد ٩ ـ علي بن الحسين ١٠ ـ علي بن الحسين بن علي بن حنظلة ١١ ـ ابراهيم بن الحسين ١٢ ـ محمد بن حاتم ١٣ ـ علي بن ابراهيم ١٤ ـ عبد المطلب بن الداعي محمد بن حاتم ١٥ ـ عباس بن الداعي محمد بن حاتم ١٦ ـ عبد الله بن الداعي ١٧ ـ حسين ابن عبدالله ١٨ ـ علي بن عبدالله ١٩ ـ ادريس بن الحسن ٢٠ ـ حسن بن ادريس ٢١ ـ حسين بن ادريس ٢٢ ـ علي شمس الدين ٢٣ ـ محمد عز الدين .

ثم قام ثلاثة وعشرون داعياً مطلقاً في الهند بهذا الترتيب :

٢٤ ـ يوسف بن سليمان ٢٥ ـ جلال بن حسن ٢٦ ـ داود بن عجبشاه ٢٧ ـ داود بن قطب شاه ٢٨ ـ شيخ آدم صفي الدين ٢٩ ـ عبد الطيب زكي الدين ٣٠ ـ علي بن حسن ٣١ ـ قاسم زين الدين ٣٢ ـ قطب الدين ٣٣ ـ فيرخان شجاع الدين ٣٤ ـ اسماعيل بدر الدين ٣٥ عبد الطيب زكي الدين ٣٦ ـ موسى كليم الدين ٣٧ ـ نور الدين ٣٨ ـ اسماعيل بدر الدين ٣٩ ـ ابراهيم وجيه الدين ٤٠ ـ هبة الله المؤيد في الدين ٤١ ـ عبد الطيب زكي الدين ٤٢ ـ يوسف نجم الدين ٤٣ ـ عبد علي سيف الدين ٤٤ ـ محمد عز الدين ٤٥ ـ طيب زين الدين ٤٦ ـ محمد بدر الدين .

واولهم عبد القادر نجم الدين ابن الداعي طيب زين الدين وثانيهم عبدالحسين حسام الدين ابن الداعي طيب زين الدين وثالثهم محمد برهان الدين بن عبد القادر نجم الدين ورابعهم عبد الله بدر الدين بن الحسين حسام الدين . وخامسهم طاهر سيف الدين ابن محمد برهان الدين وهو في قيد الحياة وزار مصر قبل سنتين ولقبه الصحفيون (سلطان البهرة) وقد عين ابنه الاكبر محمد برهان الدين نائباً له ويقال للنائب عندهم « المأذون » وهذه الرواية منقولة عن خصوم طاهر سيف الدين أما اتباعه فيقولون ان طاهر سيف الدين داعي حق متصل بامام الزمان وقد ذكرنا هذه الأشياء لمجرد البيان التاريخي ومن العسير ان نحاول الوقوف على حقيقة الأمر في وجود صلة هذا الداعي بالامام المستتر وقد نشر بعض أحواله في كتاب فتى الهند الذي نشر في القاهرة .

ونعود لنقول ان الآمر استناب عنه في الملك احد بني عمومته ولقبه بالحافظ . ومن هذا اللقب وحده نستدل على ان الملك أصبح وديعة محفوظة وامانة ترد الى اهلها فان الحافظ لم يكن من أبناء الائمة ولا وارثاً شرعياً لها . ولكنه غصب الذمة واغتصب الوديعة واستأثر لنفسه بالملك . وقد خلا له الجو بموت الآمر وذهاب الطيب فولى عنه الدعاة وجوههم وضعف امر الشيعة وشاع الاضطراب وانفسح المجال للادعياء والوزراء ينادون بانفسهم . ولم يكن للحافظ من الأمر شيء وقد ازداد الحال من سيء الى أسوأ في خلافة من جاء بعده وهم الظافر ـ ٥٤٤ هـ ـ ٥٤٩ هـ ـ والفائز ـ ٥٤٩ ـ ٥٥٥ هـ ـ والعاضد ـ ٥٥٥ هـ ـ ٥٦٧ هـ ـ حتى انقرضت اسرتهم بقيام الايوبيين . أما الطيب فقد ولي دعاة مطلقين بعد الملكة الحرة أروى بنت احمد الصليحية فاصبحت هذه الدولة دينية محضة بعد الصليحيين لا شأن لها بالسياسة الدنوية . وقد اعتصموا بجبل حصين من جبال اليمن يتعاقب منهم الدعاة المطلقون بنص الائمة الذين بدأوا دور الاستتار الكبير من عهد الطيب حتى بلغ عدد هؤلاء الدعاة ثلاثة وعشرين باليمن ثم انتقلوا بالدعوة الى بلاد الهند واقام بها الدعاة كذلك حتى بلغ عددهم مثل عدد اسلافهم باليمن وكان جملتهم ستة واربعين الا ان الاخير منهم قتل في سنة ١٢٥٦ بالسم كما

قيل على اثر مكيدة دبرها أحد منافسيه . ومن ذلك الحين انقطع خبر الامام ولم
تعد رسائله تصل الى دعاته فاقام العلماء ذلك المنافس نائباً للداعي المقتول خوفاً
من شتات شمل الجماعة حتى يرد نبأ صحيح من امامهم المستتر من ابناء الطيب .
وبقيت هذه الدعوة موروثة في اسرة هذا النائب واعقابه حتى اليوم ٩ – وقبل
ذلك ايضاً شجر الخلاف بين ابناء هذه الفرقة لقيام دعاة آخرين ونسبة الدعوة اليهم
«والفرق بين الشيعة والفاطمية والامامية ان الآخرين ينتظرون ظهور مهدي معين
هو الامام الثاني عشر الذي اختفى في سرداب ايام العباسيين . اما الفاطميون
فعندهم ان الامامة باقية في نسل الطيب الذي هو الحادي والعشرون » ويسمونه
امام الزمان وقطب العصر . ثم تبقى هذه الوصية بالامامــة في بنيه ولداً بعد
ولد وخلفاً بعد سلف حتى يكمل عددهم المـائة ، وحينئذ يبدأ عهد الظهور
الكامل يسمونه دور الكشف مستدلين على ذلك بخبر مأثور عندهم مفاده ان
فاطمة الزهراء سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيها مثل ما أعطى سليمان
ابن داود ابنته عند زواجها . فاعطاها سبحة وهي تشمل على مائة حبة . وبين
لها انها خير مما اعطي سليمان لابنته وفي حبات هذه السبحة رمزاً إلى انه يكون
من اعقابها مائة قطب يديرون رحى الزمان .

واليك ايها القارىء آخر وثيقة انفذها احد الائمة من سلالة الطيب الى داعيه
المطلق ادريس عماد الدين ابن الداعي الحسن ابن الداعي علي بن محمـــد الوليد
الانفي القريشي في منتصف القرن التاسع الهجري وهي ترشدنا إلى ان الإمامـة
لم تنقطع بذهاب الفاطميين من مصر وانها بقيت تؤدي رسالتها وتبث في الآفاق
دعوتها وهي « بسم الله الرحمن الرحيم .. وبه نستعين . الحمد لله رب العالمين »
« أي من عبدالله الواحد القهـار ووليه محمد بن هاشم بن نزار» الحمد لله الذي
جعل الحمد فاتحة كتابه ، وعد الجزاء على شكره والزيادة بعد ايجابه وتواعد على
كفره بشديد عذابه ، نحمده ونشكره حمداً وشكراً يرضى به ونصبر على مـا
نابنا رجاء لثوابه ، ونشهد ان لا اله الا الله شهادة بريئة من الشك وارتيابه ولم
يتخـذ ولداً ولم يكن له شريك في خلقه من اسبابه ، ونشهد ان محمد عبده

ورسوله الذي اصطفاه باختياره وانتخابه ، وارسله مبشراً بمـا وعد من الجزاء
ونذيراً من عقابه ، صلى الله صلاة عليه في النهار وانتهائه ، والليل واحقـابه ،
وعلى أبينا علي وصيه وخليفته وبابه ، والمجاهد دونه باسمره وقرضابه ، الفائز به
وليه ومآبه ، وعلى الائمة الطاهرين من آلهما خيرة الله وصفوته وأحبابه ، وسفن
نجاته المخلصين من غرق الطوفان وزاخر عبابه ، وعلى من خلفهم متلفعاً من الستر
بجلبابه . اما بعد فانا اصدرنا هذا الكتاب إلى عمدة دعوتنـا وعمادها ونبراسها
المضيء بشيعتنا في طخياء ظلمة الستر وسوائها ، فنخصه من السلام بما يزلف به
ومن التحيات المرضية بما يتصل به اسبابنا بسببه والله تعالى يحوطه ويكلأه ويعني
رعايته برمعه ويتولاه وينصره وانه الهه ومولاه ، ثم اننا ننبه ما لدينا من الغم
لحدوث امر الله الحتم بما اختار الله لمولانا ووالدنا نسباً وسبباً ومن كان للمؤمنين
أباً ، نقله الله اليه واختار له ما لديه والحقه بآبائه الطاهرين واجداده وازلفه
معهم في دار ثوابه ومعاده فصلى الله عليه صلاة بزلفه في الرضوان ويواصلنـــا
بركاته في كل اوان فلولا ما امر الله تعالى به عباده الصالحين من الصبر والاحتساب
بقوله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) لما وسعتنـــا الارض من
بعده ، ولحرمنا طيب عيشها ومائها لفقده ، ولكن تلك سبيل وكل يجوزها ،
ومحجة المولى الى دار نعيم يحوزها فلمكانك منا وقربك ومحلك عندنا وعند ابائنا
وابائك المرحومين وجهادكم في مرضاة الله ربك اشعرناك ما لدينــا ، وعرفناك
مالنا وما وعلينا ، كما قال المعز لدين الله عليه السلام : « مولاك مضى ومولاك
بقي »فاثبت على ما انت فيه من إقامة دعوتنا ثبتك الله بالقول الثابت، وجعلك
شجرة مباركة في ازكى المنابت . وان رسولنـا اوصل الينا جوابك ، وتحققنا
ما فصلت به خطابك ، وما ذكرته ممـا قضى الله على اخوانك من اهل الدين
وكبراء المؤمنين . وكان ذلك في عهد مولانا وسيدنا أمير المؤمنين فترحم وترحمنا
عليهم بما يتقبله الله ويزلفهم في دار ثوابه وجنته ، ويحلهم مع محمد صلى الله عليه
وسلم في زمراته ، وتحققنا ما ذكرت من استفتاحك لبعض بلادكم وحصولكم
فالله تعالى يتم لك النصر والمعونة ويكفيك شر امته واعقابهم .
فهم في القرآن الشجرة الملعونة ، ويضم باخونك عضدك ، ويشد بها اودك ،

فانهم بقية من ابائكم الذين لهم حسن السوابق ، والى المجلي ينتهي المصلي اللاحق وعليك السلام ورحمة الله والاكرام . وقد أمرنا رسولنــا بالوقوف في مكة الشريفة حتى يأتينا بجوابك فأصدر اليه به من تختصه من أصحابك ولا يصلنـا منك رسول فهو ينصب نفسه في طلبنا ولا يخبرنا لانا لايقربنا بلد الى بلد ويزعجنا من عندنا من الاضداد ان نستقر في مكان على الابد . واصدارنا اليك بوصلته متى أمكن نصدر من يأتي به اليك في الاوان الذي يأذن الله به .

وكتب في شهر المحرم من سنة ست واربعين وثمانمائة . وبالله نستعين وهــو حسبنا ونعم الوكيل . والحمد لله اولاً وآخراً ، وباطنـاً وظاهراً ، والصلوة على نبيه ووصيه وآله الذين البسهم الله مفاخراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد رثاهم عمارة اليمني بعــد انقراضهم واستيلاء صلاح الدين بن ايوب على المملكة بقصيدة وصف فيهــا مملكتهم وعدد مواكبهم وحكى مكارمهم وجلى محاسنهم وعمارة هذا لم يكن على معتقد الشيعــة بل كان فقيهاً شافعياً قدم مصر برسالة عن القاسم بن أبي هاشم بن أبي فليته أمير مكة إلى الفائز احد خلفائهم في سنة خمسين وخمسمائة في وزارة الصالح طلائع بن رذيك . فاحسنوا له وبالغوا في بره . فأقام عندهم وتألف بهم وأتى بهم من المدح بمــا بهر العقول ، ولم يزل موالياً لهم حتى زالت دولتهم واستولى السلطـــان صلاح الدين يوسف بن ايوب فرثاهم بهذه القصيدة فكانت آخر اسباب حتفه فصلب فيمن صلب بين القصرين من اتباع الدولة الفاطمية :

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأي العثور فان ... قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جدعت ما رنك الاقنى فانفك لا ... ينفك ما بين امر الشين والخجل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل ... شقيت مهلا أما تمشي على مهل

لهفي ولهف بني الامــال قاطبة ... على فجيعتها في اكرم الدول

قدمت مصر فأولتني خلائفهــا ... من المكارم ما أربى على أملي

قوم عرفت لهم كسف الالوف ومن ... كالها انهــا جاءت ولم اسل

وكنت من وزراء الدست حيث سما ... رأس الحصان بهاديها على الكفل

ونلت من عظماء الجيش اكرمة ... وخلة خرست من عارض الخلل

يا عاذلي في هوى ابنـــاء فاطمة ... لك الملامة ان قصرت في عذلي

بالله زر ساحة القصرين وابك معي ... عليها لا على الصفين والجمـــل

وقل لاهليهما والله مــا التحمت ... فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل

ماذا ترى كانت الافرنـج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي

هل كان في الامر شيء غير قسمة ما ... ملكتم بين حكم السبي والنقل

وقد حصلتم عليهــا واسم جدكم ... محمــد وابوكم خير منتعـــل

مررت بالقصر والاركان خالية ... من الوفود ، وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد ... من الاعادي ووجه الود لم يمل

اسبلت من اسفي دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجورة السبل

ابـــكي على مأثرات من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت انس وافدكم ... واليوم اوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم اذ اضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل

وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورث منهــا جديد عندهم وبلي

وموسم كان في يوم الخليج لـكم ... يأتي باجملكم فيه على الجمـــل

واول العــام والعيدين كم لـكم ... فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز في يوم الغدير كما ... يهتز ما بين قصريكم من الاسل

والخيل تعرض في وشي وفي تيه ... مثل العرائس في حلي وفي حلل

وما حملتم قرى الاضياف من سعة ... الاطباق الا على الاكتاف والعجل

وما خصصتم ببر اهـــل مملكة ... حتى عممتم به الاقصى من الملل

كانت رواتبكم للوافدين وللضيف ... المقـــيم وللطاري من الرسل

ثم الطراز بتنيس الذي عظمت ... من الصلاة لاهل الارض والدول

وللجوامع من اخماسكم نعم   ممن تصدر في علم وفي عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها   منكم واضحت بكم محلولة العقل
والله : لا فاز يوم الحشر مبغضكم   ولا نجا من عذاب النار غير ولي
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ   من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت   من خان عهد الامام العاضد بن علي
ائمتي وهداتي والذخيرة لي   اذا ارتهنت بما قدمت من عمل
والله لم نوفهم في المدح حقهم   لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واستبقت   ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا واخرة   وحبهم فهو اصل الدين والعمل
نور الدجى ومصابيح الهدى وهم   من نور خالص نور الله لم يغل
والله لا زلت عن حبي لهم أبدا   ما اخر الله لي في مدة الاجل

(عن كتاب صبح الاعشى للشيخ ابي العباس احمد القلقشندي ج ٣ ص ٥٣٠)

(حياة الامير تميم من ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) الى ٣٧٤ هـ)
(٩٨٤ ميلادية)

اما ديوان تميم فهو ما بين ايدينا ، واما شخصيته فقد اخفى التاريخ عنا كثيراً من مقدماتها وموادها الاولى . لا لأن شخصيته من الضآلة بحيث لا يعني بها مؤرخ الحوادث الأدبية والشؤون الجسام . بل لان الظروف التي طمست كثيراً من حقائق هذه الاسرة طغت بسيلها الجارف على هذه الشخصية ومهما يكن من قلة المصادر التاريخية فان الحوادث المستفادة من التاريخ العام تستطيع ان تخرج لنا من بين ثناياها معلومات لم تكن كل شيء ففيها شيء كثير وغناء كبير .

يبدو لي ان حياة تميم بالمغرب كانت قليلة الآثار الادبية فان ديوانه كما سنفصل البيان في ذلك هو فصول في الادب المصري البحت قليل الاتصال بحياة الفاطميين في المغرب وبملكهم وآثارهم على أني أحسب ان شخصية ابن هاني كادت تطغى إلى حد ما على شاعرنا الناشيء وهو بعد ما يزال في باكورة الشباب يستقي مناهل العلم ويتعرف إلى الدنيا من حوله . وأعزو إلى مكتبة الفاطميين اوفر قسط واكبر نصيب في حياة تميم . وقد قدمنا للقارىء ان المكتبة الفاطمية قد وعت مئات الالوف من المجلدات وهم لم ينشئوها ولم يخلقوها مرة واحدة . فقد كانوا يعنون بالعلوم ويضطلع ائمتهم باصولها وفروعها مستترين او ظاهرين . ولما قام ملكهم بالمغرب كان منافسوهم في الملك يتنافسون في حلبة العلوم والفنون ويجمعون من مراجع اللغة ومصادر الدين ما يكبدونه جواد

الحصر والعد .

قال ابن خلكان (ج ١ ص ١٧٢) في ترجمته :

ابو علي تميم بن المعز : كان ابوه صاحب الديار المصرية والمغرب ، وهو الذي بنى القاهرة المعزية . وكان تميم المذكور فاضل شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ولم يل المملكة لان ولاية العهد لاخيه العزيز . فوليها بعد ابيه . واشعـــاره كلها حسنة وكانت وفاته في ذي العقـدة سنة اربع وسبعين وثلثمائة بمصر رحمه الله تعالى . وهكذا قال صاحب الدول المنقطعة (ص ٤٨) وزاد العتقي في تاريخه انه توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور . وان اخاه نزار بن المعز حضر الصلاة عليه في بستانه وغسله القاضي محمد بن النعمان وكفنه في ستين ثوباً واخرجه من البستان مع المغرب وصلى عليه بالقرافة وحمله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعز . وقال محمد بن عبدالملك الهمداني في كتابه الذي سماه المعـــارف المتأخرة . انه توفي سنة خمس وسبعين والله اعلم . وقال غيرهما انه ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة .

وقد نشأ تميم في مدرسة بيته يتلقى فقه الشيعة وفنون اللغة وفلسفة الامامة وأسرارها من ابيه ومن دعاة أبيه وسترى ان ديوانه المصري يلقي على مصر جلباباً نسجه البيان الاندلسي وديجه فن قرطبة واشبيلية وغيرهمـــا من تلك المدن التي نقشت فيها الطبيعة ابدع صورها واجمل مناظرهـــا . ومن هذا نستطيع ان نعلم ان الاندلس (وقد كانت اقرب اليه من بغداد) قد اثرت في تفكيره ايمـــا تفكير وتأثير سيما وقد انتقل ابن هاني من بلاد الاندلس إلى القيروان عاصمة الفاطميين يمدح المعز بغر المدائح وينثر على تلك الروابي مـــا تركته في نفسه الحدائق الغناء والقصور الشماء في وطنه الاول . غير ان تميماً لم يتأثر كثيراً بابن هـــاني بل لا نكاد نسمع له ذكراً او نعرف عنه خبراً في كل قصائده . فمذهب ابن هاني يتلخص في ناحيتين همـــا اسلوبه اللغوي ومبالغته المغروفة ، ولكن تميماً تحرر من هذين القيدين ومن غيرهما ولم يعمد إلى محاكاة اسلوب او تقليد مذهب .

كانت حياته الاولى في ظل أبيه حيـــاة دراسة وتعلم واستفادة واضطلاع وكثيراً ما كنت اسائل نفسي عن تلك الحيـــاة التي لا أرى فيها اثراً ولو قليلاً لاشعـــاره فمهما يكن من هذا الدور من انشغال بالتعلم والبحث فانه لا يخلو من ثمرات الفكر ونتائج العبقرية . ومن اجل هذا أرى ان قسماً من شعره الاول ما زال مفقوداً فقد قدم إلى مصر في نحو السادسة والعشرين من عمره وليس من المعقول ان تخلو تلك السابقة كلها من بضعة قصائد على الاقل ولا يمكن انه ولد في مصر شاعراً كاملاً على الصورة التي نراه بها. فان اكتمال البلاغة في ادبه وازدهار البيان في مدائحه لا يمكن ان يكون وليد المصـادفة ولا اثر المفاجأة وعلى اي حال فنحن نعذر الادباء اذ اجمعوا على ان أفضل شعراء الفـاطميين هو تميم ، فقد انشأ بها المدرسة الحديثة . فمصر قد رأت المتنبي على جلالة شأنه وقد اقام بها إقامة الضيف النازح والغريب المبارح ولم تكن له بها حياة مستقرة بل لم تكن حياة مصر في شيء من الاستقرار . فلما قدم تميم كان جوهر قد مهد الطريق للعمران وابتنى على النيل جسوراً وعلى الشواطىء قصوراً واعد القـــاهرة رفيعة البناء جميلة الرواء وهو مجهود ثلاث سنوات من قائد يخدمه الوف الاجناد والوف العمال . وقدم تميم على حضارة منسقة وطبيعـة حالية بكل جميل الا الشعر فكان هو الحلية الاخيرة المنتظرة وقد خلا له الميدان بعد ان حملت الانباء نعي ابن هاني فانفرد بالمنبر والصولجان وانشأ في البلاد سوق البيان وهو لم يحسن إلى الشعر وحده بل إلى الشعراء ايضاً فقد كان قصره المدرسة الحديثة التي يلتقي على سلافهـــا الندماء ويتبارى على بساطهـــا الشعراء فأجادوا وابدعوا . وكان لحسن الطالع ان صادفه شاعر نسيب يقـاسمه مجد الحسب وتراث الادب . ذلك هو ابن الرسي فجرت بينهما المراسلات التي تطالعك من حين إلى آخر في غير مكان من ديوانه ويظهر ان اسرة الرسي كانت اصيلة في روض القروض عريقة في مضمار البلاغة فأعانت هذه الاسرة وغيرهـــا من الشعراء مضافاً إلى كل ذلك جمال الطبيعة في مصر هذا الشاعر على ان يجيد ما اجاد ويفيد ما فاد .

الرسيون من الحسن بن علي بن أبي طالب رض ونسبهم الى الرس جبل بين

اليمن وعمان . وقد ذكرت انسابهم ومفاخرهم في مكانها في كتاب « حلى الزمن في حلى اليمن » في مدينة صعده حيث توارثوا الامامـــه ، وسكن منهم بمصر جماعة . ولمـــا طالعت تاريخ مصر للقرطبي رأيته قد ذكر رجلاً رفيع القدر كثير التواضع فقال في اثناء وصفه وكان كما قال الحسين بن ابراهيم الرسي :

لم تته وهي فاقت الناس حسناً … وحقيق بمثلها ان يتيها

ثم قال وهذا الشريف الرسي هو الذي كان بينه وبين تميم بن المعز مجاوبات بالنظم وكان يكثر التنزه في بساتينه وفرجه . فطلبت ديوان تميم بن المعز قد حمدت فيه ذكره ، فمما وقع له من الشعر قوله ، وقد سأل الامير تميماً ما اجتمع عنده من شعره فتشاغل عنه فكتب له بذلك :

اني غريم والغريم مطالب … كان المداين موسرا او معسرا الخ.. الخ[1]

فأجابه تميم بشعر منه :

بلغت بلاغتك البديع واكثرا … فنظمت في الآداب لفظك جوهرا .. الخ

وان يكن قد تأثر بشاعر فان هذا الشاعر ابن المعتز لانهما يتفقان في المذهب البياني وفي حسن التشبيه وطرافة الاسلوب والتحرز من بعض القيود ، وكان لا بد ان تقع بينهما المنافسة والمساجلة . فابن المعتز عباسي يدافع عن ملك ابائه وتميم فاطمي يدافع عن قضية اهل البيت ، فهذه المفاضلة من جهه والصلة الادبية من جهة اخرى .. اشتركتا في تنبهه لابن المعتز ورده عليه وبينهما من عظمـــة الملك وعلو المكانة ما يجعل دفاع تميم عن بيته في اول الواجبات ، ولعلنا نعرض إلى موضوع الموازنة مرة اخرى . وقصارى القول ان تميماً قد جعل لمصر مكانة لم تتمتع بمثلها سوى بغداد ، والاندلس ، بما كان فيهما من الشعراء ، ولو اننـــا اكتفينا من قصائده بالعناوين لوجدنا اسماء المواطن المصرية والبلدان المصرية على غرر القصائد تنبئنا بان تميماً قد اهدى إلى مصر روحه وتفكيره وانه اصفاهـــا حبه وولاءه ، ومنها من ذات نفسه وقرارة ضميره افضل ما يبذله وطني مخلص

(١) السفر الرابع من كتاب المغرب في حلى المغرب ص ٨٥ .

لوطن محبوب ولم يستفد شعراء الفاطميين من تميم وحدهم بل استفادوا واستفادت الاجيال بعدهم من هذا المعين ، ونهلوا من ذلك الرحيق ، ولا يدفع ذلك باختفاء ديوان تميم فهو بنفسه قد وضع المذهب الجديد والمدرسة الحديثة التي تأثر بها من بعده ، فقصره ما برح منتدى للمادحين وسوقاً للقائلين. وكان ولده عليّ مقصوداً بالمدائح مرجواً بالقصائد .

وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي الداني المتوفي سنة ٥٢٩ هـ يصف قصراً بناه علي بن تميم بن المعز بمصر .

لله مجلسك المنيف قبابه … بموطد فوق السماك مؤسس
موف على حبك المجرة تلتقي … فيه الجواري بالجواري الكنّس
تتقابل الانوار في جنباته … فالليل فيه كالنهار المشمس
عطفت حناياه دوين سمائه … عطف الاهلة والحواجب والقسي
واستشرقت عمد الرخام وظوهرت … باجل من زهر الربيع وانفس
فهواؤه من كل قد اهيف … وقراره من كل خد املس
فلك تحير فيه كل منجم … واقرّ بالتقصير كل مهندس
فبدا للحظ العين احسن منظر … وغدا لطيب العيش خير معرس
فاطلع به قمرا اذا ما اطلعت … شمس الخدود عليك شمس الاكؤس
فالناس اجمع دون قدرك رتبة … والارض اجمع دون هذا المجلس[1]

ونحن نرى في خفة روح تميم الصفة المصرية او الذوق المصري الذي يصبغ الاديب بلون جذاب ويجعل أدبه مقبولاً مستساغاً. ولئن انقضت دولة الفاطميين في مصر فقد كان شعراء الايوبيين ومن بعدهم إلى مـا قبل الفتح العثماني بقليل ينهجون هذا النهج من الشعر الوصفي والادب الرقيق الذي مهـد للادباء مادة جديدة في الادب المصري او القومي .

قبل ان انتهي من تصدير هذا الكتاب لاضع تميماً بين يدي القارىء يناجيه

(١) نهاية الارب الاول ص ٤١١ .

بمشاعره ويفضي اليه بمكنون خواطره ، لا يسعني الا ان اسجل بمداد الشكر حضرات الذين قدموا إليّ مساعداتهم الادبية لاخراج هذا الديوان ، وساهموا في ابياته بالتصحيح ، وفي رواياته بالاختيار والترجيح ، واخص بالثناء العاطر عالم اللغة العربية الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشاعر الجليل السيد حسن القاياتي ، وإلى زميلي الشاعر الاستاذ الصاوي علي شعلان والى الاستاذ عارف تامر الذي اشرف على طبعه وقرأ مسوداته وغيرهم . واحسب انه لو كان الامير تميم حياً لكان ابلغ مني في شكرهم ، ولكن الله اقدر مني ومنه على مكافأتهم .

اصول الديوان

اعتمدت في نشر هذا الديوان على عدة نسخ مختلفة أهمها ما يأتي : —

١ — نسخة من مقاطعة كجرات بالهند وهي قديمة جداً وليس بها تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ .

٢ — نسخة أخرى من مقاطعة كجرات وهي قديمة كالسابقة ، وتاريخ الكتابة واسم الكاتب غير مذكور .

٣ — نسخة صحيحة من مقاطعة كجرات ايضاً ونسخت ١٥ من شهر صفر سنة ١١٩٩ هـ واسم الناسخ غير مذكور .

٤ — نسخة صحيحة كالسابقة وهي من مقاطعة كجرات ونسخت في سنة ١٢٧٢ هـ واسم الناسخ غير مذكور .

٥ — نسخة وجدت بمكتبة المدرسة الحكيمية في مدينة برهانپور بالهند ولا يعلم تاريخ نسخها ولا اسم ناسخها .

٦ — نسخة عادية وقد نسخت في اليوم التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ هـ واسم الناسخ غير مذكور .

٧ — مختارات من قصائد الامير تميم عثرنا عليها من مكتبة ليدن ، وهي أيضاً غير مؤرخة .

٨ — بعض قصائد الديوان التي وردت في كتاب عيون الاخبار في تاريخ

الفاطميين المخطوط من تأليف داعي الفاطميين ادريس عماد الدين اليماني . وهذه القصائد هي الخاصة بالمدح .

٩ ــ اشعار الامير تميم المنتشرة في مختلف كتب الأدب والتاريخ المطبوعة والمخطوطة .

مقدمة الديون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نضّر بعيون الأعيان رياض البيان ، وفتن القلوب بأفنان فنونه أي افتنان[١] ، وأرسل عليها اللواقح[٢] من ذكاء مهرة الكلام ، وأنفذ في أصولها وفصولها نفثات سحرة[٣] النشّار والنظّام ، ففتق بنفحات نسائم البلاغة كمامها ، وملأ بأزهار براعة البراعة أردانها وأكمامها ، ورش عليها من أنوار الحكم ، ونوار مكارم الشيم ، فأصبحت بقبول القلوب مطلولة[٤] ، ومواعد تنزه النفوس فيها غير ممطولة تسلب أساليبها عقول ذوي الذكاء ، وتلعب أفانينها بألباب أرباب الرقة والصفاء ، لم تغادر رقة نسيبها[٥] قلباً خلياً ، ولم تترك لوعة لهفها وأسفها أن يمسي سامع إلا شجياً .

تثير مدائح[٦] حماستها وسماحتها دفائن قلوب الشهامة ، وأكفّ الكرامة ،

---

(١) في الاصول : « افتنان » .

(٢) اللواقح من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب ، فاذا اجتمع في السحاب صار مطراً .

وفي القرآن الكريم « وارسلنا الرياح لواقح » وقد جعلها هنا للذكاء لانه حمل الى البلاغة عصارة جهده ونافذ بصيرته .

(٣) في ه : « سحر » .

(٤) المطلولة : التي اصابها الطل . والمطلولة المسوفة .

(٥) في ج : « نسيمها » .

(٦) في ب : « ملامح حماستها » .

وتبسط مآدب[1] أدبها ، ومآثر سائر أربها[2] (بها تحل) عقد عيّ الفهاهة ، وحصر الفدامة[3] والبلاهة . ولله درّ القائل[4] :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى   بُناةُ المعالي أين تُبنى المكارمُ

إلا أن هذه الروضة الغناء ، اختُصت بين رياضها بثمرة البقاء ونضارة الخضراء لا تزال تراها مخضرّة الأردان مخضلة الاغصان ، على وجه الدهور لم[5] يخلق جديدها كرور الأعوام والشهور . لا يخنى عليها أيدي البلى[6] ، ما امتد أمد البلا[7] ، فلا ينضب ماؤها ، ولا يذهب رواؤها . كلا وان طراوتها غير ذاوية ليست بذابلة ولا ضاوية فلا تتغير بسموم الكساد ، ولا تطرقها الغِيَرُ وان كانت في عالم الكون والفساد ولقد أجاد أبو تمام ، بهذا النظام :

ولو كان يفنى الشّعرُ أفناه ما قَرَت   حياضُك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوب العقول اذا انجلت   سحائب منه أعقبت بسحائب

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ألقى إليه الكلة[8] وسلك في نظام العبودية كله ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه

(١) في ب : « مادة أدبها » . وفي د : « مآرب أربها » وقد تكون محرفة عن أربابها .
(٢) سقط في ف ، ل ، وعلى هذه النسخة فكلمة عقد مفعول « تبسط » و « مآدب » فاعلة.
(٣) الفدامة : العي .
(٤) هو ابو تمام الطائفي ومطلع هذه القصيدة :
ألم يأن أن تروي الظمأ الحوائم   وأن ينظم الشمل المبدد ناظم
(٥) كذا في ف ، ل ، وفي غيرها « ولم » .
(٦) هكذا في ف ، ل، وفي سائر النسخ « لبد » وهو اسم آخرنسور لقمان بن عاد سماه بذلك لانه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال اللازم لرحلة لا يفارقه وهو من سبعة أنسر هلكت جميعها قبلة ثم تبعها فضرب به المثل في طول العمر وكان الاحرى بهذه الجملة أن تكون هكذا « ولا يخنى عليها ما أخنى على لبد من البلى » ومنه قول الشاعر « أخنىَ عليهـا الذي أخنى على لبد » .
(٧) البلا هنا : مقصور البلاء أي لا يلحقها البلى مهما امتد بها اسباب البلاء .
(٨) الكلة : الستر ، والمعنى انه القى بنفسه الى ربه (ولعل الاصل كلة — بفتح الكاف وتشديد اللام أي الثقل من كل ما يتكلف وفي هامش ل : الكلة والتكلان : التوكل أيْ جعل عليه توكله واعتماده والكلة على هذا بكسر الكاف واللام مخففة .

وخليله. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وعترته ، وصحبه وعشيرته . وسلم تسليماً.

أمـا بعد ، فان الأمير الكبير تميم بن المعز لدين الله العلوي[1] — تغمده الله بالعفو والغفران ، وسقى ضريحه بديمَ الفضل والامتنان — كان قد ولّى إمارة ممالك الشعر وألقى إليه زمام التصرف في أقطار النظم والنثر . وذُلّل لركوب براعته كل صعب من فنون الاتقان ، وسُهّل لتسلق براعته كلُّ حزن من ضروب سحر البيان . قد خطب في كل فن من شُعبه على منبره وتحلى في كل ندىً من رتبه بحلتيْ ردائه ومئزره وصاول فيها الفحول وقاوم بها كل بازل[2] صؤول ولم تُذلّه ركة[3] الطمع فيستذل[4] مديحَه ولم تُخالجه مهانة السُّوقة فتغش خطابه الملوكيّ صريحَه بل كان (هو)[5] مقصود الثناء مصمود الفناء ألسنةُ المدائح في كل مكارمه مطلقة الأعنة[6] وهو .

لم يُبْدِ في غير أبيه وأخيه الإمامين بلفظةٍ سنّة ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن رشيق :

أصحُّ وأقوى ما سمعناه في الندى   من الخبر المأثور منذُ قديم
أحاديثُ ترويها السيولُ عن الحيا   عن البحر عن كفّ الأمير تميم[7]

(١) في ف ، د ، ل (العبيدي) وقد اخذت هذه النسبة من عبيدالله المهدي أول خلفاء الفاطميين ، وقد قام في ديار المغرب سنة ٢٩٦ هـ ويسمى عندهم (صاحب الظهور) لان الائمة قبله كانوا يستترون تقيةوخوفاً مناضطهاد العباسيين .
(٢) البازل : البعير الذي فطر نابه أي انشق بدخوله في السنة التاسعة .
(٣) الركة لغة : المطر القليل ويعني هنا التفاهة والقلة والحرص وأقرب من هذا أن يكون أراد الركاكة وهي الضعف او القلة فاما ان تكون اتى بالركة في الركاكة كما يقول المولدون ولم ترد الركة في العربيـة او يكون أتي بالركاكة وسقط النسخ (كا) من الكلمة ويبعد التفسير الاول ان المطر القليل ورد فيه الرك بفتح الراء وكسرها لا الركة .
(٤) كذا في ف وفي سائر النسخ « فيستزل »
(٥) كذا في ل
(٦) هذه الكلمة ساقطة من جميع النسخ ما عدا « ل » .
(٧) أورد بن خلكان هذين البيتين في مدح تميم بن المعز باديس الافريقي (راجع وفيـات الاعيان ص ١٣٧ طبع بولاق) .

وقد جُمع في هذا السِّفر ما وجد من فنون نظمه ليكون دليلاً على المفقود من افانين حِكمَه ، وسبيلاً إلى التنزه في طرائف أدبه وعلمه .

قال يمدح أخاه العزيز بالله أمير المؤمنين عند ظفره بالتركي[1] وأصحابه :

أعذلاً وما عذلتني النُّهى ... ولا طرد الحلمَ عني الصبا
وكيف تلومين صعبَ المَرام ... وتلحينَ مثلي كهل الحجا
بلوتُ الزمانَ وأحداثَه ... على السلم منهن لي والوغى
فما فلّت حربُها لي شبا ... ولا ازددت بالسلم عنها رضا
اذا قلت لم أعدُ فصلَ الخطابِ ... وان صُلتُ أيقظتُ عينَ الردى
أرتني التجاربُ ما قد بدا ... فقستُ به كل ما قد خفا[2]
ولم يبلغ العمر بي من سنِيه[3] ... ثلاثين حتى بلغتُ المدى
وبرزتُ عزماً على ثابتٍ[4] ... وأربيتُ فتكاً على الشنفرى
اذا الجدُّ لم يسمُ بالمرء لم ... ينل بالنباهة أقصى المنى[5]

((١) يريد به أفتكين – ويقال فيه هفتكين – الشرابي مولى معز الدولة بن بويه ، هرب من عضد الدولة وانضم للقرامطة بالشام ، وحارب الفاطميين ، ثم ظفر به العزيز وعفا عنه) ولكن الوزير ابن كلس سمه في القاهرة سنة ٣٦٨. انظر شذرات الذهب والنجوم الزاهرة ج ٤ ص١٣٣ واتعاظ الحنفا ص ٢٩٤ (طبع دار الفكر العربي) .

(٢) خفا يخفو : ظهر وهو يناسب هنا وانما المناسب هنا « خفى » كرضي بمعنى استتر . وخفي – كسعى – لغة طائية في خفى وكذا نظائره كرضى ونحوه .

(٣) في : ب ، ف « من سني » وهو بتشديد الياء والياء الاخيرة ياء المتكلم .

(٤) هو ثابت بن جابر بن سفيان لقب تأبط شراً ، لان أمه قالت له: كل اخوتك يأتيني بشيء اذا راح غيرك ، فقال : سآتيك الليلة بشيء فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه فلما راح أتى بهم في جراب متأبطاً به فالقاه بين يديها ففتحته فتساعين في بيتها فوثبت وخرجت فقال لها نساء الحي : ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت : أتاني بأفاع في جراب فقلن : وكيف حملها ؟ فقالت : تأبطها فقلن : لقد تأبط شرا ، فلزمته . وكان شاعراً من مشاهير العدائين (انظر الاغاني ج ١٨ ص ٢٠٩ طبع بولاق) .

(٥) في ف ، ل يروى هذا البيت بعد الذي يليه .

ولم يمض[1] بي الدهر صفحاً ولا ... غدا ملء عيني منه قذى
خليليَّ بي ظمأ ما أراه[2] ... يبرده عللٌ[3] من حيا[4]
فلا تستشيما بروقَ السّحابِ ... فللريّ في شيم برق الظُّبا
أعيناً أخاً لكما لم يبت ... على طول مسراه يشكو الوجى[5]
ولم يسترح قلبه من أسى ... ولم تخل أحشاؤه من جوى
على انّ لي عزماتٍ إذا ... تنوهضن يهضنَ طوال القنا[6]
ونفساً تئن بها الحادثاتُ ... وقلباً يَسُدّ عليّ الفلا
ولم أرم سهمي الا أصبتُ ... ولم أدعُ بالدهر الاّ احتذى[7]
ولا أشربُ الماءَ إلا دماً ... اذا اعرضت لي طُرْقُ الاذى
تهون عليّ صعابُ الامورِ ... ويصغُر عني جميع الورى

* * *

أنا ابن المُعزّ سليلِ العلا ... وصنو (العزيز) امام الهدى
سما بي مَعَدٌّ إلى غايةٍ ... من المجد ما فوقها مرتقى
فرحت بها فاطمي النجار[8] ... حسينيه علويّ الجَنَى
وما احتجتُ قطُّ إلى ناصرٍ ... ولا رحتُ يوماً ضعيفَ القُوى
ولم أستشر في ملم ينوبُ ... مشيراً أرى منه ما لا أرى

(١) لعلها « ولم يبد » وابداء الصفح والصفحة كناية عن الاعراض والمكاشفة بالعداوة يريد ان الدهر لا يأتيه ولا يصيبه بسوء فهو لا يشكوه لانه أمير مهيأ له كل ما يريد كما يشكوه كثير من الشعراء .

(٢) في ح : «ما ارى»

(٣) في ب و ف « بلل » والعلل : الشرب الثاني يقال : علل بعد نهل

(٤) الحيا : المطر

(٥) الوجى : الحفا وهو ان يجد الالم في حافره او فرسنه من كثرة المشي

(٦) كذا في ل
وفي سائر الاصول : « أنهضن طول القنا »

(٧) احتذى أي أطاع ولبى

(٨) النجار : الأصل

ولست بوانٍ إذا ما أمرٌ ... زمانٌ ولا فرحٍ ان حلا
اذا أصبح الموتُ حتماً فلا ... تَخَفْه دنا وقته أو نأى
وإنا لقومٌ نروح الزمانَ ... ولسنا نُراع اذا ما سطا
ومنا الامامُ العزيزُ الذي ... به عادَ سيفُ الهدى مُنتضى
سعى للشآم وقد أصبحتْ ... بها الحرب نزّاعةً للشَوى[1]
فكشّف من ليلها ما سجا ... وقوّم من زيغها ما التوى
ولما تقابلت الجحفلانِ[2] ... وعاد كجُنح الظلامِ الضحى
ولم يبق في الصف من قائل ... هلمَّ ولا من مجيب (أنا)
وقد ولغت في الصدور الرماحُ ... وصلت لبيض السيوف الطُلى[3]
وغنّتْ على البيض بيض[4] الذكور ... غناء يُعيد الفُرادى ثُنا
كأنّ الرماح سكارى تجولُ ... بها الخيلُ في النقع قُبٌّ[5] الكُلى

وقال يمدح الخليفة أبا المنصور العزيز بالله وقد تناول دواء :

لست أدري من المُعلى المُهنّا ... منكما بالشفاء والنعماء
أأهنيك يا شقيق المعالي ... أم أهني بك اتخاذ الدواء
بشرتك السعود بالنصر والعـ ... ـزّ وجاءتك بالعلا والبقاء
انما أنت «حجة الله[6]» لاحت ... في البرايا ووارثُ الأنبياء[7]

---

(١) الشوى : الاطراف وجلة الرأس

(٢) الجحفل : الجيش ، وأراد الكتيبة فأنثه

(٣) في هامش « صلت من الصليل وهو صوت الحديد أو من (الصلاة) « اخضعت . : والطلى : جمع طلية ، وهي العنق »

(٤) البيض (بالفتح) : جمع بيضة وهي الخوذة . والبيض (بكسر الباء) : جمع ابيض وهو السيف . والذكور : جمع ذكر وهو من الحديد أيبسه

(٥) القب : جمع أقب وهو الضامر

(٦) حجة الله : من صفات النبي والائمة عند الفاطميين (راجع ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة) و (كتاب المجالس المستنصرية) .

(٧) تظهر عقيدة الفاطميين في الدور بوضوح في قول الشاعر عن الأمام: انه وارث الأنبياء. نقصد بذلك أن محصول ما جاء به الأنبياء قد جمع في الامام وللامام (المجالس المؤيدية مخطوطة) ، و(رسالة مباسم البشارات بالأمام الحاكم مخطوطة بمكتبة كامل حسين) .

فابق ما شئت في نمو من الملـ ... ـك على رغم آنُفِ الأعداء
لك عند الزمان عهدٌ جميلٌ ... ولدى المكرمات حسنُ بلاء

وقال الأمير يصف (القرافة) ويتضرع الى الله :

اذا كُنت مصطفياً مربعاً ... فخُصّ (القرافة)[1] بالاصطفاء
منازل معمورةٌ بالعفا ... فِ مخصوصة بالتقى والبهاء
كأن العبير لها تربةٌ ... تضوع في صبحها والمساء
ويحيي النفوس بأرجائهن ... رقيقُ النسيم وطيبُ الهواء
ديارٌ أدير بهن النعيمُ ... ومغنى كملتذّ رجعِ الغناء
تزيدُ الشموسُ بها بهجةً ... وتحسن في مقلتي كل راء
وينبهُ فيها النيامَ الأذانُ ... اذا مزّق الليل سيفُ الضياء
فمن ذاكرٍ ربّه خشيةً ... ومن مستهلٍّ بطول الدعاء
ولا خيرة في حياة امرىء ... اذا لم يخف فصل يوم القضاء
رجوتك يا ربُّ لا لأنني ... أطعتُك طوع أولي الانتهاء
ولكنني مؤمن موقن ... بأنك ربُّ الورى والسماء
وأنك أهل لحسن الظنون ... وأنك أهل لحسن الرجاء
ومالِيَ يا رب من شافعٍ ... اليك سوى خاتم الأنبياء
وأني حنيفٌ بريءُ اليك ... من الشك والشرك والاعتداء
فصفحك عن زلتي منعماً ... وعفوَك عن نَبوتي والتوائي

☆ ☆ ☆

---

(١) القرافة في الأصل : بطن من المعافرين يعفر بن الحارث بن مرة . وعامة المعافر بمصر ، ولهم خطة بالفسطاط تعرف بالقرافة ، وهي اسم أمهم (شرح القاموس مادة قرف) وجاء في ابن خلكان : ومن بني غافق بطن يعرفون بالقرافة سكنوا سفح المقطم ايام الفتح العربي ، ثم تركوا أماكنهم وتفرقوا في البلاد المصرية وصار مكانهم مقبرة للمسلمين فسميت المقبرة في مصر بالقرافة نسبة لهؤلاء القوم وكانت القرافة في عصر الفاطميين مسكن المتصوفة .

وأمر أن يكتب على طراز شقة(1) هذه الأبيات :

أنا من رقة الهوى والهواء   ومن النور ألفت أجزائي
تبذل الخرّدُ الحسانُ لي الاو   جُهَ دون الأماتِ والآباء
واذا غنّت القيان فاني   سِترُ ألحاظها على الندماء
فكأني والشعر والأوجه البيـ   ـض بدورٌ في ظلمة في سماء
ألمس الأوجه الحسان واستمـ   ـتع من كل وجنـة حمراء
لا أخاف الوشاة ان رمقوني   لا ولا أتقي من الرقبـاء
واذا قبّلت رؤوس الغواني   قبلتـني أكابر الظرفاء
جلّ قدري عن الغِلالةِ والتكة والقمص والقبا والرداء

* * *

وجرت أحوال دعت الى أن قال مخاطباً للخليفة العزيز بالله :

رضيت بحكم سابقـة القضاء   وان أضحت تكدر صفو مائي
وهل يستطيع أهل الارض حلا   لعقـدٍ شدّ من فوق السماء
الى كم تهدم الأحداثُ ركني   وترميني بجور واعتـداء
يعاقبني(2) الزمانُ بغير ذنبٍ   وتخذلني يدي وذوو اصطفائي(3)
ويسعى بي لمن لو جـاء ساعٍ   به عندي لخضب بالدمـاء
حياتي بـين واش أو حسود   وساع بي يُسَرُّ بطول دائي
فان وشّى عليّ الزور باغٍ   فصبراً للمقـادر والقضاء
ومـا أنا يا أبا المنصور إلاّ   — كما تدري — على محض الوفاء

(1) الطراز : نوع من الاقمشة المنسوجة بالابريسم يشد به الرأس . والشقة بالكسر ما يشق من الثوب والمراد هنا ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها . ويظهر ان هذه كانت زرقاء .. انظر البيت الرابع من هذه القصيدة .
(2) في ل : « يعاديني » .
(3) في ب : « وذوو صفائي » .

أتعلم كيف كان لك انعطافي   وكيف رأيت قدماً فيك رائي(1)
أحين ملكتني والنـاس طراً   ورحت خليفة في ذا الفضاء
وحين رجوت نصرك لي فأني   بملك بالـغ أقضي رجائي
يجيئك مبغض لي ساعياً بي   يروم لديك نقصي في خفـاء
فيثلبني ويرجع سالمـاً لم   تهجك عليـه أسباب الإخاء
وأن تكُ مـا قبلت له مقالا   فحقك رميهُ بيـد البلاء
وقـد بلغتني أمـلي فتمم   تم لك السلامة في البقـاء
ولا تشغـل ضميري باستماع   لواش في مهـدوم البنـاء
فقد طيبت عيشي في سرورٍ   وقد أنعمت بالي في رخاء
وعيشي زائدٌ طيباً اذا لم   يكدره لديـك بنو الزناء

وقال :

وإذا تأملت الوداع رأيتـه   دمعاً يفيض على الخدود دماء
ولو ان قلبي فيك أعطى سؤله   يوم الفراق لفـارق الأحشاء

وقال متغزلاً :

ولي صاحب لا يمرض العقل جهله   ولا تتأذى النفس منه ولا القلب
اذا قلت (لا) في قصة لم يقل (بلى)   وان قلت أصبو قال لا بد أن أصبو
وان قلت هاك الكأس قال مبادراً   ألا هاتهـا طاب التنادم والشرب
سريع إذا لبى صبور اذا دعـا   يهون عليه في رضـا خله الصعب
غدوت به يوماً الى بيت حانـة   وللغيم دمع مـا يكف له سكب
وقد نفحت ريح الصبـا بمنافس   عبيرية الانفاس طاب لها الترب
فأفضى بنا الادلاج بعـد تعسف   إلى زولة(2) شمطاء منزلها رحب
مزنرة أمّا أبوهـا فقيصرٌ   وحسبك ملك جده قيصر حسب

(1) يريد « رايي » .
(2) الزولة ، المرأة الخفيفة الظريفة

قصيريّة (١) ديرية هرقليـة (٢)   تقاصر منها الخطو(٣) واحدودب الصلب
وقالت لنا : اهلاً وسهلاً ومرحبا   وقل لكم مني البشاشة والرحب
من أنتم فقلنا : عصبة من بني الصبا   دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فقالت على اسم الله حطوا رحالكم   فعندي الفتاة الرؤد(٤) والأمرد الرطب
وراح نفى أقذاءَها طولَ عمرهـا   فجاءت كما يُذري مدامعه الصب
أرقُّ اذا رقرقتهـا في زجاجة   وألطفُ من نفس تداولها الحب
كأن سراجاً في ترائب دنهـا   اذا أقبلت من ليلة الدن تنصب
فقلنا لهـا : هاتي(٥) بها وتعجلي   ولايك فيما قلت خلف ولا كذب
فجاءت تجر الزقّ نحوي كأنه   على الأرض زنجي بلا هامة يحبو
فلما مزجناها بدا فوق رأسهـا   حبابٌ كما ينساب من سلكه الحب
وطافت بهـا هيفاء مخطفة الحشا   معاطفها سلم وألحاظهـا حرب
تمايل ردفها وأدرج خصرُهـا   ليانا ولطفاً مثل ما تدرج الكتب
شكا كشحها الزنار مما يجيعـه   وضاق بها الخلخال وامتلأ القلب(٦)
أغار على أعطافها كلما انثنت   مع الكأس أو فدّى ملاحتَها الشرب
أحلّت لي الصهباء تقبيل وجهها   وما كان قبل السكر في لثمه عتب
كأني وقد أضجعتها وعلوتها   من الشكل رفع تحت ضمته نصب
وما فضَّ لامي صادها (٧) بجناية   سوى قولها ان المسيحَ لها رب

(١) اي منسوبة إلى دير القصـير . وسيأتي التعريف به . وفي ب « نصيرية » بالنون
(٢) هرقلية : نسبة الى هرقلة مدينة بالروم واصل ضبطها بفتح الراء وسكون القاف ، لكن الشاعر تصرف في النطق بها للوزن .
(٣) في ل تقاصر منها الخط . وفي سائر الاصول : تقاصر منها الخطب وكلاهما تحريف
(٤) الرؤد : الشابة الحسناء
(٥) في ل « فقلنا لها كيلي لنا » .
(٦) القلب : السوار
(٧) يكني باللام عن الذكر ، يشبه بحرف اللا وبالصاد عن فرج المرأة يشبه برأس الصاد او مشقها .

فلما أغاظتني باظهار كفرها   ذبحت عن الاسلام اذ أمكن الذبُّ
وضرجت فخذيها دماً بصمم   تقر له البيض المهندةُ القضب
وقلت لها ارماحنا علوية   تقد تراس الروس ان طعنت عرب
فما برحت حتى أنابت وأسلمت   فهل لي في فتكي بها بعد ذا ذنب
أبا حسنٍ هاك(١) المدامة واسقني   فقد شاب(٢) رأسُ الشرق واحلولك الغرب
كأن الثريا في ملاءة فجرهـا   مصابيحُ الا انهـا قد بدت تخبو
سلام على دير(٣) القصير ومرحبا   بـه فما مني التخصص والقرب
فكم لذة فيه قضيت وغـلةٍ   شفيت ولا واش علينا ولا شغب
منازل يستنُّ الصبا في عِراصهـا   ويعذُب فيها ماء ديمتها العذب

وقال أيضاً يمدح الخليفة العزيز بالله وقت نزوله مناخ الفتوح بالطواحين(٤) قبل الظفر بالاتراك :

اذا حان من شمس النهار غروب   تذكر مشتاق وحن غريب(٦)
ألا أبلغا القصرين فالمقس(٥) أنني   اليهن مـذ فارقتهن كئيب
الى ساحتي دير القُصير الى الربا   فقصرهما حيث الحيـاة تطيب
منازل لم يلبس بها العيش شاحباً   ولم تلفَ فيهن الخطوب تنوب
هي الوطن(٧) النائي الذي لم تزل لنا   نفوس اليـه(٨) نُزَّع وقلوب

(١) كذا في الاصول : ولعلها « هات »
(٢) كذا في ل و ف وفي سائر الأصول : « فقد غاب رأس »
(٣) دير القصير : دير قرب حلوان وهو على رأس جبل مشرف على النيل في غاية النزاهة والحسن وفيه صورة السيدة مريم وفي حجرها المسيح . كان خمارويه بن احمد بن طولون يكثر غشيانه للشرب .
(الديارات للشابشتي) (مسالك الابصار) (معجم ياقوت) .
(٤) الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين بالشام .
(٥) في م : « وحن حبيب » .
(٦) المقس : اسم مكان كان من المنتزهات شمالي القاهرة .
(٧) في ف ، ل وج : « هي الوطن الثاني » .
(٨) في ع : « اليه نفوس نزع .. الخ » .

وإني لأهوى الريح من كل ما بدا ... برياه من ريح الشمال هبوب
وما بلد الانسان الا الذي له(١) ... بـه سكن يشتاقه وحبيب
الى الله أشكو وشك بين وفرقة ... لها بين أثناء القلوب(٢) ندوب
ترى عندهم علوان شطت النوى ... بأن لهم قلبي علي رقيب(٣)
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي ... ونفسي التي أدعو(٤) بها وأجيب
فآيـة حزني لوعة وصبابـة ... وعنوان شوقي زفرة ونحيب
وما فارقونا يرتضون فراقنا ... ولكن ملمات الزمان ضروب
لهم أنفس مرضى يقطعها الأسى ... علينـا واكباد تكاد تذوب
فللشوق في الأكباد منهن رنة ... وللدمع في روض الخدود سكوب
سيشفين داء البعد بالقرب عاجلا ... ويعلمن أنا بالنجاح نؤوب
وأن ظنون الناس افك وباطل ... وظن أمير المؤمنين مصيب

وقال يمدح الخليفة المعز لدين الله في وقت تمام عمل الشمسية لبيت الله الحرام حرسه الله :

اليك مدت رقابها العرب ... والملك ماء عليك منسكب
وانت من دوحة النبوة لا ... تألف إلا عداتـك الريب
ألست من يرهب الالـه ولا ... يصده عن حـدوده سبب
وكلما مال بدء عزمته ... لمذهب لم تخالف العقب(٥)
فهكذا تصدع الملوك اذا ... صالت وتنفي الضلالة الشهب
ويزدهي الدين بالمعز لديـ ... ن الله والمرهفات واليلب(٦)

---

(١) كذا في م : وفي سائر الاصول « الذي به .. له » .
(٢) في ف ، ل ، جـ ، ز « الفؤاد » . وفي م : « لها بين أحشاء المحب دبيب » .
(٣) هذا البيت والاثنان قبله في اليتيمة ، في ترجمة الشاعر .
(٤) في م : « أدعى بها وأجيب » .
(٥) جمع العقبى . الامر : نهايته وجزاؤه
(٦) اليلب : الترسة او الدرع اليمانية من الجلود وقيل : جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس الرؤوس .

وكل رجراجة عزائمه ... دلاصها(١) والرماح والقضب
وهذه الدولة التي زخرت ... فلم يسعها الزمان والحقب
يا حبذا دهرك الزلال اذا ... أمر دهر وعصرك الشنب(٢)
وحبذا الشمسة التي نصبت ... يقصر عنها المديح والخطب
فايست العيد وهي حلته ... وأخفت اليوم وهو منتصب
ينهب ياقوتها العيون فما ... يكمل الا من حيث ينتهب
دائرة أحدقت بغرتهـا ... أهلة لا تجنها(٣) السحب
كأنما درها وجوهرهـا ... نجوم ليل سماؤهـا ذهب
كأنما رصعت مناقبك الـ ... غر عليهـا وأفرغ الحسب
حق على الشمس طول نقبتها ... منها وذات الحيـاء تنتقب
وقد أراهـا ولا مدام بها ... فكيف قالوا لدرهـا الحبب
نظمتهـا للهدى ولبته(٤) ... وان سخطن الكواعب العرب
في كبد المسجد الحرام لهـا ... شوق وللبيت نحوهـا طرب
فلا تمشّى بأهـله زمن ... الا بمـا تشتهي(٥) وترتقب
صلى عليك الاله مـا طلعت ... شمس وما انهل عارض لجب

وقال يرثي والده الخليفة المعز لدين الله :

كيف لا تعدم الجوم القلوبا ... وترى نضرة الوجـوه شحوبا
من يعزي الجياد أم من يسلي ... مجلس الملك والسرير الكئيبا
فقدوا بعدك القلوب اللواتي ... شقها واجب فشقوا الجيوبا
وامعـزاه وامعزاه حتى ... يغتدي الدمع بالدماء خضيبا

---

(١) درع دلاص : ملساء لينة .
(٢) الشنب : البارد ، ويعنى به العذب الطيب
(٣) في جـ ، و « اهلة لا يحفها السحب » .
(٤) اللبة : المنحر
(٥) في جـ ، هـ : « الا بما تبتغي »

فليذق غيري الحيـاة فاني   لا أرى للحياة بعدك طيبـا

وقال متغزلاً :

تمتـع بالمسرة والشباب   فقد برز الربيع من الحجاب
فحبك والزمان وأنت فيه   شباب في شباب في شباب
فحي على المدام بكف ساق   يدير الخمر من برد عذاب
يدير بريقه ويديه خمرا   شراب في شراب في شراب
كأن يديه حاكت وجنتيه   بنار يصطلي منها لهاب (١)
يـداه ثم وجنته وقلبي   شهاب في شهاب في شهاب
اذا ما أكثر العذال فيه   وزاد عليّ ترديد العتاب
عداوتهم وعذلهم جميعـاً   سراب في سراب في سراب
لعمرك انما الدنيا عروس   جلاها الغيث من تحت النقاب (٢)
بنفسجها ونرجسها وورد   خضاب في خضاب في خضاب
فاهرقْ من دم الابريق راحاً   فان الغيث ممنوع السحاب
فابريقي وكأسي والغوادي (٣)   سحاب في سحاب في سحاب
فتمّ الشرب ان الصحو عزم   وللنيروز حظ في الشراب
فرأيك ثم شربُك والغواني   صواب في صواب في صواب

وقال يمدح الخليفة العزيز بالله حين الظفر بأبي تغلب بن حمدان : (٤)

---

(١) اللهاب : النار اذا خاص منها الدخان

(٢) في ل : انسكاب

(٣) في الأصول : « والغوالي » والغوالي جمع الغالية وهي طيب يتطيب به . كأنه يريد ان الغالية كثرت عندهم حتى صارت كالسحاب وما اثبت انسب والغوادي واحدها الغـادية وهي السحابة تنشأ غدوة .

(٤) في ل : « وقال في المعز لدين الله امـير المؤمنين « وابو الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان وكان ملك الموصل وديار ربيعة وقعت له حروب مع بني بويه الى ان طرقـه عضد الدولة البويهي واخذ بلاده فسار ابو تغلب الى الشام وكان على دمشق قسام داعية العزيز بالله فمنعه قسام من دخول المدينة فأقام بظاهرها ثم رحل إلى طبرية بعد مناوشات مع قسام ثم حاربه دغفل ... في الرملة سنة ٣٦٦ فقتل بالمعركة وبعث برأسه الى العزيز بمصر .

لوم لئيم كلما اشتد خابْ   والشوق لا يصفي لبعض العتابْ (١)
من لام في الحب كئيب الحشا (٢)   فانمـا أغراه بالاكتئاب
واكبدا لم يبق منها الجوى (٣)   بين ضلوعي للجوى ما يذاب
صبـابة تقدح في مهجتي   بلاعج البث شجى والتهـاب
يا من تشفى بعذابي بـه   اني لأستعذب منك (٤) العذاب
لو فتشوا جسمي مـا أبصروا   غير الأسى يسرح بين الثياب
لا زال سقمي وعـذابي على   سقم المآقي والثنـايا العذاب
لا خير في الحب اذا لم يكن   في انفس العشاق ماضي الحراب
في خـد من يتمنى من دمي   رشحٌ وفي كفيه منه خضاب
كأنما الاصباح من وجهـه   لاح ومن خديه ذاب الشراب
فما رمى عن قوس أجفـانه   قلبي بالألحـاظ الا أصاب
لمـا تشكيتُ اليه الهوى   بألسن الدمع رثى واستجاب (٥)
وزارني تحت رواق الدجـى   والليل في صبغ جناحي الغراب
يلوح في الظلمـة لألآؤه   كالبدر في مدرعة (٦) من سحاب
مكتتماً يفرق من ظلمـة   مستحسراً (٧) من قلق واكتئاب
والبدر في أول اقبـاله   كخط نون مذهب في كتاب
فبـات يعطيني من وصله   أضعاف ما أعطي من الاجتناب
اذا سقاني الراح من كفه   مزجتهـا لثماً براح الرضاب
كأنها في الكأس ما جال في   خديه من رقة ماء الشباب

---

(١) في دع والشوق لا يفضي اليه العتاب .

(٢) في ج « كئيب الجوى »

(٣) في ع : « واكبدي لم يبق مني النوى »

(٤) في ع : « فيك العذاب » وفي ز « ذاك العذاب »

(٥) في ب : « بكى واستجاب »

(٦) المدرعة : جبة مشقوقة المقدم

(٧) استحسر الرجل : اعيا

حتى تولى الليـل في جيشه … وحل ضوء الصبح عقد النقاب
كأنما الليـــل باصباحه … كان عذاراً حالكاً ثم شاب
أو كان مثل الجور في لونه … فحله عدل نزار فغـاب[1]
قـل لأبي المنصور يا خير من … أقام أو حث لمجد ركاب
ويا امامـا قابلت ملكه … لوائح الاقبـــال من كل باب
خولك القدرة والنصر من … حباك بالحكم[2] وفصل الخطاب
ان ابن حمدان عدا رشده … ورام ان يظفر جهلا فخاب
ظن الذي اخلفــه ظنه … فيها وخال الماء لمع السراب
فيـــا أبا تغلب سؤت المنى … ومت بالتهديد قبل الضراب
كيف يلاقي الأسد منك أمرؤ … قد فر من ادنى نباح الكلاب
حاربت[3] بالبغي امام الهدى … ولم تهب منه عزيزاً يهاب
وكان قد طاب لكم عفوه[4] … فعاد مرا منه ما كان طاب
وجّه بالبيض كتاباً لـه … اليك منشوراً[5] فكنت الجواب
وعجلت رأسك سمرُ القنـا … وخلفت جسمك رهن التراب
كذاك من حُيِّر[6] عن سعده … مثلك لا يزداد إلا اغـتراب
يا بن معز الدين أبشر فقد … مدت لك الاملاك[7] طوع الرقاب
وانحل عن ملكك عقد الاذى … قسرا وذلت لك فيه الصعاب
لانـــك الغرة من هاشم … والصفو من ساداتها واللباب[8]

(١) في ع « فخاف من عدل نزار فغاب »
(٢) كذا في ب : وفي سائر الاصول « بالنصر »
(٣) في د « جازيت »
(٤) يقصد ما حدث بأفتكين الشرابي الذي عفا عنه العزيز والذي اشرنا اليه في ص ٧
(٥) في ع « منشورا »
(٦) في ع : « خيب عن سعده » ولعلها محرفة عن « خيب في سعيه »
(٧) كذا في ب ف ، ل : وفي سائر النسخ « الآمال »
(٨) في ع : « والصفوف من صفوتها والباب »

وابن الصفا والحجر وابن الهدى … وابن نبي الله وابن الكتاب[1]
كفاك كف تنهمي بالثواب … عفواً وكف تنهمي بالعقاب
كم من يد أوليتني جمـــةٍ … أبْتُ بنعماهـــا لخير المآب
ما زلت تدنيني وتعلي يدي … فعل كريم الأصل حر النصاب[2]
فرحت من نعماك بادي الغنى … متمم الآمال رحب الجناب
والله مـــا في جسدي شعرة … الا وشكري لك فيها سخاب[3]

وقال أيضاً :

ويوم خدعت الدهر عنه فلم أزل … أعلل نفسي فيه بالراح مع صحبي
لدى روضة عالت رباها كرومها … وجاد عليها النيل من مائه العذب
كأن سحيق المسك خالط أرضها … فجالت به فيها الرياح مع الترب
كأن بنات النيل[4] والريح ترتمي … بهن طُلى خيـــل مؤثلة شهب

وقال يذم الدهر :

أغنيت دهرك تتقي … فيه الحوادث والمصائب
ولو اتقيت معاصي الرحـ … ـن فما أنت راكب
لأمنت من نار الجحيـ … ـم وفي الحياة من النوائب[5]
ان لم تراقب من له … حكم عليك فمن تراقب

وقال يهنىء الامام العزيز بالله بعيد :

قواضب الرأي أمضى من شبا القضب … والحزم في الجد ليس الحزم في اللعب
والعز ليس براض عن عـــلا ملك … ما لم تعنه سيوف الهند بالقضب

(١) الكتاب في التأويل الباطني عند الفاطميين هو علي بن ابي طالب (راجع المجالس المستنصرية) .
(٢) كذا في ب ف ، ل : وفي سائر النسخ « حي النصاب »
(٣) السخاب : قلادة تتحلى بها الاعناق
(٤) بنات النيل : السفن فيه . والطلي جمع طلية وهي العنق
(٥) كذا في ل ، ف « من المعائب » . وفي و « من المعائب » . وفي ر من « المعايب » .

وليس يستطعم الراحات طيبـة ... من لا يخوض اليهـا شدة التعب

وتركك الشيء مما تستريب به ... عجز وداعيـة تقضي إلى العطب

اذا استربت بشيء فامـح ظنته ... فذاك أنفى لليل الشك والريب

أعلى المراتب مـا تبنيه مجتهدا ... وأفضل الجد ما تحويه بالنصب [١]

بت ساهرا عند رأس الأمر ترقبه ... ولا تبت نائماً عنه (لدى الذنب[٢])

والهم بالخطب قبل الخطب منبهة ... ومن رمى بسهـام الحزم لم يخب

يرجى دفاع الرزايا قبل موقعهـا ... وليس يرتجـع الماضي من النوب

وأفضـل الحلم حلم عند مقدرة ... وأعذب الجود [٣] ما وافى بلا طلب

يهنا العزيز من العلياء منزلة [٤] ... لم يحوهـا ملك في سالف الحقب

خلافة علويٌ أصل مورثهـا ... ومولد نبوي الجنس [٥] والحسب

لقد حويت أبا المنصور مرتبـة ... من المكارم طالت أرؤس الرتب

أنت المسمى المرجى قبـل مولده ... والخامس القائم المذكور في الكتب[٦]

مـا زلت تخطب للعلياء أنفسها ... دون الملوك ببيض الهند والذهب

حتى جلست على الجـوزاء منفردا ... بهـا وقبلتها في موضع الشنب

مكارم حزتها لم يحوهـا ملك ... في سالف الدهر من عجم ولا عرب

---

(١) في ف ، ك « بالقضب » .

(٢) في ف ، ك « لدى الرتب » .

(٣) كذا في في ب ، وفي سائر الاصول « واعذب الود »

(٤) كذا في ب ، وفي سائر الاصول : « مرتبة »

(٥) في ل ، هـ ، « نبوي الحسن » .

(٦) يريد انه خامس اربعة خلفاء وهم : المهدي والقائم والمصور والمعز ثم العزيز بالله وهو المراد هنا . ونلاحظ ان الشاعر مدح امامه بأنه القائم الخامس وتلك عقيدة من عقائد الفاطميين يشركهم فيها غيرهم من الفرق الاسلامية بأن القائم هو (المهدي المنتظر) وكل امـام هو قائم بالقوة ، الى ان يأتي قائم القيامة وهو القائم بالفعل ، كا ان الفاطميين ذهبوا مذهب الفيثاغوريين القائل بأن الموجودات بحسب طبيعة العدد وخواصه فلكل عدد خاصيـة ليست لغيره ، ولكل امام خاصية وقوة وصفات ليست لغيره حسب ترتيبه في سلسلة الامامة ولذا قال الشاعر الخامس ـــائم

يا ناصر الدين والجدوى وطالبها ... وفارس القول والانباء والخطب

هناك عيداً أعدت السعد فيه لنـا ... عونا على نكـد الأيام والشغب

برزت فيه بروز الشمس كاسفة ... بضوئهـا لضياء البدر والشهب

تأملوا منك بالابصـار اذ نظروا ... تقوى امام ولاذوا منك بابن نبي

أطاب لي العيش اني منك منتصر ... بأنصر النـاس للقربى وللنسب

وأكثر الناس ذبا عن ذوي رحم ... وأعلم الناس (بالتفضيل[١] والأدب)

واننـا غصنا فرع يضمها ... إلى أواصر جند واحد وأب

فمن علاك [٢] معاليٌ التي شرفت ... ومن أياديك ما أحوي من النشب

لا زلت تبقى على الأيام مقتدرا ... ما مالت الريح بالاغصان والقضب

وقال معارضاً قصيدة عبد الله بن المعتز التي أولها :

(ألا من لنفسي وأوصابها ... ومن لدموعي وتسكابها)

(اذا فزع الشوق حبٌ القلوب[٣]) ... كواها بشدة تلهابهـا

أرقت لبرق أضاء الدجون ... وآذهب حلكة أطنابهـا

سرى والدجنـة منشورة ... فمزق أعلام أثوابهـا

كأن السحاب بـه غادة ... مشوفة[٤] بين أترابهـا

كأن البروق سيوف الغمـام ... اذا هزها ثم رامى بهـا

ومنبجس القطـر مثعنجر[٥] ... جهير الواعد صخابهـا

كأن يعاليه[٦] في الصبـا ... نشاوى نواثمر أطرابها[٧]

---

(١) في ف ، ك ، ل « للتفضيل للأدب »

(٢) في ل : « فمن معاليك عليائي »

(٣) في ف ، ك بدل هذا الشطر « اذا فرغ الحب حب القلوب » .

«٤» مشوفة : مزينة .

«٥» المثعنجر : السائل .

«٦» اليعاليل : جمع يعلول وهو السحاب الأبيض وقيل القطعة البيضاء منه .

«٧» الاطراب : نقاوة الرياحين .

سقين عطاش متون الربا   وبردن غلة أقرابها[1]
وأبدين تفويف بسط الرياض   ونشرن أعلام زريابها[2]
كأن الشقيق بأرجائها   خدود ثنت عقد تنقابها
فعوجا على أرج مونق   أنيق الدساكر[3] معشابها
تعلل ما بين حوذانها[4]   وطيب ثراها ولبلابها
بصفراء شابت ولم تحتلم   وأنحلها طول أحقابها
سلاف اذا انتسبت للنديم   غدا الكرم أوكد أنسابها
كأن السقاة لها يقسمون   شعاع الشموس لشرابها
تطوف علينا بها غادة   كأن الضحى بين أثوابها
اذا سلطت سحر أجفانها   دلالا أشارت بعنابها
دعاني فلست بمستحسن   لطرق المجون وآدابها
ألا قل لمن ضل من هاشم   ورام اللحوق بأربابها
أأوساطها مثل أطرافها   وأرؤسها مثل أذنابها
أعباسها كأبي حربها   علي وقاتل نصابها[5]
وأولها مؤمناً بالإله   وأول هادم أنصابها
بني هاشم قد تعاميتم   فخلوا المعالي لأصحابها
أعباسكم كان سيف النبي   اذا أبدت الحرب عن نابها
أعباسكم كان في بدره   يذود الكتائب عن غابها
أعباسكم قاتل المشركين   جهاراً ومالك أسلابها
أعباسكم كوصي النبي   ومعطي الرغاب لطلابها

«١» الاقراب : جمع قرب بالضم والسكون وبضمتين وهي الخاصرة او من الشاكلة الى مراق ن . وقد استعارها هنا للربا .
«٢» الزرياب في الاصل : الذهب وقد استعارها هنا للزنار .
«٣» الدساكر جمع دسكرة وهي بيوت الاعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .
«٤» الحوذان : نبات شهي طيب الطعم، يرتفع طول الذراع له زهرة حمراء في أصلها صفرة.
«٥» النصاب : الذي ينصب نفسه لعمل بم ينصب له ، مثل من يدعي الرسالة وليس برسول.

أعباسكم شرح المشكلات   وفتح مقفل أبوابها
عجبت لمرتكب بغيه   غويّ المقالة كذابها
يقول فينظم زور[1] الكلام   ويحكم تنميق اذهابها
(لكم حرمة يا بني بنته   ولكن بنو العم أولى بها)
وكيف يحوز سهام البنين   بنو العم أف لغصابها
بذا أنزل الله آي القرآن   أتعمون عن نص أسهابها
لقد جار في القول عبدالاله   وقاس المطايا بركابها
ونحن[2] لبسنا[3] ثياب النبي   وأنتم جذبتم بهدابها
ونحن بنوه ووراثه   واهل الوراثة أولى بها
وفينا الامامة لا فيكم   ونحن أحق بجلبابها
ومن لكم يا بني عمه   بمثل البتول وأنجابها[4]
وما لكم كوصي النبي   أب فتراموا بنشابها
ألسنا لباب بني هاشم   وساداتكم عند نسابها
ألسنا سبقنا لغاياتها   ألسنا ذهبنا بأحسابها
بنا صلتم وبنا طلتم   وليس الولاة ككتابها
ولاتسفهوا أنفسا[5] بالكذاب   فذاك أشد لاتعابها
فأنتم كلحن قوافي الفخار   ونحن غدونا كاعرابها

وقال[6] في النيلوفر :

وبركة تزهو بنيلوفر   تسمية يشبه نشر الحبيب

---

(١) في ل : « غر » وفي سائر النسخ « غور » ما وضعناه يلائم السياق..
(٢) في ل ، ك « فنحن »
(٣) يشير إلى قصة الكساء وما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في المباهلة .
(٤) جمع نجيب ، يريد أولادها النجباء
(٥) كذا في ك ، ف ، ل . وفي بعض الاصول « آنفاً » وهو جمع أنف
(٦) وجدت هذه المقطوعة في نسخة . وهي في كتاب المستطرف ٢-٣-٢٨

مفتح الأجفان في نومه — حتى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خـده — وغاص في البركة خوف الرقيب

وقال في الزهد :

يا عجباً للناس كيف اغتدوا — في غفلة عما وراء الممات
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن — لهم على احدى المعاصي ثبات
من شك في الله فذاك الذي — أصيب في تمييزه بالشتات
يحييهم بعد البلى مثل ما — أخرجهم من عدم للحياة

قيل : ان الامام العزيز بالله مدّ يده الكريمة إلى الامير تميم ببنفسج وورد كانا بين يديه ، فناوله ايّاهما وحيّاه بهما ، فقال ارتجالاً :

مد العزيز يمينه ببنفسج — وبوردة مقطوعة لم تنهج [١]
فكأن زرقته على محمرها — أثر بخـد ناعم متضرّج
حيّى فأحيا مهجتي بتحية — كالوصل وافق منية من مرتجى
وأشار مبتسماً إليّ بوجهه — فحسبته وجه الصباح الأبلج
أنا من نداه ومن فواضل كفه — في روضة أنف وعز منتج [٢]

وقال أيضاً في الغزل :

ربّ ليل مستطـاب — بات بالبـدر متوّج
بتّ أسقي الرّاح فيه — من يدي أحور أبلج [٣]
مرضت عينـاه حتى — أمرضت صبري فأنهج [٤]
كلما أودعت لثمي — صحن خدّيـه تضرّج
ونجوم الليـل تحكي — لؤلؤاً فـوق بنفسج

(١) في ل ، هـ : « مقطوفة » . ولم تنهج : لم تبل .
(٢) في ب ، ل : « عز مدلج » .
(٣) في ل : « أحور أفلج » .
(٤) فأنهج : فأخلق وبلى .

وقال يصف فوّارة :

خليلي وقد ولى الظلام وهملجا [١] — وقد كاد وجه الصبح أن يتبلجا
فقوما إلى ساقيكما فاهتفا به [٢] — ولا تفتحا باباً من الهم مرتجـا
ودونكما قهوة بابليـة — اذا ما فصيح عبّ فيها تلجلجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا — وآس ربيعيّ يناجي بنفسجـا
وقاذفة بالمـاء في وسط بركة — قد التحفت وحفا [٣] من الشعر سجسجا
اذا قذفت بالماء سلّته منصلا [٤] — وعاد عليها ذلك النصل هودجا
وكأن عيون العاشقين تعيرها — من الدمع سجلا [٥] صافياً لا مضرجاً
تخال بروز الماء من جفن عينها — قضيب لجين سل منه [٦] مدملجا
تحاول ادراك النجوم بقذفـه — كأنّ لها قلباً على الافق محرجا [٧]
لدى روضة جاد السحاب ربوعها — وزخرفها دون الرياض ودبجا
كأن غصون الأقحوان زمرد — تعمم بالكافور ثم تتوجـا
ونوار نسرين كأن نسيمه — من المسك في افق [٨] السماء تأرجا
فيا ساقييّ استعجلا لي [٩] وصرّفا — عقاركما ان شئتما أو امزجا
ولا تحمـلا هم الزمان فانه — اذا اشتد ضيق الحادثات تفرجا

(١) هملج : مشى مشية سهلة في سرعة .
(٢) في ب : « منقربة » . وهو محرف عن مقدية بالتحريك وهي ضرب من الشراب .
(٣) وحف الشعر : كثف واسود ، ويعني به الماء المتدفق من البركة . والسجسج الذي ليس فيه حر مؤذ ولا قر . وفي ل : « من الظل » في مكان « من الشعر » .
(٤) المنصل : السيف .
(٥) السجل : الدلو العظيمة مملوءة .
(٦) في ل : « مهنا » .
(٧) في ب : « مخرجا » .
(٨) في ب « جو السماء » .
(٩) في ب : (استعجلاني) و . « صرفا » أي لا تمزجا .

دعاني وندماني وكأسي ومزهري[١]	فحسبي بالمعشوق[٢] ربعا ومنهجا
كأنّ ثراه[٣] كلما صافح الندى	وهزّ نسيم الريح الوية الدّجى
بقايا الغوالي[٤] في نحور نواهد	ينازلن باللحظ الكميّ المدجّجا[٥]
سأطلب حقّي ان قضى الله لي به	وأفتح منه كلّ ما كان مرتجا
فلست وان عاقرت كأسي بسالك	من الأمر فيها كل ما كان أسمجا
ولا مشتر بالجد مستحسن الصبا	ولا مشتر طرق المهالك بالنجـــا
ولكنني موفٍ لنفسي حقوقها	ورائضها فيما استوى وتعوجـــا

وقال يصف بركة الحبش[٦] وخليج[٧] بني وائل ويشبهها :

كأن البركة الغنّا اذا مـــا	غدت بالمـــاء مفعمة تموج
وقد لاح الضحى مرآة قين[٨]	قد انصقلت ومقبضها الخليـج
ترى قمر الدجى قمراً حذاه	طلوعا ما له فيها بروج[٩]
فلا تعص الصبا في لبس لهو	فان الدهر ذو شغب لجوج

(١) في ل : « منزهي » ،

(٢) المعشوق : اسم بستان كان مطلاً على النيل بالقرب من الحبش في الجهة التي تعرف اليوم بساحل اثر النبي . وكان يعرف بجنان الأمير تميم ، ثم جدده الافضـــل ابن امير الجيوش فصار يعرف به . انظر المقريزي في الكلام على البساتين .

(٣) كذا في ل . وفي غيره من الاصول : « ثراها » .

(٤) الغوالي : جمع غالية وهي طيب معروف .

(٥) كذا في ل ، هـ ، وفي سائر الاصول : « المضرجا » .

(٦) بركة الحبش موضع : بين مصر القديمة ودير الطين بالقرب من جسر النيـــل . انظر الكلام عليها في خطط المقريزي وحسن المحاضرة للسيوطي .

(٧) كان هذا الخليج يأخذ من النيل في الجهة الجنوبية لمصر القديمة ، وكان يدخل إلى بركة . وانظر المقريزي في الكلام على هذه البركة ، وقد ذكر الشاعر هـــذا الخليج في آخر [illegible]ني .

(٨) القين : الصانع .

(٩) يصف في هذا البيت ان القمر يتمثل فيهـــا ، فيجعله يرى قمراً يحدوه أي يتبعه في الطلوع ، وهذا القمر الذي يتصور فيها ليس له فيها بروج ، فذو البروج هو القمر الحقيقي ، وجه في السماء . فقوله : « حداه » بكسر الحاء والذال المعجمة أي حذاءه ، ويصح ان أ هذا الاخير على صورة الفعل الماضي أي كان بحذائه ، ويصح قولهم حذوته . قعدت بحذائه .

قافية الحـــاء

وقال في الخمر :

لو لم تفح لم تعرف الراح	لأنها في الكأس اصبــاح
كأنها ترجم عنها السنا[١]	أو ذاب في الاقداح تفاح

وقال يفتخر :

تركنا النعيم لاهل النعيم	وجئنا العناء لكي نستريحا
ونطرد بالعز ذل الخمول	ونشرب ماء المعالي صبوحا
رؤوس الرماح وحد السيوف	يقودان للطالبين الفتوحا
ومالي ألامُ على ان غدوتُ	بمالي جوادا وعرضي شحيحا

وقال لما أرسل الخليفة العزيز بالله إلى الامير يستدعي منه توجيه العشاريات[٢] والسمارية فأنفذها وكتب معها أبياتاً وهي هذه :

بعثت بساكنات طائرات	تفوت اللحظ وهي بلا جناح
تطير اذا المجاديف استحثت	بها[٣] طيران أجنحة الرياح
كأن سوادها في الماء يحكي	سواد الأعين النجل[٤] الملاح

(١) السنا : النور

(٢) العشاريات والسمارية : ضرب من المراكب كان يركبها الفاطميون مزخرفة يوم فتح الخليج .

(٣) كذا في ل وفي سائر النسخ « لها » .

(٤) في ل « الكحل » .

كأن مرورها (شدا وعدوا[1]) ... مرور يديك في بذل السماح
ولو أني استطعت بعثت روحي ... تقيك وقاية[2] القدر المتاح
مزجت بصفو ودك صفو ودي[3] ... فقلبي منه دهري غير صاح
لأنك ان نبا سيفي حسامي ... وانت اذا دجا ليلي صباحي
عليك صلاة ربك من امام ... مطير الجود (ميسور[4] النجاح)

وقال يمدح الخليفة لدين الله ويهنئه في يوم عيد ويذكر إقامته من علة كانت نالته ويذكر هزيمة الأغثم القرمطي[5] :

ألا كل يوم من زمانك عيد ... وهل فوق اشراق الضحاء مزيد
زمان كريعان الشبيبة ناعم ... وعصر قديم بالمعز جديد
ولكن يوم العيد خص بموقف ... له كل أيام الحياة سعود
يلوح عليه من تجليك رونق ... ويظهر فيه من سناك وقود
فلا تحسبوا اللفظ الذي سار خطبة ... ولكنه حلي لهم وعقود
تبلج هذا الملك عنك وأشرقت ... ترائب من أفعاله وخدود
ليهنك ان الله فوقك مالك ... ودونك كل المالكين عبيد[6]

(١) كذا في ب وفي سائر النسخ « بدءاً وعوداً » .
(٢) كذا في ل وكتب فوق « وقاية » كلمة « جناية » أي ان هذه نسخة اخرى وفي سائر : « يقيك وقاية المغدي المراح » .
(٣) في ل هـ : « قلبي » .
(٤) في ج ، ل « منشور الجناح » .
(٥) هو الحسن بن أحمد بن أبي سعيد برلم القرمطي ، ولد بالاحساء سنة ٢٧٨ وقد كان جباراً قاسياً اغار على الشام في سنة ٣٦٠ وقتل القائد المشهور جعفر بن فلاح أمير دمشق للمعز . وتوفي القرمطي هذا بالرملة في شهر رجب من سنة ٣٦٧ وكان شاعراً فصيحاً ويلقب الاعصم وكأنه حول إلى الاغثم « بنزاله وتأبابه عن لقب حمد الى لقب سوء وذم (ملخص من تاريخ ابن الاثير) (ومن وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة جعفر بن فلاح الكتامي .
(٦) في العقيدة الفاطمية ان الامام مثل للعقل الاول (المبدع الاول) الذي ليس فوقه مرتبة (راجع محمد كامل حسين : نظرية المثل والممثول . وديوان المؤيد ، في الدين داعي الدعاة .

وانك غرس الله فينا واننا ... غروسك ينمى فضلها[1] ويزيد
وجوه تجلت في سناك وأنفس ... ونبت تروى في ثراك وعود
وهل أنا الا من بناك[2] التي غدت ... يشيدها فضل لديك وجود
وكل بحمد الله قد رام هدمه ... فأعياهم ما تبتني وتشيد
وتأبى ويأبى الله أن ينقض الذي ... تريد وأن يعلو عليك مريد
وقد شرد الله الأعادي والضنى ... وأعقب نار الحادثات خمود
بعز يسد الخافقين ودولة ... لها فوق أعناق السماء صعود
فرحت وحسن البرء مثلك زاهر ... وشخص الضنى كالمارقين طريد
فأي أيادي الله نبدا بشكرها ... لديك وأي المكرمات نعيد
لئن خصني منها الاله بخطوة ... لقد عم منها العالمين سعود
وللناس آمال ضروب وأنفس ... تسوق إلى أوطارهم[3] وتقود
وليس لنا الا عليك معول ... وليس لنا الا اليك محيد
فلا زالت الدنيا ونورك لبسها ... ولبسك فيها صحة وخلود

وكتب من الرملة إلى بعض أهله بالقاهرة عند سيره بالطواحين[4] :

الجسم ينقص اذ فارقتكم سقما ... والشوق يكثر في قلبي ويزداد
لا تحسبوا انني للهو بعدكم ... أحن أو للذيذ العيش أقتاد
قد عزني[5] فيكم صبري وفارقني ... تجلدي فالأسى لي بعدكم زاد
كأنني واله[6] قد شردت فنأت ... كرها وأمسى لها في الحي أولاد

وكتب إلى بعض من عدا عليه زمانه :

(١) في ل : « فعلها » .
(٢) جمع بنية بضم الباء وكسرها ، وهو المبنى .
(٣) في ل « أوطانهم » .
(٤) الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين بالشام .
(٥) عزني : غلبني .
(٦) في ل : والد وهو تحريف .

ان الأمور اذا اشتدت معاقدها   يفرج الله منها كل ما وردا
كذلك الدهر إن جاءت فوادحه   في اليوم فارج لها ألا تدوم غدا
كم من مهم قريب خيف سطوته   فحل من صعبه المقدار ما عقدا
ماأحسن الصبر فالبسه وان عظمت   رزيـة فالزم الاقدام والجلدا
والله لو كان لي حكم على زمني   جعلته لك محضاً صافياً أبدا

وقال يمدح الامام العزيز بالله [1]، وهي اول قصيدة قالها فيه في سنة ٣٦٥ هـ :

جارية مهفهفـة القدّ   ظالمة مظلومـة الخد
كالقمر الطالع لكنها   في حسنها كالرشأ الفرد
في ليلة البدر وفي دعصها   غصن به رمانتـا نهد
تبسم عن برق وعن لؤلؤ   منظم أحلى من الشّهـد
بتنا معاً تحت ظلال الدجى   من مفرش الورد على مهد
أجني ثمار الخمر من مضحك   شفـاهة من ورق الورد
كأنني ليث وغى خادر   مع شادن أحور في برد
تكتمني ما عندها من جوى   منّى كما أكتم ما عندي
تخفي وتبدي بي وجدا كما   أخفي من الحب وما أبدي
أسعد عام ظالماً كلما   زادت من الوصل على الصد
لا ندّ في الحسن لها مثل مـا   أنّى في الحبّ بلا ندّ
(لا زالت الجيزة معمورة   بكل مخطوف الحشا نهد[1])
(اني ألذ العيش فيها بمـا   أولى عزيز الدين من رفد[2])
الجود بسام إلى مـاجد   أروع بسام إلى المجـد
كأنما راحته مزنـة   تبدأ[3] بلا برق ولا رعد

---

(١) وكان تولى الخلافة بعد أبيه في شهر ربيع الآخر من هذه السنة .
(٢) زيادة في ه ، خلت منها سائر الاصول .
(٣) تبدأ بالنوال أي تبتدىء وتستهل . ولعله مصحف عن (تندى) من أندى على الناس اذا أفضل عليهم وكثر عطاؤه وجوده فيهم – والندى من معـانيه المطر – وأندى المطر الارض اذا بلهـا .

كأنمـا في الحزم آراؤه   مشتقة من قضب الهنـد
الملك ذو عقد ولكنه   في عصره واسطة العقد
ما السيف أمضى منه في عزمه   في غمده اذ سل من غمد
يأيهـا البدر الذي جده   محمـد أكرم من جـد
قصرت في مدحك لكنني   أواصل المدح كما أبدي
فان تسامحني فيا نعمة   يقصر عن حمدي لها جهدي

وقال وكتب الى الخليفة المعز لدين الله :

كتبت ولو قدرت بقدر[1] شوقي   لأفنيت القراطيس والمدادا
ولكني اقتصرت على سلام   يذكرك الولايـة والوداد

وله فيه وقد شكا ألما [2] :

نفسي أحق بشدة الوجـد   أبداً وانت أحق بالمجد
الله يعـلم والمعز مصدقي   لو كان يمكن دفع ما يردي
لجعلت نفسي جُنةً عن نفسه   ووقيته صرف المنى[3] وحدي
وبذلت ما عندي له من حجة   وان احتقرت له الذي عندي

وأقام مولانا العزيز بالله بسردوس[4] أياماً وتأخر عنه الأمير لمرض عرض له فكتب اليه :

الله يعلم مـا طوته جوانحي   لمـا رأيت البين أنجز وعده
قالوا : العزيز ترحلت اجمـاله   ونأى فكيف وجدت عندك بعده

---

(١) في حـ ، ل ، هـ : « ولو كتبت ببعض شوقي » .
(٢) في ل : وقال فيه قدس الله روحه وقد شرب الماء. هـ وقال فيه صلوات الله عليه وقد شرق الماء ويتضح من المقطوعة أنها قيلت في المعز لدين الله .
(٣) المنى : الموت .
(٤) سردوس : خليج حفرها هامان في مصر . وكان هذا الخليج أحد نزهات الدنيا يسار فيه يوماً بين بساتين مشتبكة واشجار ملتفة وفواكه دانية . قال المقريزي : أما الآن فقد ذهب ذلك وبطل الخليج وعوض عنه ببحر ابو النجا .

فأجبتهم : إني لأكفر فضله   ونواله ان رحت حيًّا بعده
ولعل من سمك [١] السماءَ يرده   عجلا ويكفينا نواه وفقده
ثق بالنجاح فان ربَّك كالىءٌ [٢]   لك يا نزار ومطلعٌ لك سعده
هذا الذي أستطيعه جهدي وقد   وفّاك من أعطاك منه جهده

وقال في الغزل :

أعذب الأشياء عندي   قبلة في صحن خد
وثنـايا عطرات   خلقت من ماء شهد
وحبيب ليس يرضي   لمحبيـه بصـد

وقال أيضاً وكتب الى بعض الأصحاب :

جزيت بفرط الود مثنى وموحدا   ومثلك من سام الهداية واهتدى
وما زلت في منهاج سنّة أحمـد   تشيّد منه كل ما كان شيدا
وتشبهه هدياً وبرا ومذهبـا   كذا يشبه الآباء من طاب مولدا
وما زلت أرجو فيك هذا فراسةً   وأعلمه حتى بدا منك مـا بدا
سعودك قـادت صفو ودك نحونا   وما زال سعد المرء للمرء مرشدا
فلا يبتعد مـا يعتريك به المنى   فقد آن منه كل ما قد تبعدا
اذا استبعد الأمر الجهول تضايقت   خلائقـه عنه وملّ التجلدا
وتلقى اللبيب الماجد الطبع ثابتا   تزيد سجـاياه الرزايا تشددا
وانـك للمشهود رأياً وحكمة   وحزماً اذا اشتد الزمان وسؤددا
ولم أزج [٣] وعظي نحو ودك أنني   أخاف عليه الدهر أن يتبددا
لكنه ذكر يزيـد هواكَ لي   وفـاء اذا كل الهوى وتجددا
حلفتُ بأبائي الكرام أليّـةً   وبالله حلفـا بعد ذاك مؤكدا

(١) في ل ، هـ : « من رفع السماء » .
(٢) في حـ : « كافل » .
(٣) في حـ ، هـ : « ولم أرج »

لتجتنين السؤل ممـا تحبه   وتبلغ أقصى مـا تؤمل في العدا
وما هي الا ليلة طاب جونهـا   فلا تبتئس اذ ذاك وارقب لها غدا

وكتب إلى آخر منهم وقد طال عهده بالاجتماع :

شوقي اليك على التبا   عد والتقارب زائد
وكذا المحب وداده   في كل حـال واحد
والحر من لا تنقضُ الأ   يام مـا هو عاقد
ما جفن شوقي مذ نأت   تلك المعيشة هاجـد
جمعت بهـا فيك المنى   لي واستهين الحاسد
فكأنـني بك للورى   طرّاً هناك مشاهد
داوى أنفرادي منك أ   ني للكآبة طـارد
وتذكر وتفـاوض   وتخالص وفوائـد
وخلائق [١] بيض على   حسن الوفاء شواهد
وكذا الأديب اذا تأدّ   ب للأديب معـاضد
ومصاحب ومواصـل   ومؤالف ومساعـد
أأبا محمـد المحم   د والحجا لك حامد
اني فقدتك مثل مـا   فقد البنان الساعد
أو مثل ما فقد الكرى   جفن الكئيب السـاهد
فلقـد يعود حرارة   فيه النعيم البـارد
فاسلم سلمت معجلا   لي منك وصل خالد
فلقد أعارك ظرفـة   دون الأنام عطـارد
وسما بك الأدب الطري   ف المستفـاد التالد
والمجد ليس ينـاله   الا الأديب الماجـد
هذا الزمام لمـا يسوء   وصالنـا متعاهد
رأي الليـالي في تف   رقنا ضعيف فاسد

(١) في ج : « وخلائص »

وقال وقد اعتل الامام المعز لدين الله بمصر العلة الاولى :

لا نالك السقم المحذور ان وردا ... وعشت فينا عزيزاً سالماً أبدا
الله يعلم أني مذ سمعت بمـا ... دهاك عاود قلبي الشجو والكمدا
يا ليت ما يعتريه بي فأنقـذه ... أوليتني واجد كلّ الذي وجدا
أوليت كل سرور يستبدُّ به ... دوني وأغدو له ممـا يهم فدا
(أمّا الزمان[1]) فلا يعاوك حادثه ... قد ظلّ يسعى بما ترضاه مجتهدا
ألنت ما لم يزل صعب القياد كما ... حللت من صرف[2] هذا الدهر ما انعقدا
فكيف أخشى عليك الحادثات وقد ... ملكت من حادثات الدهر كل مدى [3]
سأستقيد[4] بك الدنيا التي امتنعت ... مني وألبس أثواب العلا جددا
الله ملّكك الدنيا وساكنهـا ... والله أعطاك ما لم يعطه أحدا
والله جارُك ممـا أنت تحذره ... ومصطفيك ومعطيك الذي وعدا
صلّى عليك اله الخلق من ملك ... لولاه ما طاب لي عيش ولا بردا

وقال يمدح الامام العزيز بالله ويهنئه بمولود ولد له :

ليهنِ الملكَ مالكه الجديد ... ووارثـه وإن رغم الحسود
أتيتَ به أبا المنصور فرداً ... تنير به الليـالي وهي سود
يلوح عليه منك هدى وفضل ... ويظهر فيه منك حجا وجود
حكاك كما حكيت أباك شبها ... كذاك الأسد أشبلها الاسود
ولدت الشمس يا صبح المعالي ... فأنجب والد ونمـا وليد[5]
فأفنية الزمان به ملاء ... وكوكبها بأسعده سعيد
وليد كانت الدنيـا ترجى ... ولادتـه وترقبه السعود

---

(١) في ب : « ان الزمان »
(٢) في ل : من « رزء » .
(٣) في ب « سدى » بفتح السين وهو ما مد من خيوط الثوب وهو ضد اللحمة .
(٤) أي أقتادها وأجذبها إلي وقد استعمله متعدياً والوارد في اللغة استقاد اي انقاد .
(٥) في ل ، : « وبها » .

تباشرت الليالي والمعـالي ... بمولده وجـددت العهود
وكم رصدته آمال البرايا ... حوافل (قبل يظهره[1]) الوجود
وكم هتفت به رهن[2] الأماني ... ليطلعها ونادته الوفود [3]
وكم رَجتِ الخلافة أن تراه ... كما يرجو أحبتـه العميد[4]
الى ان تم أمر الله فيه ... ولاح السعد واقترب البعيد
فألقت حملها الدنيا تماماً [5] ... به ولكلّ حاملة حدود
وأعطيت الخلافة ما تمنت ... بـه والله يفعل مـا يريد
وأطلع بدرها وعلا ضُحاها ... واسفر صبحها ونأى الهجود
وقر الملك واتطدت [6] بُناه ... فأمكنه التزيدّ والصعود
وعزّ الحقّ[7] وارتفعت قناه ... وجدّ الوعد واشتد الوعيد
فكيف إذا نما واشتد حتى ... تتم به المصـادر والورود
وقاد الخيل واعتقل العوالي[8] ... وخافته التهـائم والنجود
وشنّ على العدا من كلّ فج ... كتائب لا تحـاد ولا تحيد
على قبّ سوابـق طاويات ... أياطلها [9] كما تطوى البرود
فعمّر عمر باقية الليـالي ... تواصله السلامة والخـلود

---

(١) أي قبل أن يظهره ، فحذف (أن) ورفع الفعل بعد الحذف .
(٢) الرهن : جمع رهن وهو يحبس ازاء حق ودين ،
(٣) كذا في ج ، ل وفي سائر الاصول .
وكم هتفت به زهر الاماني ليطلعها ونادته الوفود .
(٤) العميد : هو الذي هده العشق واضناه .
(٥) يقال : ولدت المرأة لتام بكسر التـاء وفتحها اذا ألقته وقد تم خلقه وقد حذف الشاعر الجـار .
(٦) اتطدت : ثبتت ومادته وطد والبنى جمع بنية بالضم والكسر وهو ما تبنيه .
(٧) في ل : الخلق .
(٨) العوالي جمع عالية وهي أعلى الرمح ويكنى بالعوالي عن الرماح أنفسها .
(٩) القبب : جمع أقب وقباء من القبب وهو ضمور الخصر او البطن يريد الخيل أياطلها أواسطها وأحدها أيطل وهو الخاصرة .

يصرف أمره قبضاً وبسطاً   يُشد الحلّ فيه والعقود
ويرضي الدّين والدنيا جميعاً   وتمحى في القلوب به الحقود
عزيزٌ نزاريٌ مليكٌ   له الدنيا ومن فيها عبيد
فآيات القرآن له تراث   وأبناء النبي له جدود
نما بين المكارم والمعالي   فطارفها له ، وله التليد
فهنّاكَ الإله به العطايا   وان رَغم المُعادي والحقود
وقابل نجمَك الاسعادُ فيه   وشدّ بقاءَ نعماك المزيد (١)
فأنت أعزُّ من ملك البرايا   ومن خفقت بنصرته البنود
عليك صلاة ربك ما أضاءت   بوارق مزنة واخضر عود

وقال يرثي أهل البيت :

نأت بعد ما بان العزاء سعاد   فحشوَ جفون المقلتين سهاد
فليت فؤادي للظعائن مربع   وليت دموعي للخليط مزاد
نأوا بعدما ألقت مكايدها النوى   وقرّت بهم دار وصحّ وداد
وقد تؤمن الاحداث من حيث تتقى   ويبعد نجْح الأمر حين يراد
أعاذل لي عن فسحة الصبر مذهب   وللهو غيري مألف ومصاد (٢)
ثوت لي أسلاف كرام بكربلا   هم لثغور المسلمين سداد
أصابتهم من عبد شمس عداوة   وعاجلهم بالناكثين حصاد
فكيف يلذّ العيش عفواً وقد سطا   وجار على آل النبي زياد (٣)

(١) المزاد : جمع المزادة وهي الرواية والسقاء ويجوز أن يكون (مراد) بالراء المهملة من راد يرود طلب مرعى او منزلاً والرائد المرسل في الناس النجعة وطلب الكلأ ومساقط الغيث واسترادت الدواب اذا رعت وروائد الدواب التي ترعى من بينها وسائرها محبوس عن المرتع او مربوط كما يصح ان يكون (مربع) في صدر البيت أصله (مرتع) .

(٢) المصاد : أعلى الجبل ويراد به هنا المعقل والملجأ أو مكان الصيد .

(٣) يريد زياد بن ابيه وهو والد عبيدالله بن زياد بن ابيه الذي أمر بمحاربة الحسين بن علي حين ذهابه إلى العراق وقتل هناك بكربلاء .

وقتلهم بغياً عُبيد (١) وكادهم   يزيد بأنواع الشقاء (٢) فبادوا
بثارات بدر طالبوهم (٣) ومكة   وكادوهم والحق ليس يكاد
فحكمت الأسياف فيهم وسلطت   عليهم رماح للنفاق حداد
فكم كربة في كربلاء شديدة   دهاهم بها للناكثين (٤) كياد
تحكم فيهم كل انوك جاهل   ويغزون غزوا ليس فيه محاد
كأنهم ارتدوا ارتداد أمية   وحادوا كما حادت ثمود وعاد
ألم تعظموا يا قوم رهط نبيكم   أما لكم يوم النشور معاد
تداس بأقدام العصاة جسومهم   وتدرسهم جرد هناك جياد (٥)
تضيمهم بالقتل امة جدهم (٦)   سفاها وعن ماء الفرات (٧) تذاد
فماتوا عطاشا صابرين على الوغى (٨)   ولم يجبنوا بل جالدوا فأجادوا
ولم يقبلوا حكم الدعي (٩) لأنهم   تساموا وسادوا في المهود وقادوا
ولكنهم ماتوا كراماً أعزة   وعاش بهم قبل الممات عباد
وكم باعالي كربلا من حفائر   بها جثث الابرار ليس تعاد
بها من بني الزهراء كل سميدع   جواد اذا اعياه الانام جواد

(١) يريد بعبيدالله بن زياد ويريد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكان يلي الخلافة يومئذ .

(٢) في ب شقاق .

(٣) كذا في ل ، هـ وفي سائر الاصول « قاتلوهم » ويريد ثأر قتلى بدر من المشركين من بني امية وقتلى مكة يوم فتحها النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) في ب : « للناكبين » والكياد : المكايدة مصدر كايد .

(٥) يعني بذلك ان عمر بن سعيد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي كان يحارب الحسين بن علي أمر بعد قتله الحسين ان يوطئوه سنابك الخيل فانتدب لذلك نفر منهم فداسوه بخيلهم .

(٦) في جـ ، ل هـ أمة أحمد .

(٧) يعني بذلك ان الجيش منع الحسين ماء الفرات ليميته عطشاً هو وأهل بيته .

(٨) في ب : « الوفا » .

(٩) يعني به يزيد بن معاوية لانه ورث الخلافة عن أبيه ولم يتولها بمشورة من المسلمين والاقرب انه يريد عبيدالله بن زياد وكان شرط لامان الحسين أن يضع يده فأبى الحسين وهو يدعى لانه ابن زياد الدعي ادعاه ابو سفيان كما هو معروف .

معفرة في ذلك الترب منهم   وجوه بها كان النجاح يفاد (١)
فلهفي على قتل الحسين ومسلم (٢)   وخزي لمن عاداهما وبعاد
ولهفي على زيد وبثا (٣) مرددا   اذا حان من بث الكئيب نفاد
الا كبد تفنى عليهم صبابة   فيقطر حزناً أو يذوب فؤاد
ألا مقلة تهمي الا اذن تعي   أكل قلوب العالمين جماد
تقاد (٤) دماء المارقين ولا أرى   دماء بني بنت النبي تقاد
أليس هم الهادون والعترة التي   بها انجاب شرك واضمحل فساد
تساق على الارغام قسراً نساؤهم (٥)   سبايا إلى أرض الشام تقاد
يسقن إلى دار اللعين (٦) صواغرا   كما سيق في عصف الرياح جراد
كأنهم فيء النصارى وانهم   لاكرم من قد عز منه قياد
يعز على الزهراء ذلة زينب (٧)   وقتل حسين والقلوب شداد
وقرع يزيد بالقضيب لسنه   لقد مجسوا (٨) أهل الشام وهادوا
قتلتم بني الايمان والوحي والهدى   متى صح منكم في الاله مراد
ولم تقتلوهم بل قتلتم هداكم   بهم ، ونقصتم عند ذاك وزادوا
أمية ما زلتم لابناء هاشم   عدى فاملأوا طرق النفاق وعادوا
إلى كم وقد لاحت براهين فضلهم   عليكم نفار منكم وعناد
متى قط اضحى عبد شمس كهاشم   لقد قل انصاف وطال شراد (٩)

---

(١) في ل : يقاد .
(٢) هو مسلم بن عقيل بن أبي طالب كان قد بعثه الحسين رائداً له إلى العراق قبل رحيله فقتله عبيدالله بن زياد في الكوفة .
(٣) في هامش ل « وبثي مردد »
(٤) تقاد أي يطلب بها القود وهو الدية .
(٥) يريد نساء الحسين من اهل بيته وقد ذهبن إلى الشام إلى يزيد بن معاوية أرسلهن اليه عبيدالله بن زياد بعد مقتل الحسين .
(٦) في ل : « النعيم » .
(٧) يريد بها زينب بنت علي بن أبي طالب ، وامها فاطمة الزهراء ،
(٨) مجسوا : دخلوا المجوسية . وهادوا : دخلوا اليهودية .
(٩) الشراد : النفور .

متى وزنت صم الحجار بجوهر   متى شارفت شم الجبال وهاد
متى بعث الرحمن منكم كجدهم   نبياً علت للحق منه زناد
متى كان صخركم (١) كعليهم   اذا عد ايمان وعد جهاد
متى أصبحت هند (٢) كفاطمة الرضى   متى قيس بالصبح المنير سواد
آل رسول الله سؤتم وكدتم   ستحيا (٣) عليكم ذلة وكساد
أليس رسول الله فيهم خصيمكم   اذا اشتد ابعاد وأرمل (٤) زاد
بكم أم بهم جاء القران مبشراً   بكم أم بهم دين الاله يشاد
سأبكيكم يا سادتي بمدامع   غزار وحزن ليس عنه رقاد
وان لم أعاد عبد شمس عليكم   فلا اتسعت بي ما حييت بلاد
وأطلبهم حتى يروحوا وما لهم   على الأرض من طول القرار مهاد
سقى حفراً وارتكم وحوتكم   من المستهلات العذاب عهاد (٥)

وأمر أن يكتب على طرة (٦) جاريته وعصابتها :

طمع الورد أن ينافس خدي   طمع الغصن أن يقاس بقدي
أنا أنسية ولكن حسني   حسن حورية بجنة خلد
لو تأملتني العيون لاجرى   لحظها رقة مع الماء جلدي
صاغني الله واصطفاني لما   صاغني فردة الجمال لفرد

وقال أيضاً :

سألته قبلة فجادا   ثم لوى خده وحادا
وقال أخشى من الاعادي   واتقي الأعين الحدادا

---

(١) يريد أبا سفيان بن حرب واسمه صخر .
(٢) يريد هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان .
(٣) كذا في ل : وفي سائر النسخ : « ستجني » .
(٤) أرمل: نفد .
(٥) العهاد : الغيث ، واحده عهدة بفتح الاول وكسره وسكون الثاني .
(٦) في ح : « طرز جاريته » .

لأن خدي من مدام ... يكتب فيها اللثام[1] صادا

وكتب من مدينة الرملة الى من تخلف بالقاهرة المعزية من الأهل :

أنتم في المنام حلمي وانتم ... في انتباهي سؤلي وانتم مرادي
كل عضو مني اليكم مشوق ... زائد توقه[2] على الابعاد
لم أفارقكم ولكن جسمي ... بان عنكم وحل فيكم فؤادي
فهنيئاً لكم بكائي[3] عليكم ... وهنيئاً للعين طول السهاد
كلما حنني اشتياقي اليكم ... قلت لبيك أنت نعم المنادي

وأمر أن ينقش في المجلس الذي تطول[4] العزيز بالأمر ببنائه له :

أنعم من العيش بما تشتهي ... واطرب ودع من لام أو فندا
واغتنم اللذات مستمتعاً ... ولا تبع يومك ترجو غدا
في مجلس أسس بنيانه ... بالطائر السعد ورغم العدا
كأنه من حسنة لم يزل ... يستخدم التوفيق والأسعدا
شد بناه وعلا سمكه ... فطاول الجوزاء والفرقدا
فلو بدا كسرى له لم يكن ... متخذاً ايوانه مقعدا
وكم قصور شيدت قبله ... لكنه أحسن ما شيدا
وكيف لا يشرق حسناً وقد ... شيده رأي أمام الهدى
الملبسي النعمى التي صيرت ... اداني اللحمة[5] لي حسدا
أثني عليه شاكراً بالذي ... أولى من الفضل وما جددا
يا رب صيرني له واقياً ... من كل ما يكرهه أو ردى

---

(١) يريد باللثام التقبيل . يقول انه اذا قبلها كان مكان القبلة ما يشبه حرف الصاد من شكل الفم وهذا يتم عليها .
(٢) في ل : « شوقه » .
(٣) في هـ : « وفائي » .
(٤) تطول : امتن .
(٥) أراد باللحمة هنا : اقاربه .

وصل يا رب عليه كما ... قام من الامر[1] بما قلدا

وقال أيضاً :

رأتني وفي كفي ورد أشمه ... وأرفعه حبا[2] على العين والخد
فقالت تذكر وجنتي باحمراره ... فقلت ولم لا يذكر الورد بالورد

وقال ايضاً :

ومريض الجفون عذب السجايا ... فاضحا للقضيب قداً بقد
مطلتني به الليالي ولكن ... سمحت لي بقربه بعد بعد
فالتقينا على مراد الأماني ... واشتفينا بلا تقدم وعد
يا له من ممرض اللحظ واللفـ ... ـظ ومن هازل بقتلي مجد
تعتريه مهابتي[3] فهو كالخا ... ئف وهو المسلط المتعدي

وقال :

انما قبلت يا سوء ... لي دمائي فوق خدك

ووجد على ظهر نسخة الامام[4] التي عليها في الترجمة خط الامير تميم أبيات ذكر انه قالها بعد ما كتب النسخة وجمعها أيام توفي ، وهي هذه :

ما زال في الحب شوق موجع وأسى ... مبرح يقطع الأحشاء والكبدا
حتى رمى البين بالتفريق الفتنا ... وحل من وصلها ما كان قد عقدا
فآه من لوعة مشبوبة وجوى ... في الصدر لم يبقَ لي صبراً ولا جلدا
قالت وعبرتها مخلوطة بدم ... تجري وانفاسها مرفوعة صعدا
لا تطلب النطق مني بالسلام فما ... أبقى فراقك لي روحاً ولا جسدا

---

(١) في ل،هـ « الحق » .
(٢) في هـ : « حينا » .
(٣) في ب : « مخافتي » .
(٤) في هـ : « الأم » .

فظللت ملتثماً (١) من صحن وجنتها   وردا ومرتشفا من ثغرها بردا
وطاوياً في الحشى منها رسيس (٢) هوى   لا أحسب الدهر يبلي عهده أبدا

وقال يوم الرحيل من بلبيس إلى العباسة :

حدا (٣) الفراق فمهلاً أيها الحادي   لا شيء أوجع من بين وابعاد
استودع الله من فقدي لرؤيتهم   أمر من فقد شرب الماء للصادي
لولا دموعي في يوم الوداع اذاً   لأحرقت زفراتي ثم عوادي
فان قضى بالتلاقي الله ثانية   فالشكر أعظم ما صيرته زادي

وقال في آداب النفس :

اذا الدهر أعطاك القياد مملكاً   ودارت بما ترجو عليك سعوده
فلا تعم فيه عين قلبك حيرةً   وخذْ وأفد من كل ما تستفيده
يموت الفتى طفلاً وكهلاً وعبطة (٤)   ويبقى على الأيام والدهر جوده
فكن لجميع الناس فيه مشاركا   فعما قليل سوف تصحو رعوده
ولا تتكبر ان قدرك فوق ما   ملكت وان الكبر ما لا يزيده
وزد لعطاء الله ذُلّ تواضع   فانك والأقوام طرا عبيده

وتناول الأمير دواء بالقاهرة وكان الخليفة العزيز بالله مبرزاً بعين شمس ، فدعت الضرورة ان غاب عن حضرته الجليلة اربعة أيام فقال وكتب بها اليه :

أغيب ولي مهجة لا يزال   اليك سراها وتبكيرها
ولكنك الشمس حيث انصرفت   من الارض يصحبني نورها
اذا ما غدت لك عندي يد   تعاظم في الفضل تأثيرها

---

(١) كذا في الاصول . والذي في كتب اللغة التثمت المرأة : شدت اللثام على فمها . وظاهر انه يريد التقبيل .
(٢) الرسيس : الثابت .
(٣) في ج ، ب : « جد » وفي ه : « بدا » .
(٤) يقال اذا عبطه الموت : أخذه شاباً صحيحاً ليست به علة .

صددت حياء فناديني (١)   سجاياك يعطفني خيرها
كما يتداوى اذا ما انتشى   من الراح بالراح مخمورها (٢)

وكان العزيز بالله قد خرج الى سردوس وأقام بها ، وتأخر الأمير تميم عنه لعلة عرضت له منعته من المسير معه ، فكتب اليه هذه الأبيات :

غدا عامر الأوطان في مقلتي قفرا   لبينك عنها ، واغتدى سهلها وعرا
وأظلمت الآفاق منها توحشا   كأنك كنت الصبح والشمس والبدرا
ومالي أرى هذي القصور كأنها   قد امتلأت مذ غبت عن أرضها ذعرا (٣)
ولم أتخلف انني عنك صابر   فكيف تطيق العين عن نورها صبرا
ولكن دهراً عاقني واستهاضني   فخلفني رغماً وأوجعني ضرا
ولو طار من قبلي مشوق لشائق   لطرت بشوق يقطع القلب والصدرا
وعلمك بي يكفيني العذر كله   لانك تدري صفو سري والجهرا
فيا ليتني أفديك من كل حادث   والقي خطوب الدهر دونك والدهرا
ولو أن عمري كنت أدري انتهاءه   أحطت به علماً وأعطيتك الشطرا
سقى سردوس الغيث ما دمت ثاويا   بها وكساها صوبه الورق الخضرا
ولا برحت تختال في حلى روضها   كما اختالت العذراء في حليها كبرا (٤)
ربوع ديار (بالعزيز) عزيزة   يطاول فيها مجده الأنجم الزهرا
عليك صلاة الله من ملك به   نفى الله عنا الجور والظلم والفقرا

وقال أيضاً متغزلاً :

شبهتها بالبدر فاستضحكت   وقابلت قولي بالنكر
وسفهت قولي وقالت متى   سمجت حتى صرت كالبدر

---

(١) في ه : « فما تنثني » .
(٢) اخذ هذا من قول الشاعر :
تداويت عن ليلى بليلى من الهوى   كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
(٣) في ب : « وغرا » والوغر : الحقد .
(٤) في ه ، ل : « بكرا » .

البدر لا يرنو بعـــين كما … أرنو ولا يبسم عـــن ثغر
ولا يميط المرط[١] عن ناهد … ولا يشد العقـــد في نحر
من قاس بالبدر صفاتي فـــلا … زال أسيراً في يدي هجري

وقال في الغزل يصف جارية حسنة الوجه :

يا رب ليل بتُّه ناعمـــاً … بين ربا المختار فالجسر [٢]
أخرج فيه لصبا [٣] من صبا … واستحث الخمـــر بالخمر
وعذبة الالفـــاظ معشوقة … ساحـــرة الأوتار والشعر
راجحة الأرداف ممكورة[٤] … طوع الصبا مرهفة الخصر
كأنما البدران في وجههـــا … فهي سماء الشمس والبدر
فلم أزل أشرب من كفها … واجتني الشهـــد من الثغر
حتى تضجعت وبي منه مـــا … بلحظ عينيها من السكر
والبدر قـــد مد على نيله … منطقة من خالص التـــبر

وقال في الغزل :

عاقب بما شئت سوى [٥] الهجر … واغلق رضى قلبك عن غدري [٦]
أليس قـــد رحت على كل ذا … أجـــول في سرك والجهر
جدد ولو بالسؤال ذكري فما … أحب أن تنفك عن ذكري
يا من أرى ذلي في حبـــه … أحلى من الفـــحـــة في العمر
ومن اذا شبهته لم أجـــد … لوجهه شبهـــاً سوى البدر

---

(١) أماط الشيء وماطه : نحاه وأبعده وأزاله . والمرط كساء من خز أو صوف أو كتان زر به .
(٢) كذا في ت . والذي في باقي الاصول : « في الجسر » .
(٣) يريد : من صبوة الى صبوة .
(٤) الممكورة : المطوية الخلق المدمجة والمستديرة الساق .
(٥) كذا في ت . والذي في باقي الاصول « من » .
(٦) في معظم الاصول « عذري » بالعين والذال ، وما اثبتناه عن « ت » .

سل لحظ عينيك وتفتـــيره … ان كان لي شيء من الصبر
كأن فكري لك دوني فما … أقدر أن تسقط من فكري

وقال في الشمعة :

وباكية متوجة بنـــار … كأن دموعها حبب العقار
اذا مـــا توجت في دار قوم … رأيت الليل منها كالنهار
فتاة عمرها عمر قصـــير … ولكن نفعها نفع الكبار

وقال وقد ودعه بعض أهله لسفره : قال صاحب « اليتيمة » وهو ممـــا يتغنى به :

قالت وقد نالهـــا للبين أوجعه … والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت … قواه عن حمل مـــا فيه وأضلعه
وأعطف علي المطايا ساعة فعسى … من شت شمل الهوى بالوصل يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى … غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال أيضاً :

أحب عدوي فيك والكاشح[١] الذي … ينم علينـــا والرقيب الذي يسعى
لأنهم من أجـــل حبـــك أصبحوا … معارف لي لا أستطيع لهم دفعـــا
ولولاك مـــا خادعت قلبي ومهجتي … وصيرت ضري فيك عند الورى نفعا
ولو لم أكن أرضيك الا بناظري … لأعطيتك العينين والقلب والسمعا
وما غاب عن قلبي الرشاد وطرقـــه … ولكن حسام الحب يقرعـــه قرعا

وقال في الغزل :

والله ما[٢] قلت بئس ما صنعا … ولا قطعت الهوى ولو قطعا

---

(١) الكاشح : مضمر العداوة المتولي عنك وده ، والعـــدو المبغض كأنه يطوي العداوة في كشحه ، أو كأنه يوليك كشحه ويعرض عنك بوجهه ، والكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع ، وهو من لدن السرة الى المتن .
(٢) كذا في ت . وفي باقي الاصول : « لا » .

وكيف يستطيع قلع مقلته ... من أوجعته ليذهب الوجعا
يا قمرا لم يجد لعاشقه ... ببعض ما يشتهيه مذ طلعا
هاك حديثي فما انتفعت به[1] ... من حين فارقتني ولا انتفعا
أحدث النفس عنك خالية ... بالوصل كيما أسرها خدعا
وأكثر السعي في البقاع اذ ... همت لعلي أراك مطلعا
وربما قد نقشت شبهك في ... كفي وقبلت وجهه طمعا

وقال أيضاً :

أأعذر قلبي وهو لي غير عاذر ... أم أعصى غرامي وهو مابين أضلعي
ومن لي بصبر أستزيل به الجوى ... وما جلدي طوعي ولا كبدي معي
نأوا والأسى عني بهم[2] غير منتأ ... وودعتهم والحب غير مودعي
فأول شوق كان آخر ساوتي ... وآخر صبري كان أول أدمعي

وقال يصف الزمان ويذمه[3] :

يا دهر ما أقساك من متلون ... في حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول مساعدا[4] ... وعلى اللبيب الحر سيفاً مرهفا
واذا دنوت كدرت شمة باخل ... واذا وفيت نقصت أسباب الوفا
أرضيك ولو صفوت[5] لانني ... أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه ... واذا استقام بدا له فتحرفا
ما قام خيرك يا زمان بشره ... أولى بنا ما قل منك وما كفى[6]

---

(١) في ه : « فؤادي » .
(٢) في ه : « لهم » .
(٣) في الاصول « وندمه » ونراها محرفة عن (ويذمه) كما يدل عليه معنى الابيات وسياقها .
(٤) كذا في ب وفي ت « ممرها » ولعلها « مرفها » . وفي باقي النسخ « ممهدا » . والنكس : الرجل الضعيف المقصر عن غاية النجدة والكرم .
(٥) في ت : « كرمت » .
(٦) في نسخة ت ورد هذا البيت هكذا :
ما قام بشرك يا زمان خيره ... والى بنا ما قل منك وما كفى

وقال متغزلاً :

يا غزالاً اذا شكو ... ت اليه تصلفا[1]
واذا رمت وصله ... صد عني وسوفا
وهو من بعد ذا يسـ ... ـل بعينيه مرهفا
ليته جاد لي الغدا ... ة بوعد وأخلفا

وقال يصف بستان قصره المعشوق :

يأيها المعشوق لا فارقت ... رباك أنوار واشراق
فكل معشوق له عاشق ... والناس طرا لك عشاق
كأنما الحسن بلألائه ... على ثرى أرضك مهراق[2]
وكل عين بك مفتونة ... وكل قلب لك مشتاق
اذا رنا نرجسك المشتهي ... بأعين فيهن اطراق
كأنما فاجأها كاشح ... بكل ما تكره سباق
فابيض منها لمفاجأته ... محاجر واصفر أحداق
وابتسم النسرين من حولها ... فهو صقيل الثغر براق

وقال متغزلاً :

سألته قبلة يوماً[3] على عجل ... فاحمر من خجل واصفر من وجل
واعتل ما بين اسعاف يرققه ... وبين منع تمادى فيه بالعلل
وقال وجهي بدر لاخفاء به ... ومبصر البدر لا يدعوه للقبل

وقال وكتب من الرملة[4] إلى بعض من تخلف بالقاهرة من أهله :

---

(١) تصلف الرجل : تكلف الصلف ، وهو الادعاء فوق القدر تكبرا ، والصلف مجاوزة قدر الظرف والبراعة .
(٢) اللألأ الاشراق والضياء واللمعان . ومهراق مصبوب .
(٣) كذا في ت . وفي باقي الاصول « منه » .
(٤) الرملة : بلد بالشام من كور فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا .

تغير بعـدكم حالي   وساء لبعـدكم بالي
ولا والله مـا قلبي   لكم ناس ولا قالي
وددت لو انكم تدرو   ن أشواقي وبلبالي[1]
ودمعي عند ذكراكم   واطـراقي واذلالي
فهل تلقون ما ألقا   د من وجد واعوال[2]
لقاؤكم وقربــكم   منى نفسي وآمالي

وقال مخمسة يمدح الخليفة العزيز بالله :

دم العشاق مطلول[3]   ودين الصب ممطول
وسيف اللحظ مسلول   ومبدي الحب معذول
« وان لم يصغ للائم »

اذا لم يظهر الحب   ولم ينهتـك الصب
ويفش سره القلب   فجملة ما ادعى كذب
« فبح يأيها الكاتم »

واحور ساحر الطرف   يفوق[4] جوامع الوصف
مليح الدل[5] والظرف   جنت الحاظه حتفي
« فمن يعدي على ظالم »

أطـاع جفونه السحر   وذل لوجهـه البدر

---

(١) البلبال : شدة الهم والوساوس في الصدر .

(٢) أعول اعوالا : رفع صوته بالبكاء والصيـاح ، وقد يكون الاعوال حرارة صوت الحزين والمحب من غير نداء ولا بكاء .

(٣) في هـ « العاشق » . والطل : هدر الدم وعدم اخذ الثأر به ، وذلك اذا قل الاعتدا دية فلم يؤخذ له بثأر ولم تعقل له دية ، فيصير ثأره كأنه طل .

(٤) كذا في (م) وفي باقي النسخ : « يفوت » .

(٥) دل المرأة ودلالها : تدللها على زوجها ، وذلك أن تريه جرأة عليه كأنها تخالفه وما بها خلاف والدل والدلال ايضاً : حسن الحديث ولطف المزاح وجمال الهيئة والمنظر .

ومـاد بردفه الخصر   وأشبـه ثغره الدر
« فقلت محبه هائم »

يعنفـني على حـبي   ويهجرني بـلا ذنب
كأني لست بالصب   لقهوة ريقـه العذب
« أما في الحب من راحم »

خذوا بدمي قنا القد   وحسن تورد الخـد
وليل الشَعر الجعد   وثقل الكفل النهد[1]
« وسقم الأعين الدائم »

متى يظفر بالوصـل   وينفي الجور بالعـدل
محب دائم الخبل[2]   سليب الصبر والعقل
« كئيب مدنف هائم »

بحسن الأعين النجـل   وعضّ الوقف والحجل[3]
بذاك القصب الجزل[4]   وريق كجنى النحل
« وثغر يطمع الشائم[5] »

سلوا الشمس التي طلعت   علينا ثم مـا أفلت
عسى ترثي لمن قتلت   بعينيها ومـا علمت
« فقد يستعطف الظالم »

---

(١) النهد : المشرف العظيم المرتفع .

(٢) الخبل : الفساد يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالجنون والمرض المؤثر في العقـل والفكر .

(٣) الوقف : السوار . والحجل : الخلخال . وفي الاصول (وغض) وأراها مصحفة عن (وعض) المهملة ، يريد ان المحبوبة لسمنتها وربالتها وعبالتها يضغط السوار على يديها كما يعض الخلخال ساقيها ، ولعل قوله (بذاك القصب الجزل) بعده يؤيد ذلك .

(٤) القصب : عظام اليدين والرجلين ونحوهما .

(٥) الشائم : الناظر المتطلع .

أما والخرد (١) الصفر … شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الحمر … لقد أضرمن في صدري
« غراماً ليس بالنائم »

وراح تبعث الطربا … وتحيي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حببا (٢) … تخال به عيون دبا (٣)
« ودرا صفه الناظم »

أمـا والجمرة الكبرى … وزمزم والصفى ومنى
ومن لبى بها ودعـا … وطاف البيت ثم سعى
« خميصاً (٤) مخبتاً (٥) قائم »

لقد أضحى لنا خلفـا … نزار وابتنى الشرفا
وأصبح خامس الخلفا … وأحيـا سعيه السنفا
« فأضحى بالهدى قائم »

امام جاود (٦) الديما … ندى واستخدم الهمما

(١) جمع خريدة أو خرود : وهي البكر لم تمس ، او هي الخفرة الحيية الطويلة الخافضة الصوت المتسترة وقد جاوزت الاعصار ولم تعنس . وأراد بالصفر صافيات يؤثر فيها صفرة الاصيل ونحوه وينعكس لونه عليهـا ، والصفرة أيضاً من اثر الطيب والزعفران ، وللشعراء في الغزل بالصفرة شعر كثير ، ، قال بشار بن برد :
بيضاء ضحوتها وصفـ … ـراء العشية كالعرارة
(٢) الحبب والحباب : فقاقيع الماء ونحوه التي تطفو كالقوارير ، ويقـال طفا الحباب على الشراب .
(٣) الدبا : الجراد قبل أن يطير ، واحدته : دباة .
(٤) الخميص : خالي البطن من الطعـام ، وخمص البطن : خلا فهو خميص ، ورجل خميص الحشا : ضامر البطن دقيق الخلقة .
(٥) أخبت الرجـل لله : خشع وتواضع . واختبتوا إلى ربهم : اطمأنوا اليه وتواضعوا لعظمته . وهو يصلي بخشوع واخبات وخضوع وانصات .
(٦) جاودها : جاراها في الجود ، وفي نسخة : هـ « جاوز » .

وحـاز المجد والكرما … وأصبح في الورى علما
« نجيت في العلا ناجم »

اذا عـالى الملوك علا … وان سيل الندى بذلا
ولم يلق العفاة بـ «لا» … وروّى البيض والأسلا
« وراح من العدا ناقم »

نمـا في المجد عنصره … وطال النجم مفخره
وفاق البـدر منظره … فصرف الدهر يحذره
« أبيٌّ لينٌ صارم »

وحيـد في فضائله … شريف في أوائـله
يجود ببـذل نائله … ويعشق لفظ سائـله
« جواد حازم عازم »

بنى العليـاء والمجدا … وحاز الشكر والحمدا
وأصبح في الورى فردا … وشد الملـك فاشتدا
« وراح لعقده ناظم »

كأن جبينه القمر … وعزمة رأيـه القدر
فليس يفوتـه ظفر … ولا يغتـاله حذر
« على ثبج (١) العلا جاثم (٢) »

عظيم في تواضعـه … جليل في صنائعـه
يجـود على مطـاوعه … ويقطع حبل قاطعه
« على عليائه حائم »

يخاف السيف سطوته … ويخشى الرمح هزته

(١) ثبج الشيء : وسطه ومعظمه .
(٢) جثم يجثم : لزم مكانه فلم يبرح .

ويهوى المجد غرتـه   ويرضى الجود شيمته

« لأن سحابه ساجم[1] »

اذا ما اعتد في كرمه   وراح على علا هممه

عدا والنجم في قدمه   وراح الدهر من خدمه

« وساد الشم من هاشم »

إذا ما سيل لم يبخل   ويعطي قبل أن يسأل

جواد ان يقل يفعل   ويشبه جده المرسل

« بما جهل الورى عالم »

كريم السعي مشكور   ببذل العرف مشهور

وبالعلياء مذكور   على الأعداء منصور

« وليس لمجده ثالم »

لان الله أعطاه   جوامع ما تمناه

وفضله وأعلاه   ومكنه وأرضاه

« وليس لفضله جاذم »

براه الله للفضل   بلا ند ولا مثل

فعدل قسمة العدل   وأرضى الجود بالبذل

« لأرزاق الورى قاسم »

ولما لم يسع شعري   معاليك ولا فكري

جعلت المدح كالشكر   لأنك مالك العصر

« من الغرّ بني فاطم »

كيف يبلغ الشكر   مكافأتك والذكر

(١) ساجم : سائل فائض .

ولا يبلغك القطر   ولا يشبهك البحر

« سماحا يغرق الزاخم »

هو البدر الذي طلعا   هو الصبح الذي سطعا

هو الغيث الذي اندفعا   هو السيف الذي قطعا

« بجديه وبالقائم »

فلا زلت على الرشد   وفي الاقبال والسعد

رفيع القدر والحد   سليم الفضل والمجد

« وأنف من أبى راغم »

وقال يفتخر :

همي أنافت[1] بي على الهمم   قبل الفطام ومبلغ الحلم

وسما بقدري في العلا أدبي   حتى وطئت كواكب الظلم

تثنى عليّ اذا سكت يدي   بسماحها وتضيء لي شيمي

واذا الكرام جفوا تكرمهم   لؤما فاني عاشق كرمي

في كل صالحة مددت يدي   ولكل مكرمة سعت قدمي

وأقل ما أدريه من زمني   رفع الجهول وسقطة الفهم

فاسأل خطوب الدهر عن جلدي   وغوامض الأشياء عن فهمي

هل شم اطواد الجبال سوى   حلمي وهل غضب سوى كلمي

والمجد فرع أصله كرمي   والدهر رمح سنه قلمي

والشمس من عرضي تلألؤها   بسنا والأيام من خدمي

لم أخشَ قط حلول حادثة   والليث لا يخشى من النعم

وجهت جودي قبل مسألتي   وبعثت فعلي قبل لفظ فمي

لا غير اني مانع شرفي   ومبين فضل علاي في الأمم

فلتعلم الدنيا وساكنها   اني عظمت بها عن العظم

(١) اناف : ارتفع واشرف .

وشفى نوالي الناس من عدم … وشفى مقالي الصم من صمم
وجلست من أملاكهم شرفا … فوق الرؤوس وفي ذرا القمم
الا العزيز فانه ملك … كل افتخار عن علاه عمي
جدي النبي المستضاء به … وأبي المعز مجلل النعم
وأنا الذي شهد الوفاء له … بالصدق في لاء وفي نعم
أرجى وأخشى سطوة وندى … يرجى نداي وتتقى نقمي

وقال :

ماحل في الحب لوم … ولا حلا فيه نوم
بالعين عن كل وجه … سواك مذ غبت صوم
صبرا فللحزن يوم … وللمسرة يوم

وقال وكتب بها إلى بعض أصحابه :

لو تقصيت وصف شوقي وتوقي … فرغ اللفظ دونه والكلام
غير اني كتمته وهو بادٍ … مثل ما تكتم البروق الغمام
كلما صنته اكتتاماً بقلبي … شف عن محض سره الاكتتام
فهو كالراح في الزجاج، وهل تخـ … ـفى عن اللحظ في الزجاج المدام؟
لك مني محبة الطبع والفطـ … ـرة ، والطبع ليس منه انصرام
خُـلة لا تَحول غدرا ولا تطـ … ـمع في حل عقدها الأيام
واذا صحَّتِ الحقائقُ في الأنـ … ـفس صحّ المراد والاعتزام
لي قلب أمضى من الدهر في الدهـ … ـر اذا كعَّت[1] القلوب الطغام
ففؤادي اذا صمت نطوق … ولساني اذا نطقت حسام
ودُّ غيري تصنع ورياء … وهواه بشاشة وسلام
وأنا الشمس لا تسر سوى النو … ر ولا في ضيائها اظلام

(١) كعه : جبنه وخوفه . الطغام أوغاد الناس .

ويلي على من كل عـ … ـين أبصرته تعظمه
ويضره لبس الغلا … ئل والشنوف[1] ويؤلمه
لو لامس الوهم الخفي … أديمه لجرى دمه
أوزاري لم استطع … خوفا عليه الثمه
ظبي يعذب مهجتي … ظلماً وقلبي يرحمه
بأبي رضاه وسخطه … وصدوده وتبرمه
لما استقل من الهوى … ما لم أزل استعظمه
ناديته لم يبق حب … فوق حبك أعلمه

وقال : يرثي جارية له توفيت في سنة أربع وسبعين :

كل سيوف الموت عضب حسام … اذا غدا كل حسام كهام
وللردى داع اذا ما دعا … جد ولم يرع لخلق ذمام
لله ما بان به يومها … من رقة الظرف وحسن الوسام
كانت رضى النفس ونيل المنى … ولذة العيش وطيب المدام
ريحان سمعي وسنا مقلتي … وسؤل قلبي من جميع الأنام
لهفي على ما فات من قربها … لهفا له في كل عضو سقام
لهفي على تلك الطباع التي … قد خلصت من كل عيب وذام
لهفي وقل اللهف مني لمن … كان سلوى عنه كل اهتمام
لم أدر في حبي لها ما الأسى … ولا تطعمت اليم الغرام
وكل محبوب له ضجرة … يطول فيها العذل والاختصام
وما تجنت قط مذ أيقنت … اني بها ذو كلف مستهام
ولا دعاها التيه يوماً إلى … أن تظهر الدل وتبدي الملام

عضا على الكف واهلكا أسفا … بغيا وموتا كذا بداعين
ان الامام العزيز بان له … وبان ما تحت كل حسَّين[2]

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب . والشنوف : جمع شنف ، القرط الاعلى .
(٢) زيادة عن هـ . وليس في بقية النسخ .

فلعنة الله غير مقلعـــة … تترى على أغدر الفريقـين

وهل أنا غير راحـة برزت … منك وكفاك للذراعين

وما رأينا وان وشت[1] عصب … أبقى على الود من شقيقـين

هنتك أعيادك التي بك قد … هنئن يا أوحـــد الزمانين

نحن من العبيد اذ سلمت لنـا … ومنك في تهنئـــات عيدين

برزت كالشمس يوم أسعدهـا … بل زدت نورا على المنـيرين

كأن في السرج منك منتصبـا … بدر سمـــاء وليث شبلين [2]

في جحفل جر من فوارسه … … كتائباً تملأ الفضـــاءين

فمن مشير براحــــة صرفت … اليك أو ناظر بلحظـين

تأملوا من نبيهم خلقـــا … فيك وخلقـــا محمدين

حتى اذا مـا علوت منبرهم … وقمت للحمـــد في اللواءين

خوفت بالله ثم جئت بـــه … مبشراً مسهب الطريقين [3]

تضم تحميـدة الى عظـــة … لهم ووعدا إلى وعيـدين

أنت الامام المبين حكمته … والعـالم الفرد ذو اللسانين

صلى عليـــك الاله من ملك … عد يديـــه الندى يمنين

[illegible] كالعروس باقيـــة … غراء تختـــال بين حسنين

أحر [illegible] وقفة الوداع ومن … دمع تقاضته روعة البـين

تزري بألفاظهـا العذاب على … صولج[4] لامـين في عذارين

وتختفي قـلة اذا ذكرت … في ذهبيـين جوهريـين

وذاك ان الذي مدحت بها … أحق الاثنــين بالثنـاءين

« مشت » .

(٢) زيادة في ع : بدر سماء ونور شمسين.

(٣) في ع : خوفت بالله من جنيت به . مبيناً أوضح الطريقين .

(٤) لعله يريد اعوجاج اللام وانحناءها من آخرها وهم يشبهون العـذار باللام وتقدم مثـل. [illegible]بيه وقال الشاعر : كأن عذاره في الخد لام ومبسمه الشهي العذب صاد .

وان من صاغ تلك ضمنهـا … افكين في افك[1] وزورين

وقال في أول يوم ركب فيه الخليفة المعز لدين الله بمصر الى بستان كافور[2]، وكان يوم النوروز للقبط :

لو كان للنوروز لمـا أتى … فم ولفظ معرب أو لسان

ناداك : أنت العيد يا عيد من … عيد النوروز والمهرجان

لو جل[3] عن قدر العيان امرؤ … للفضل ما نالك منا العيان

أوتيت في المهد العلا والندى … وخصك الله بحسن البيان

فما عسى يحصيه فيك الثنا … وانت عالي القدر عن كل شان

يا حسن ما أصبح يسمو به … ـ ياصفوة الرحمن ـ منك الحنان

قد سافرت فيك بمدحي الورى … وغردت فيك بشعري القيان

وسالمتني منـــذ نوهت بي … سود الرزايا وخطوب الزمان

لا زلت تبقى قاهراً للعـدا … بالغاً ما املت عالي المكان

وقال يصف الناعورة :

---

(١) هذا العجز غير مستقيم الوزن . فلعل الاصـــل (افكين في افكين افكه وزورين) والقصيدة من بحر المنسرح . والافك : الكاذب .

(٢) بستان كافور : كان بستاناً كبيراً فسيح الرقعة ، يشغل المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش البرانى ، ومن الغرب بشارع الخليج المصري ، ومن الجنوب بشارع السكة الحديدية ، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنحاسين ، فمكانه اليوم في شرقي الخليج فيما بين جامع الشعراني والسكة الجديدة قريباً من الموسكي ممتداً في الجهة الشرقيـــة إلى النحاسين وكانت مساحته تبلغ ٣٦ فداناً بقياسنـا اليوم ، وبه كان ينزل الاخشيد اذا قدم إلى مصر من سفر ، وقد بنيت القـاهرة عنده ، ولم يزل مائلاً الى سنة ٦٥١ ، وفي دولة الملك المعز أيبك هدم البستان لما خربت القصور والميدان وبني موضعــه اصطبلات ودور ومساكن ، وأزيلت أشجاره ، ثم اختطت المماليك البحرية والعزيزيـة به اصطبلات كذلك (انظر خطط المقريزي ص ٣٥ ج ٢ ، والنجوم الزاهرة ص ٤٨ ج ٤ ، والخطط التوفيقيـة لعلي باشا مبارك ص ٢ ج ١ .

(٣) في الاصول « حل » وهو تصحيح .

وناطقة كلما حركت ... وليست بناطقة في السكون
تئن اذا دار دولابهـــا ... فتطرب سامعهـــا بالأنين
وتبكي وليست بمحزونة ... بكاء المحب الكئيب الحزين
فتنطق بالصوت لا من فم ... وتقذف بالدمع لا من جفون
كأن لها ميتاً في الثرى ... فأدمعها همع (١) كل حين
اذا زمرت أطربت نفسها ... فغنت بمختلفات اللحون
غنـاء يرقص كيزانها ... ويظهر فيهن وثب المجون
فتهوى فوارغ في بئرهـا ... وتصعد منها ملأى العيون
كأن مدامعها فضـة ... مذوبـة لونهـا أسمجوني

وقال يذم الزمان :

أقول لسرب من حمام عرضن لي ... يغردن في أعلى الغصون ويندبنا
ويسكن في خضراء ناعمـة الربا ... أنيقة روض النبت آنسة المغنى
بوارح لا يخشين بينـا ولا نوى ... روائح لا يعرفن هماً ولا حزنا
فقلت هنيئاً للحمام أمانـــه ... وان كانت الأيام لم تعطني امنا
اسرب الحمام لو لقيتن بعض ما ... ألاقي لأصبحتن أول من يضنى
ولو قـــد علمتن الذي أنا عالم ... لما ناح منكم هاتف ، لا ولا غنى
ومن جرّب الأيام تجربتي لهـا ... درى أنها ليست تدوم على معنى
فحسبك يادهر اضطليت(٢) بنار من ... لو انك سم في تراقيه(٣) ما أنا
وأكثر ما اهجوك يا زمني بـه ... من الفعل اني لم أحسّن بك الظنا
ذممناك يا صرف الحوادث فانتصر ... وسؤناك يا ريب الزمان فخذ منا
فانا أناس لانـــذل لنكبة ... واخلاقنا لا تعرف الخوف والجبنا

(١) همع جمع هامع ، من همعت عينه : اذا سالت دموعها .
(٢) اصطلى بالنار : احترق وقاسى حرها .
(٣) التراقي : جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان .

وقال في الغزل :

يا عذبة الوصل والصدود ويا ... أعبق(١) ثغراً من ابنة (٢) الدن
ولم أذقـــه ولا سمعت بمن ... ذاق ولكنه كذا ظني
بلى تعشقتهـــا بلا حرج ... كان وقبلتها ولا أكني
ولم تكن قبلتي موافقـــة ... بل خلسة نلتهـــا بلا اذن
يا دجن ليـل بدا على قمر ... وبدرتم يغيب في دجن (٣)
وغصن بان يميس فوق نقـا ... أعجب به من نقا ومن غصن
يا حسنا كامل الصفات اذا ... لم يضح خلق بكامل الحسن
حسبك حسن غدت بدائعه ... أوسع من فطنتي ومن ذهني
كم ذا التجني على ظالمـــة ... وكم على حتف مهجتي أجني
أتستحلين في الجفـــا سقمي ... أم تستطيبين في الهوى غبني
مالك لا تهدمين منعمـــة ... من ظالمك المستطيل ما يبني
ويـلاه يا ظلوم أمـــا ... يكفيك مـا قد سلبته مني
تلوّناً في الهوى ومعتبـــة ... كذاك حقاً تلون الجن (٤)
مني ولو بالسلام منعمـــة ... ثم اخلطي ما مننت بالمن(٥)

وأكل يوماً رطباً، فجاءه بعض جواريه برمان يدفع به ضرر الرطب، فقال:

(١) عبق به الطيب : لزق به وبقي وفاح وانتشر ، ورجل عبق وامرأة عبقة : اذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنهما اياماً .
(٢) الدن : الاناء العظيم من آنية الخمر . وابنة الدن : كناية عن الخمر .
(٣) يريد بالدجن الشعر ، وبالقمر وبدر التم : الوجه .
(٤) شبهها بالجن كقول الشاعر :
ويحك يا جني هل بدا لك ... أن ترجعي عقلي فقد اني لك
انما أراد امرأة كالجنية اما لجمالها او في تلونها وابتذالها (تاج العروس) وفي بعض الاصول « الحسن » .
(٥) المن هنا من من فلان على فلان اذا عظم صنيعه عنده وفخر بمعروفه لديه وأبدأ فيه وأعاد حتى يفسده ويبغضه ، ومنه قوله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) .

بأبي من سعى يبرد عني … حر بعض الغذاء بالرمان
ليته يطفىء الذي بي من الشو … ق الى وجهه بقرب التداني
أنا أشتاقه اذا بات قربي … مثل شوقي اليه في الهجران

وحضر جماعة من الاصحاب إلى المعشوق – وهو بستان بركة الحبش – للقصف به ، وكان معهم أبو الحسن علي بن الحسين القيرواني الشاعر ، فكتب عن الجماعة ابياتاً وهي :

قل للأمير بن الامام الّذي … أمّننا من نائبات الزمان
لو صوّرت أفعالك الغرّ ما … أصبحن إلا أوجها للحسان
نحن من المعشوق في لذّة … زادت على لذّة طيب الأمان
فأي شيء ابتدي وصفه … منه وقد أفرط في كل شان
اماءه العذب القليل القذى … أم ظله الداني من كل دان
رحت به للهوى في فتية … كلهم حرّ كريم هجان
نلقى الصّبا فيه بجرّ الصّبا … ونطرد الهم ببنت الدنان
صفراء لولا طيب أنفاسها … غابت عن الحسن ولطف العيان
نشربها مزجاً وعرفا وما … لنا سوى المثلث من ترجمان
والبم يهدينا لطرق الصبا … إذا تبارت فيه أيدي القيان
كأنما رقة مسموعة … رقة ما يلفظ منك اللسان

فأجاب الأمير :

لا تقتل الاحزان الا بما … أودعه الابريق دمع الدنان
صفراء في الكأس خلوقية (1) … مخلوقة من قبل خلق الزمان
أدق محسوساً اذا صرفت … من دقة الفهم ولطف البيان

١ – خلوقية : نسبة إلى الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة ، وتغلب عليه الصفرة والحمرة لان أعظم اجزائه من الزعفران .

يقتص من اقدامنا ثأرها (1) … وتعقد اللفظ وتلوي اللسان
ينظم فيها ماؤها لؤلؤا … كأنه نظم ثغور القيان
أو درة ضمت على عسجد … أو عسجد قد ذاب في اقحوان
دونكموها فاشربوا صرفها … هناكم القصف وطيب المكان
وانصتوا ما بين أقداحها … إلى الأغاني من حلوق الغوان
حتى اذا هزتكم نشوة … هز الشجاع المتقي للجبان
فادرعوا اخلاقكم واطربوا … بين تناغي زيركم والمثان
وان أغب عنكم فاني كمن … يراكم في القرب رأي العيان
هناكم الله وملاكم … وعاش من عاداكم في هوان

وقال :

قصرت على دير القصير مجوني … ورحت ومالي فيه غير مصون
وكانت به للراح عندي وللصبا … ديون ، فلم أمطل قضاء ديوني
اذا بكر الناقوس باكرت شربها … وخالف أديان النواقس ديني
ورحت صريعاً بين كأس مدامة … وترجيع أوتار ولحظ عيون
ولم تهتك اللذات ستر مروءتي … ولا أفسدت فيه الذنوب يقيني

وقال يصف عود الغناء :

لسان العود أفصح من لساني … وحسن بيانه فوق البيان
اذا شدت مثالثه الملاوي … وجاوبت البموم به المثاني
ودارت أكؤس الصهباء صرفا … وحركت الغواني للأغاني
فيا لك من منادمة وقصف … تزول (2) بها ملمات الزمان

(١) في معناه قول صفي الدين الحلي :
أمست تحاول منا ثار والدها … ودوسه تحت أقدام المعاصير
وقول ابن المصري :
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم … فاسترجعت من رؤوس القوم ثارات
(٢) كذا في ه وفي باقي الاصول : « تذل لها » .

وقال في الشكوى :

لم يرضني دهري كما … أرضى سواي فأرضيه
لكنه أنحى[1] علي … بجده وبما يليه
أ كلا وشربا من دمي … والدهر يأكل من بنيه
دهر يقل به السرو … ر كقلة الاخوان فيه
يا نفس قد جار الزما … ن عليّ فاصطبري وتيهي
وتحلمي عن جهله … حلم الاديب على السفيه
لو كان حراً ما سطا … يوماً على حر وجيه

وقال في الغزل :

ما هجرت المدام والورد والبد … ر بطوع لكن بصغر[2] وكره
منعتني من الثلاثة من لو … قتلتني لم أحك والله من هي
قالت : الورد والمدامة والبد … ر رضابي[3] ولون خدي ووجهي
قلت : بخلا بكل شيء فقالت … : لا ولكن بخلت بي وبشبهي
قلت : يا ليتني شبيهك قالت … : انما يقتل المحب التشهي

وقال يرثي أهله :

الحر لا يأتي الدنيه … والمجد للنفس الأبيه
ومن المكارم والتقى … حسن السريرة والطويه
والمرء يستر بالسخاء … معايب النفس السخيه
والحلم أعظم ما يكو … ن اذا تعاظمت الخطيه
والعقل أجمل زينة … لأخي النباهة والرويه

---

(١) أنحى عليه : مال .
(٢) الصغر : الذل والهوان .
(٣) الرضاب : الريق يرشف ، وكثرة ماء الاسنان .

والظلم من لؤم الطبا … ع وعادة النفس الرديه
والبغي يؤذن بالبوا … ر وبالدمار وبالمنيه
أو ما ترى بالبغي ما … أفضت اليه بنو أميه
الناكبين[1] عن الهدى … والجائرين على الرعيه
والقاسطين[2] الواثبي … ن على ابن فاطمة الزكيه
كفروا برب محمد … بغيا فما حفظوا نبيه[3]
وشفوا بسبطيه الحقو … د وحاربوا ظلماً وصيه
ونسوا مقال نبيهم … وهو المعدل في القضيه
من كنت مولاه فقد … أضحى أبو حسن وليه
جلَّت بسفك دم الحسـ … ـين وقتله عندي الرزيه
ماذا أبيح بكربلاء … من النفوس الهاشميه
ماذا تخطفت الصوا … رم منهم والسمهريه[4]
بكت السماء لفقدهم … والأرض واحتذت البريه
أهل الفضائل والمكا … رم والندى والأريحيه[5]
وذوو النبوة والهدا … ية والعلا واللوذعيه[6]
قتلت أمية هاشما … اعظم بذلك من بليه
بحقود بدر طالبو … هم والدماء المشركيه
خذلوا النبي بقتلهم … وتعصبوا للجاهليه

---

(١) نكب عن الامر : حاد عنه ومال وانصرف .
(٢) قسط يقسط قسطاً : جار وعدل عن الحق قال تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .
(٣) في الاصل (بنيه) .
(٤) السمهري : الرمح الصلب ، الى سمهر ، اسم رجل ، وهو زوج ردينة ، وكانا مثقفين للرماح ومقومين لها .
(٥) الاريحية : الارتياح للمعروف .
(٦) اللوذع واللوذعي : الذكي الحديد الفؤاد .

هدموا الشريعة، والشر   يعة غضة المبدا طريه
لم تخف عن رب البريـ   ـة من فعالهم خفيـه
ما عذرهم يوم النشو   ر اذا تحاكمت البريه
وأتى النبي مطالبـا   بدم ابن فاطمة الرضيه
ودم الحسين على البتو   ل وعينها منه بكيه
نحروه غـير مذمم   نحر الهدايا للضحيه
في كربلاء يجود بالنـ   ـفس المعطشة الصديه[1]
حتى انثنى لسيوفهم   وسهامهم فيها دريه[2]
أعزز علي مجـاله   ظمآن في تلك الثنيه[3]
وبنو أبيـه حولـه   بين العداة الناصبيه[4]
قد جردوا بيض المنـا   صل واستعدوا للمنيه
حتى تفانوا حولـه   وسقوا المنية بالسويه
والفاسق ابن زياد[5] الـ   ملعون يطلبهم بنيه
لا يأتلي[6] في قتل أبـ   ـناء النبي على حميه

---

(١) الصدى : العطش وشدته ، وفعله صدى يصدى فهو صد ، وهي صديـة (بتخفيف الياء) كفرحة . وشدد الشاعر ياءها للوزن .

(٢) يريد (دريئة) وهي في الاصل الحلقة يتعلم الرامي الطعن والرمي عليها . قال عمرو بن معد يكرب الزبيدي رضي الله عنه : ظللت كأني للرماح دريئة – أقاتل عن ابنـاء جرم وفرت .

(٣) في ل و هـ « في تلك العشية » .

(٤) الناصبية : فرقة نصبوا لعلى العداء ودانوا ببغضته .

(٥) هو عبيدالله بن زياد بن أبيه (أبي سفيان) قتل سنة ٦٧ هـ في واقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي بعث برأس عبيدالله إلى المدينة في نحو سبعين الف راس ، وشاهدهم نساء اهل البيت ، وكانت ملحمة عظيمة انتقم الله فيهـا من اهل الحرم ، ونصبت رؤوسهم حيث نصب رأس الحسين رضي الله عنه .

(٦) لا يأتلي : لا يقصر ولا يبطىء ولا يفتر .

حتى اذا ما عفروه   على ثرى الأرض الثريه[1]
حثوا المطـايا للشآ   م بكل طـاهرة حييه
شهروا نساء نبيهم   وتقاسموا بالبغي فيه[2]
أسرى يسقن كما تسا   ق المشركات بلا تقيه[3]
حتى اذا جاؤوا يزيـ   ـد بهن واحتضروا نديه[4]
أبدى الشمات وقال ثا   رات الرجال العبشميه[5]
أعزز علي وقوفهن   ثواكلا فـوق المطيـه
والرأس ملقى وهو يقـ   ـرع بالقضيب على الثنيه[6]
يا عين جودي بالدمو   ع على مصاب الفاطميه
آليت لا ذقت المنا   م ولا اضطجعت على حشية[7]
ولأهجرن لذيذ كـ   ـل معيشة عندي هنيه
حتى أزور أميـة   في كل بلقعة[8] قصيه
وأذيقهم كأس المنيـ   ـة بالغـدو وبالعشيـه
حتى أقـوم بثأر   آبائي من العصب الشقيه
ان لم أذد طعم الكرى   عن أعين منهم عميه[9]
حتى تروح أميـة   لسوى أمية مـدعيه

---

(١) الثرى : التراب النـدى ، وتريث الارض تثري فهي ثرية نديت ولانت بعـد الجدوبة واليبس .

(٢) فيه : مخفف عن فيء : والفيء : الغنيمة .

(٣) أي بلا حفظ ولا صيانة ولا حماية ، واتقى الشيء تقي وتقية : حذره .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم ما داموا حاضرين ومجتمعين فيه كالنادي .

(٥) عبشمي : نسبة الى عبد شمس جد بني أمية .

(٦) الثنية من الأضراس : الاربعة التي في مقدم الفم ، ثنيتان من فوق ، وثنيتان من **أسفل.**

(٧) الحشية : الفراش المحشو .

(٨) البلقع والبلقعة : الأرض القفر التي لا شيء بها . وقصية : بعيدة .

(٩) ذاد يذود : منع وصرف وطرد .

فبرئت من نسب الوصي … ومن ولادته العليـه
لهفـي على النفر الذيـ … ـن مضوا ولم يبقوا بقيه
تالله لا برحت لهـم … نفسي مولهة شجيه [١]
حتى أكدر عيش تلـ … ـك الأنفس الصغرى الغبيه
وتروح ثارات الحسـ … ـين أبي بسيفي محتميه [٢]
إني وآبائي وقـو … مي والكرام الأحمديه
ذاقوا الردى وتخرموا [٤] … بيد الدعي [٤] ابن الدعيه
بيد الغوي [٥] ابن الغوي … ابن الغوى ابن الغويـه
الناقضـين الناكثـ … ـين على الشريعة والبريه
البـائعين صوابهم … في كل أمر بالخطيـه

وقال متغزلاً :

بأبي من شربت من راحتيـه … مثل ما قد شربت من مقلتيه
وسقتني تحت العناق ثنـاياه … رحيق السلاف من شفتيـه
كلما علني ثنـاياه حيا … ني بورد الشقيق من وجنتيـه
ويرمانتي قضيب لجـين … بهما قـام مثل رادفتيـه
فهو كالدعص كالقضيب كبدر التـ … ـم لولا ظلام سالفتيـه [٦]
ضاقت القمص أن تحيط بردفيـ … ـه ونهديـه فانشققن عليـه

---

(١) الوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الاحبـة ، وفعله وله يوله ، وقد ولهـه الحزن والجزع ، وأولهه . وشجاه يشجوه شجوا : أحزنه ، والشجو : الهم والحزن .

(٢) يريد محتمية بتخفيف الياء ، غير ان الشاعر شدد الياء للضرورة هنا ، وفي غير موضع كقوله (مدعية) في (مدعية) و (عمية) و (صدية) في (صدية) .

(٣) تخرمتهم المنية : استأصلتهم واقتلعتهم .

(٤) يريد عبيدالله بن زياد بن أبيه أبي سفيان .

(٥) غوى الرجل يغوي غياً وغواية : انهمك في الباطل .

(٦) السالفة : تطلق على خصل الشعر المرسلة على الخد ، واوصل الـسالفـة صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

يا عذولي عليه جهـلا أتستحـ … ـسن عذل الهوى في قمريـه
كيف أسلو عنه وعيني وقلبي … قائدا صبوتي وشوقي اليـه

وقال في الغزل :

شكوت اليها – لا شكوت – صبابتي … فقالت سقيم الحب من بات شاكيا
فلمـا منعت الشكو مني تجلدا … وأدمنته حتى غدا القلب ساليـا
أماطت [١] عن الخدين فضل قناعها … وقالت أنسيانا لنـا أم تناسيـا
فقلت لهـا واستعجلتني بوادر … من الشوق ما أبقت علي ولا ليـا
شهـادة حق أشهـد الله انني … سلوت ولكن قد أراني بدائيا [٢]

وقال في الغزل [٣] :

يا شادنا جرد من لحظـه … سيفا فلم يبق به حيـا
أردد علي القلب من قبل ان … يعلم خلق بيننا شيـا
وقـل لعينيك ترد الذي … قد سرقت من نوم عينيـا

---

(١) أماط : رفع وازال وأبعد .

(٢) بدالي : أي نشأ لي رأي جديد ، وتغير رأيي عما كان عليه ، يريد الشاعر انه رجع عن سلوه وعاد إلى هواه وغرامه . وفي ت « شكوت » مكان « سلوت » .

(٣) هذه القطعة لم ترد في اصول الأعظمي . وقد اثبتناها عن نسخة (ل) .

نسخ الديوان

اولاً – النسخ التي رجع اليها المؤلف وكانت محفوظة في مكتبته الخصوصية بالهند قبل قيام الباكستان وهي كما جاء في وصفه لها :

(١) نسخة مدرسة الحكمية بالهند ، لا يعلم تاريخ نسخها ولا ناسخها ، وقد رمز لها بالحرف (ح) .

(٢) نسخة قديمة جداً ، ولكن تاريخ الكتاب واسم الكاتب غير مذكورين. وقد رمز لها بالحرف (ب) .

(٣) نسخة قديمة جداً ، ولكن تاريخ الكتاب واسم الكاتب غير مذكورين. وقد رمز لها بالحرف (د) .

(٤) نسخة صحيحة كتبت في ١٥ من صفر ١١٩٩ هـ وقد رمز لها بالحرف (و) .

(٥) نسخة كتبت في اليوم التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ هـ ، وقد رمز لها بالحرف (ز) .

(٦) مختارات قديمة عثر عليها في مكتبة ليدن ، وهي غير مؤرخة ، وقد رمز لها بالحرف (ل) .

(٧) بعض قصائد الديوان الواردة في كتاب « عيون الأخبار للداعي ادريس عماد الدين اليماني » (نسخة مخطوطة خاصة) ، وهي القصائد الخاصة بالتاريخ ، وقد رمز لها بالحرف (ع) .

(٨) الأشعار المنتشرة في كتب الأدب والتاريخ المنشورة والمخطوطة ، وقد رمز لها بالحرف (م) .

النسخة التي رمز لها بحرف (ل) وهي نسخة مصورة عن نسخة في ليدن تحتوي ١٧٩ لوحة ، ومتوسط ما في الصفحة ١٧ سطراً ، وعدد ما فيهـا من المقطوعات الشعرية ٤٩٩ ، ولم يدون تاريخ كتابتها ، وبأول صفحة فيها تملك تاريخه ١١٧٢ هـ ، وهي في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٦٠٢٥ ز .

ثانياً - النسخ التي حصلت عليها دار الكتب المصرية بالقاهرة :

(١) نسخة تقع في ٤٤٣ صفحة ، في كل صفحة ١٥ سطراً ، وقد كتبت بالمداد الأسود ، وعناوينها بالمداد الأحمر ، وترتيب قصائدها يخالف ترتيب سائر النسخ ، فانها رتبت على ترتيب فنون الشعر ، ثم رتب كل فن من هذه الفنون على حساب ابجدية القوافي ، إلا في مطولات القصائد ، فان الناسخ قد جعلها في الباب الأول ، ويكثر فيها الخرم في الباب المشار اليه ، وقد ورد في الصفحة الأولى من هذه النسخة ما نصه :

« ديوان الأمير تميم المجموع على أبواب الشعر » .

كما ورد في آخر تلك النسخة بالمداد الأحمر ما نصه :

« هذا ما وجد من أشعار الامير تميم بن المعز لدين الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المنتظرين إلى يوم الدين ، المنقول من النسختين القديمتين تاماً ، ووقع الفراغ من انتساخه في اليوم الأول من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٧٢ من هجرة النبي صلوات الله عليه وعلى اله » . ويرى الدكتور محمد كامل حسين انها يمنية نقلت إلى الهند ، وقد رمز لهـا بحرفي (هـ ، لك) ، وكانت هذه النسخة مملوكة له ، ثم تفضل فأهداها لدار الكتب المصرية ، وأضيفت إلى رصيدها برقم ٢٥٧٠٩ ز .

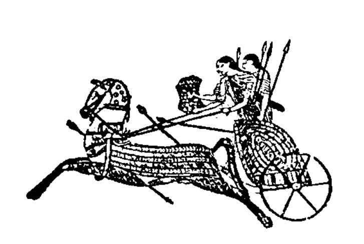
(ب) نسخة خطية ، يبدو انها حديثة ، وقد كتبت في الهند بالمداد

الأسود ، وكثيرة الاخطاء الاملائية والسقط واخلاط الشعر بعضه ببعض ، وتقع في ٣٣٥ صفحة ، في كل صفحة ١٧ سطراً ، مرتبة حسب ابجدية القوافي .

وقد ورد في الصفحة الاولى منها ما نصه :

« ديوان الامير الفخيم (كذا) المسمى بتميم بن المعز لدين الله صلوات الله عليهم ... الخ .. وأوصل هذه النسخة عن نسخة محفوظة بمكتبة رامبور بالهند ، وقد وصلت للدكتور محمد كامل حسين عن طريق الاستاذ ايفانوف ، وقد رمز لها بحرف (ف) .

(ج) نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٣٦٤ ز وهي منقولة عن نسخة محفوظة بخزانة داعي الله الأمين سيدنا ومولانا عبدالله بدرالدين سلطان بهرة ، ولم يذكر ناسخها ولا تاريخ نسخها ، وقد رمز لها بحرف (ت) .



« تعليقات وموضوعات فاطمية »

شاء الاستاذ الأمير عارف تامر ان يضيف هذه التعليقات الى كتاب عبقرية الفاطميين فجاءت مكملة له في موضوعه وقد ألقت أضواءً جديدة على ناحية مجهولة في أدبنا وتاريخنا ، فنشكر للاستاذ الأمير عارف تامر جهوده .

* * *

ان صفحات التاريخ لتدل على اهتمام المسلمين حكومة وشعباً بالمكتبات التي اسست قوائمها في مختلف العهود التاريخية الاسلامية ، وكيف كان ارتقاؤها بعد، وكيف كان انحطاطها فيما بعد .

اهتم الاسلام بالمكتبات دائماً اهتماماً كلياً ، والتاريخ يشهد أن أعظم خزائن الكتب في الاسلام ثلاث خزائن : أولها خزانة الامويين بالاندلس ، ثانيها خزانة العباسيين ببغداد ، وثالثها خزانة الفاطميين بالقاهرة ، فهذه الخزائن في الاسلام عديمة المثال ، لا نجد واحدة من الخزائن يفوق على بهاء هذه الخزائن وبهجتها ، وكانت أعلامها مترفرفة في جميع البلاد الاسلامية وكانت أصولها ثابتة وقوانينها مضبوطة ، لا سيما ان الخلفاء كانوا يشتاقون ويهتمون بنشر الثقافة ، فكانوا يؤسسون مراكز ومكتبات لكي يعم ضياء التعليم فتمحى آثار الجهالة عن قلوب الناس .

ومما لا شك فيه أن العصر الفاطمي كان أشهر العصور الاسلامية فيما يتعلق

بنشر الثقافة الاسلامية والعربية والعلوم الاخرى وتأسيس المعاهد التعليمية في مختلف أرجاء الدولة الفاطمية ولقد أقاموا مكتبات كثيرة تعد المراكز الكبيرة كانت تجمع فيها خزائن الكتب الحجة ، فهذه الكتب لا تتعلق بالمذهب الفاطمي فحسب بل تتعلق بالعلوم المتفرقة المتنوعة من الفلسفة والنجوم والهندسة والمنطق والرياضيات والطبيعيات والالهيات فهذه العلوم كلها كانت مطوية في مكتبات الفاطميين .

ولا غرو فان جميع المكتبات المختلفة كانت لها أهمية خطيرة ، ولكن مكتبة الفاطميين في مصر رجحت في المقابلة للمكتبة الاسبانية .

بلغت الثقافة في عصر المعز الفاطمي أعلى مبلغها ولا سيما في الثقافة التي تتصل بالدعوة الاسلامية كالفقه والتفسير ، ونبغ في عهده علماء أفذاذ وشعراء وأدباء وشارك المعز الفاطمي في هذه النهضة العلمية بحظ أوفر ونصيب اكثر .

ولا غرو فقد ازدهرت العلوم الاسلامية في القرن الرابع الهجري ورفع البويهيون والحمدانيون لواءها في الشرق كما ساهم الامويون بالاندلس في هذه النهضة .

ولم يكن الفاطميون أقل شأناً في هذا السبيل فقد اشتهر المنصور الفاطمي بسعة الاطلاع ، ولم تشغله مهمة الخلافة عن البحث والتأليف بل انه كثيراً ما كان يحث على ابنه المعز ، أن يتوفر على الدرس ويؤلف الكتب ، وكانت مكتبة المعز بالمنصورية ثم بالقاهرة زاخرة بالكتب وبما تحويه من المعلومات العامة وكانت هذه الخزانة الفاطمية ثالثة الخزائن في الاسلام التي اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها .

كذلك لم يكن الوزراء الفاطميون أقل حماسة في اقتناء الكتب والحصول عليها من الخلفاء وزملائهم في ديار اخرى فقد كان الوزير يعقوب بن كلس يبحث على العلم ويجمع بداره العلماء كما تقدم . وكان في داره قوم ينسخون القرآن الكريم وآخرون ينسخون كتب الحديث والفقه والأدب والطب . ثم يقارنونها ويشكلونها

وينقطونها ، وقد خلف برجوان استاذ الحاكم من الكتب ما لا حصر له ، كما كان للمشير بن فاتك — وهو من أمراء مصر — خزائن عظيمة .

وكانت هذه الخزانة الفاطمية ثالثة الخزائن في الاسلام التي اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها وأهميتها الكبرى .

أما أولى هذه الخزائن فهو بيت الحكمة العباسي ببغداد ، وقد أسسه هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣ هـ) وجمع من الكتب ما لا يحصى كثرة ، ولم يزل على ذلك الى ان استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ فذهبت هذه الخزانة العباسية فيما ذهب وذهبت معالمها وعفت آثارها .

أما الخزانة الثانية فهي خزانة خلفاء بني أمية بالاندلس ، وكان منشؤها الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠–٣٦٦ هـ ، فقد كان محباً للعلم ، جماعاً للكتب على انواعها ، فأنشأ في قرطبة هذه الخزانة وجمع فيها الكتب من جميع أنحاء العالم ، فكان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الاموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بني العباس في اقتناء الكتب وتقريب العلماء والكتاب اليه وقد اجتمع له من الكتب عدد عظيم ، فكان مجموع ما حوته تلك المكتبة أربعمائة الف مجلد .

على ان هاتين الخزانتين لم تصلا في عظمتها وجلالها إلى مبلغ ما وصلت اليه خزانة الفاطميين . وقد وصفها المقريزي بأنها كانت من عجائب الدنيا ، وانه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها ، وانها اشتملت على مليون وستمائة الف كتاب ، وكان فيها من الخطوط أشياء كثيرة .

على انه مما يدعو إلى الاسف حقاً ان تتلاشى أغلب هذه المجلدات التي امتلأت بها خزائن القصور الفاطمية الزاهرة في غضون الشدة العظمى التي حفت بالبلاد سنين طويلة في عهد المستنصر الفاطمي ، فقد نزع من هذه المكتبة ما يقرب من الفين وأربعمائة ختمة مكتوبة عليها بماء الذهب والفضه ، أخذها الأتراك لهم من الارزاق .

هذا بالاضافة إلى ما ذهب اليه المقريزي من ان عدداً غير قليل من الكتب الجليلة وقد اتخذ بعض العبيد والاماء من جلودهـا نعالاً وأحذية . ثم أحرقوا أوراقها زعماً منهم انها تحوي كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم وان عدداً آخر كبيراً من الكتب أغرق وأتلف ، وما بقي أتت عليـه الرياح والتراب فصار تلالاً عرفت « بتلال الكتب » .

ولكن رغم هذه المحنة التي حاقت بكثير من الكتب الفاطمية ، فان الفاطميين سرعان ما عوضوا عما فقدوه منها ، واستطاعوا ان يكونوا لهم خزانة عظيمة في عصر العاضد الفاطمي آخر خلفائهم ، وقد بيعت هذه الكتب التي غصت بها خزانة الفاطميين عندما استولى صلاح الدين الأيوبي على القصور الفاطمية الزاهرة ، واستغرق في بيعها عدة أعوام ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على كثرتها وغزارتها .

واستطاع الفاطميون لعنايتهم بها وحرصهم على اقتناء المجلدات النادرة ان يبذوا غيرهم من اصحاب المكاتيب في البلدان الاسلامية الاخرى ، بيد اننا نأسف لضياع بعض هذه المجاميع القيمة من الكتب النادرة في الشدة العظمى وضياع الجانب الآخر .

وكذلك أتلفت المكتبات الكثيرة وأحرقت ، كما ان « هلاكو » في سنة ٦٥٦ أباد المكتبة التي بناها السيد مرتضى ببغداد ، وأغرقت تلك الكتب التي حوتها بغداد في نهر دجلة ، وبلغ عددها ستمائة الف كتاب .

وقيل انه استعمل تلك الكتب مكان التبن وبنى بها اصطبل الخيول. وروى المؤرخ الهندي شبلي نعماني ان بعض المؤرخين في بغداد يقول ان التتار أغرقوا تلك الكتب حتى اسود ماء نهر دجلة بمداد تلك الكتب ، وما ظلموا على المكتبات البغدادية فقط بل وصلوا الى تركستان وما وراء النهر وخراسان وبلاد جبل فارس والعراق والشام ، وأبادوا الاعلام الاسلامية العلمية من المكتبات .

وفي سنة ٥٠٢ هـ احتل المسيحيون طرابلس الشام فأحرقوا جميع مكتباتها ولاسيما مكتبات مصر والشام واسبانيا ، وممالك اسلامية في الحرب الصليبية .

أحرقت مكتبة طرابلس الشام بأمر كاؤنت بري سينت جيل وكانت المكتبة تحوي أكثر من ثلاث مائة الف كتاب .

كذلك أحرق كاردنل دي ميش ثمانين الف كتاب في يوم واحد .

وكذلك بنى القاضي ابن عمار المكتبة العالية في طرابلس الشام واشتملت تلك المكتبة على مائة الف كتاب ؛ لكن أحرقت تلك المكتبـة في الحرب الصليبية .

كذلك أحرقت المكتبة العمومية في بغداد في محل كرخ أقامها ابو نصر وزير بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ واشتملت تلك المكتبة على عشرة آلاف كتاب يقول ياقوت الحموي : « رأيت جميع المكتبات الاسلامية ولكنما رأيت أحسن منها . وذكر المؤرخون هذه المكتبة بدار العلم » لكن أحرقت بأمر القائد طغرل بيك السلجوقي حين قدومه في بغداد .

نتأسف أشد الأسف على ضياع تلك المكتبات الاسلامية ، فأي شيء دعى المفسدين الى احراق تلك المكتبات العظيمة القدر ، وما أحرقت تلك المكتبات بل أحرقت قلوب المؤرخين المصنفين المشهورين ، اذ تركوا قلوبهم منطوية في غضون أوراق تلك الكتب . فلولا أن أحرقت تلك المكتبات لكانت لنا ثروة اسلامية وأي ثروة . . . .

المغمورون في التاريخ

أبو يعقوب اسحاق السجتاني

— السجزي —

يعتبر « أبو يعقوب اسحاق السجتاني أو السجزي » في طليعة العلمــاء الذين جاهدوا وعملوا وكرسوا أنفسهم لوضع قواعد فلسفة كونية عالمية قائمة على دعائم فكرية عقائدية وأسس علمية متينة وعلى ركائز ثابتة الاركان لا تتزعزع مهما طرأ عليها من أزمات . بل هو في الواقع من الذين ضحوا بكل ما يملكون في سبيل نشرها وتعميمها في الأقطار الأخرى حتى اتهم اخيراً بالكفر والإلحاد من الجمهور المحافظ ، ثم قتل أخيراً في سبيل عقيدته . وإننا إذا ما أردنا بيان حياة هـذا الفيلسوف الكبير فنقول : انه لعب دوراً هاماً في ميدان الفلسفة ، وأدى أجلّ الخدمات الفكرية في المجال العلمي ، ونذهب الى أبعد من ذلك لنقول انه عميد مدرسة الدعوة الاسماعيلية الفكرية في القرن الثالث للهجرة ، وقد ظهر أثره الفكري في تلميذه (احمد حميد الدين الكرماني حجة العراقين) الذي سار على منهاجه ، ودعا الى تعاليمه والانتهال من فيض ينابيعه واذا علمنا أن الكرماني درس الفلسفة على السجستاني أمكننا وضع السجستاني في المرتبـــة الأولى بين المفكرين المسلمين وعلماء فلاسفة العالم المشهورين .

عاصر الدعوة الإسماعيلية الباطنية في عصر الظهور ، أي ابان ازدهار الدولة الفاطمية وظهورها كدولة إسلامية ذات كيان حضاري وعلمي واجتماعي وسياسي وبالرغم من أنه عاش في بلاد يتمذهب اهلها بمذهب يختلف عن مذهبه فقد كان مجبراً أن يتخذ « التقية » ستاراً له ويحذر أشد الحذر في حركاته ودعواته ولهذا السبب جاءت حياته غامضة بعض الغموض . وقد لا نكون ملومين إذا كنا لم نستطع الوصول إلى معرفة سيرة حياته معرفة تامة أو نتصل بكل شيء عنها ، ومن جهة ثانية فإنه لم يصل الينا الشيء الكثير عن الداعي الكبير النسفي غير ما ذكره المؤرخون عن جهوده واتصاله (بنصر بن أحمد الساماني) في بلاد ما وراء النهر إلى أن اعتنق الساماني الدعوة الاسماعيلية ، كما أننا لا نعلم شيئاً كثيراً عن أبي حاتم الرازي العالم اللغوي الأجل وصاحب أقوم سفر في علم اللغة العربية وهو كتاب « الزينة » وعن (حجة العراقين) أحمد حميد الدين الكرماني بالرغم من وصول أكثر مؤلفاته وآثاره إلينا ، ولو لم يكتب المؤيد في الدين (هبة الله الشيرازي) صديق ومناظر (أبو العلاء المعري) سيرته بيده لما تسنى لنا ان نعرف شيئاً عنه ، وهكذا نقول عن غموض حياة كبار رجال الدعوة الاسماعيلية وشيوخهم من الحجج ودعاة الجزائر في سوريا وإيران واليمن وغيرها ، فإن حياتهم غامضة أشد الغموض ، كما أن كتبهم التي دونوا فيها سير حياتهم قد فقدت ولم يبق لها أي أثر .

ينسب إلى « سجستان » وهي مقاطعة في جنوب (خراسان) من أسرة فارسية قيل انها اسرة بطل الفرس (رستم) وهناك من يقول انه من أصل عربي جاء جده من الكوفة واستوطن سجستان . يزعم بعض الباحثين الذين عالجوا فلسفته أنه مات سنة ٣٣١ هـ ، ولكن هذا الرأي لا يتفق والواقع التاريخي فالمعروف عن السجستاني أنه كان معلماً للكرماني والكرماني ظل حياً حتى سنة ٤١١ هـ ، إذن متى أخذ الكرماني عنه علوم الدعوة الفلسفية ؟ وهناك نص صريح في كتاب «الافتخار» للسجستاني نفسه يذكر فيه انه وضعه سنة ٣٦٠هـ ، وقد ورد ذكر كتاب الافتخار في كتاب « الرياض » للكرماني أي انه كان

داعياً في مقاطعة (بخارى) بعهد خلافة الإمام المعز لدين الله الفاطمي ومعنى هذا انه كان معاصراً للداعي الكبير « جعفر بن منصور اليمني » وللفقيه العلامة « القاضي النعمان بن محمد بن حيون المغربي التميمي » قاضي الدولة الفاطمية ولغيرهما من كبار المؤلفين وعلماء الدعوة في ذلك العصر الذهبي العلمي الزاهر ، وليس أدل على قيمة السجستاني العلمية من كتبه ومؤلفاته التي تركها بعده وهي موضوعة باللغة العربية وقسم ضئيل منها وضعه باللغة الفارسية وقد ذكرها (اسماعيل بن عبد الرسول بن مطاخان الأبيني) المتوفي سنة ١١٨٣ في المجموعة وفهرست الكتب وقد أشار إليها « البيروني » في كتبه كما ذكرها البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) .

ترك السجستاني بعده كما قلنا مؤلفات علمية غزيرة تعتبر من أقوم ما كتب في الفلسفة ويبلغ عددها ما ينوف على الثلاثين ، ولعل أشهر كتبه « إثبات النبوات » و « كشف المحجوب »(١) و « تحفة المستجيبين »(٢) و « الينابيع »(٣) وهذا الكتاب قسمه إلى أربعين ينبوع فأصبح بعد هذا من الكتب التي قلما يوجد ما يفوقه عمقاً وترتيباً ويظهر انه قد وضعه لطبقة خاصة من الدعاة وأصحاب المراتب العليا في الدعوة ، وإلى الذين وصلوا في دراساتهم الفلسفية الى الذروة ، وأما سبب تقسيمه الكتاب الى أربعين ينبوع فيعود الى رغبته في جعل كل ينبوع بحد من الحدود الأربعين الذين يشكلون المجلس الأعلى للدعوة .

ومن كتبه ايضاً وقد أتى على ذكرها الرحالة الكبير والشاعر الفارسي الشهير (ناصر خسرو) بكتابه زاد المسافرين :

أسس الدعوة ، وتأويل الشرائع ، وسوسن النعم أو سوسن البقاء ، والرسالة

---

(١) حقق هذا الكتاب ونشره في طهران المستشرق هنري كوربان .

(٢) حقق هذه الرسالة « عارف تامر » وضمها الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » .

(٣) حقق هذا الكتاب « عارف تامر والمستشرق هنري كوربان » وضماه الى كتاب « ثلاث رسائل اسماعيلية » .

الباهرة ، وكتاب الافتخار ، والموازين وهو مقسم الى تسعة عشر ميزاناً ، وسلم النجاة ، والنصرة ، وقد وضعه في الدفاع عن النخشبي لما هاجمه أبو حاتم الرازي وعندما جاء الكرماني ألف كتابه الرياض وجعله لتقريب وجهات النظر ، وله كتاب : المقاليد في معنى الاسر ، ومسليات الاحزان ، وأسرار المعاد، والمواعظ في الأخلاق ، والغريب في معنى الإكسير ، ومؤنس القلوب ، وتأليف الأرواح ، والأمن من الحيرة ، وخزائن الأدلة والبرهان .

وفي هذه السطور نوجز آراء السجستاني في الإلهيات كما عبر عنها في أكثر مؤلفاته فهو يعتقد :

إن مبدع المبدعات خالق قديم وعال وعريق في إيجاد الأولية ، وإن عالم الموجودات والمبدعات محدث لأنه إذا كان غير محدث فيجب ان يكون شيء سابق له قد أحدثه ، ولو كان العالم قديما قبل الخالق لاستحال تعلق جبروته بالقدم ووجوده بالعدم ولاقتضى موجداً أوجده وهو المتعالي عن درك الصفات فلا ينال بحس ولا يقع تحت نظر ولا تدركه الابصار ولا ينعت بجنس ولا يخطر في الظنون ولا تراه العيون ولا يوصف بالحواس ولا يدرك بالقياس ولا يشبه بالناس ، فهو المنزه عن ضد مناف أو ند مكاف أو شبه شيء ، تعالى عن شبه المحدودين ، وتحيرت الأوهام في نعت جبروته ، وقصرت الأفهام عن صفة ملكوته ، وكلت الأبصار عن إدراك عظمته ، ليس له مثل ولا شبه ، وهو غير ذي ند وغير ذي ضد لأن الضد إنما يضاده مناف دل على هويته بخلقه وآثاره على أسمائه بأنبيائه ، فليس للعقل في نيل سمائه مجال أو تشبيه إذ أن تشبيه المبدع بمبدعه محال ، فهو سبب كل موجود لانه مبدع المبدعات ومخترع المخترعات وسبب كون الكائنات ورب كل شيء وخالقه ومتممه ومبلغه إلى أفضل الأحوال، جل أن يحده تفكير أو يحيط به تقدير ليس له أسماء لأن الأسماء وضعت لموجوداته ولا صفات لأن الصفات من أيسياته ، وإن حروف اللغة لا يمكن ان تؤدي الى لفظ اسمه أو أن يطلق عليه شيئاً منها لأنها جميعاً من مخترعاته ، وإن كل الاسماء التي أبدعها جعلها أسماء لمبدعاته . فهو قديم وقبل الأزل ، وصاحب

مصدر الأولية بالترتيب ، لأن الحد الأول انبثق منه والموجود الأول فاض عنه ، وهو مبدع المبدعات ومعل العلل وباري البرايا والدائم الموجود المعروف بفرديته وصمدانيته وصاحب فعل الايجاد الأول للعدد الأول الذي جعله أصلاً للأعداد ، كما أن العقل جعله أصلاً للموجودات ، والناطق أصلاً لعالم الدين ويضاف إلى كل هذا بأنه لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه ليس جسماً ولا هو في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به حاس ، وهو ليس بصورة ولا بمادة ولا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب به عنه ؛ وهو موجود لأنه لا يصح ان يكون غير موجود ، ولا ان يكون موجوداً من نوع الموجودات التي وجدت عنه ، وأما الاستدلال عليه فيستخلص من وجود الموجودات الأخرى وذلك بان لا معلول بدون علة ولا موجود إلا بما يوجب وجوده ، وان الموجودات يستند بعضها الى بعض في وجوده ، وأن بعض الذي يستند إليه البعض الآخر أيضاً من الموجودات غير ثابت في الوجود وغير موجود .

وبعد ذلك ينتقل السجستاني إلى الموجودات بالتسلسل والترتيب فيقول :

إن المبدع لم يوجد في اول الحلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ، ويضاف إلى العقل اسم (القلم) لأن بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء ، ويقال للعقل (العرش) أي إنه مقراً لمن جلس عليه ويجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه ، ويقال للعقل (الأول) ومعناه أن الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه أسبوع لقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحاده بها وهي العلم والأمر اللذين هما بمعنى واحد ، وقد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ، ولم توجد هذه الفضيلة في موجود سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة أفعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ، ويقال للعقل القضاء على أن بالعقل تقضي النفس إدراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ، ويجوز على ان العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ، ويقال للعقل أيضاً (الهيولى) فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور ، ويقال للعقل الشمس ومعناه إن بالعقل تبصر

الحقائق ، ثم إن النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وإنما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر نفسها قوام الحلقة ، ويقال للنفس (اللوح) فمعناه إن الذي انفطر من العقل من أنوار الحكمة ينسطر في النفس ، ومن النفس يتصل بجريانها المنبعث منها على مقدار صفائها ولطافتها ؛ ويقال للنفس الملك ومعنى ذلك أن النفس هي ملك العقل وقينه لأن بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما أن بالملك تظهر فضيلة الملك ، ويقال للنفس (التالي) فمعناه أن الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة انما هي النفس ، ويجوز على أن النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ، ويقال للنفس (القدر) فمعناه إن الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فإن التقدير والتحديد محيطان به ، ويقال للنفس الصورة ومعنى ذلك أن النفس تصورت من جوهر العقل وضيائه وأنها متى همت أن تلحق به لتنزل منزلة محق نورها ، كما أن القمر يستفيد نوره من نور الشمس وإذا اجتمعا في المنزلة محقت نوره ، ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة (الأصلان) .

هذه بعض آراء السجستاني الفلسفية في الإلهيات عرضنا لها عرضاً وجيزاً ولعلها تعطي الدليل الواضح على اضطلاعه بالعلوم وعراقته بوضع النصوص بترتيب جذاب وتنسيق بديع وكم هو حري بالعلماء ورجال الفكر أن يتفرغوا لدراسة هذه الآثار المغمورة ، وإظهار هذه الكنوز الفلسفية من كهف تقيتها بعد أن مرت عليها قرون وهي مدفونة في طيات الازمنة وكهوف الاستتار .

احمد حميد الدين الكرماني

شخصية علمية خارقة يكتنف تاريخ حياتها الغموض ، وفيلسوف كبير عاش في عصر علمي زاهر ، وداعٍ جليل خط في صفحات الفكر أقوم البحوث وأعمق السطور ، وترك للأجيال عدداً من المؤلفات أقل ما يقال عنها إنها كنز

ثمين وتراث خالد .

يضع دعاة اليمن وعلماء الاسماعيلية أمام اسمه كلمة « سيدنا » مبالغة في تكريمه ، وتعظيماً لمكانته وقدره ، ويعتبره فلاسفة العالم الاسلامي أعظم عالم انتجته المدرسة الفكرية الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية . أما كتابه «راحة العقل » فهو من الكتب النادرة القيمة التي قلما يوجد بين كتب الفلاسفة المعاصرين أو الغابرين ما يعادله قوة ومتانة وعمقاً ، لذلك كان طلبه قليلا ورواجه بطيئاً محدوداً ومقتصراً على طبقة خاصة من العلماء الافذاذ والفلاسفة المتبحرين .

ذكره الداعي الاسماعيلي والمؤرخ اليمني الكبير ادريس عماد الدين في كتابه (عيون الاخبار) فقال :

« هو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا واستقام منارها ، وبه استبانت المشكلات وانفرجت المعضلات » .

ووصفه الداعي الاسماعيلي السوري نور الدين أحمد في كتابه « فصول وأخبار » فقال :

« لو ان الدعوة الاسماعيلية لم تنتج غير الكرماني لكفاها فخراً ومجداً ولكان ذلك كافياً » .

ظهر أثره وعظم شأنه في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وكان لقبه المشهور « حجة العراقين » أي انه كان مسؤولاً عن شؤون الدعوة الثقافية في فارس والعراق ، وفي القاهرة كان مركزه كمقام « حجة جزيرة » فهو أحد الحجج الاثني عشر المكلفين بادارة شؤون الدعوة الإمامية الاذاعية الفكرية في العالم ، ثم انه استخدم بعد ذلك كرئيس لدار الحكمة في القاهرة ، وهي المؤسسة الثقافية التي نستطيع ان نقول انها أول جامعة أنشئت في العالم .

وفد على القاهرة سنة ٤٠٨ ﻫ بناءً على طلب الصادق المأمون (اختكين الضيف) داعي دعاة الدولة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله عندما حميَ وطيس

المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة وراج سوق البدع التي كانت تهدف الى الغلو والقول بألوهيـة الحاكم بأمر الله ، فألقى الدروس والمحاضرات في دار الحكمة وقاوم الدعوات الجديدة التي تتنافى ومبادىء الفاطميين الأساسيـة ، ووضع كثيراً من البحوث والكتب أشهرها « الرسالة الواعظة » في الرد على الحسن الفرغاني القائل بتأليه الحاكم بأمر الله ، ورسالة «البشارات» و«المصابيح» وقد تمكن فيها من اثبات الإمامة كواقع كوني لا بد منه وذلك ببراهين معقولة وحجج دامغة جاءت زاخرة بالتعابير العبرية والسريانية والفارسيـة مأخوذة من كتب الانبياء النطقاء السماوية ، ثم انه اتخذ الآراء الافلاطونيـة اساساً لبحوثه فذكرها بمهارة لم يسبقه اليهـا أحد ، وقد جاءت جميعهـا كدعوةٍ عامة لتوطيد النظـام الفكري الفلسفي ورفع مستواه ، ومحو اي اثر للشك والجدل والارتياب والنقاش .

ومهما يكن من أمر ففي هذا البحث الوجيز لن أحـاول تقديم الفيلسوف الكرماني كداعٍ من دعاة الاسماعيلية الذين لعبوا دوراً هاماً في مجال الفكر على عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، أو من الفلاسفـة الذين خدموا الدعوة الفاطمية خدمات فكرية جلى ، بل أقدمه كفيلسوف من فلاسفة العـالم صال وجال على مسرح الفلسفة الكونية وعمل كل ما في وسعه لايجاد مدرسة فلسفية ترتكز على أسسٍ عقلية جديدة بالنسبة لعصره ، وعلى نظريات مبتكرة حديثة لها شأنها ، وعلى نظم فلسفيـة تطورية تنطبق على نظرية وحدة الوجود التي يقول فيها المعلم الثاني والشيخ الرئيس مع توسع بالشرح وخروج عن المنهاج العام الموضوع لدعاة الاسماعيليـة ومن قد سبقوه أو عاصروه وهم الذين كانوا مجبرين على السير وفق قواعد عامة مدروسة لا يمكن تخطيها او اجتياز حدودها . ومن الرجوع إلى مؤلفات الكرماني والتمعن في قراءتها ، وتحليل ما فيهـا نراه قد اعتنق النظرية القائلة بأن بين الموجودات تضاداً وتنافراً وانها محاولة من جانب بعضها لمحو البعض الآخر ، وان هذه الموجودات موجودة بالرغم من هذا التنافر وهذا التضاد ، كما انه لا يفقد شيء منها بوجود ضد وانما هي كلها تحت الوجود

محفوظة وكل هذا مطابق لنظرية المعلم الثاني بالإبداع التي يقول فيها : « حفظ ادامة وجود الشيء الذي ليس وجوداً لذاته ادامة لا تتصل بشيء من العلل غير ذات المبدع »[١] ويقول ابن سينا في سياق الكلام عن الممكن والواجب بغيره من الموجودات حديثاً يتبين من خلاله معنى دوام الوجود على الموجودات وذلك بقوله : « أما كون المعلول ممكن الوجود في نفسه واجب الوجود لغيره فليس يناقضُ كونه دائم الوجود بغيره »[٢]. ويكاد يقرب ما يذهب اليه الفلاسفة الثلاثة المعلم الثاني والشيخ الرئيس وحجة العراقين في هذا الصدد ما ذهب اليه في العصر الحديث الفيلسوف العالمي ديكارت الذي يقول : « إذ يوجد من الفعل الذي يحفظ الله به العالم وبين الفعل الذي خلقه به » ، وذلك فيما يعرف في فلسفته باسم نظرية « الخلق المستمر »[٣]. والحقيقة فان الكرماني قد شارك الفلاسفـة المسلمين وتأثر بالبعض منهم وخاصة القائلين بالفلسفة اليونانية وامتاز عنهم بأنه عندما عرض هذه الفلسفة اتسمت بحوثه بسمات الجدة والطرافـة والابتكار ، وكان اسبق إلى التجديد من الفلاسفة الأوروبيين المعاصرين والشرقيين الغابرين ، وعليه بالامكان القول ان الكرماني ترك مؤلفات وانتج افكاراً يجب ان لا ينظر اليها بوصفها آراء الاسماعيلية الفكريـة فحسب بل آراء فلسفة اسلامية عامـة ذات مستوى رفيع تبحث في جوهر الاشياء والنواحي العقلية العميقة بشكل ثابت متقن متين تتجلى فيها العبقرية والنبوغ.

أجل ... قال الكرماني بالنظم الافلاطونية الحديثة ، وبذل جميع جهوده في سبيل تطبيق بعض موادها باسلوبه الفلسفي الكلامي الجذاب . وعمل على اثبات أمر النبوة والامامة من الوجهتين الفلسفية والدينية ، وفي هذا نستطيع ان نقرنه بحجة الاسلام الغزالي في استخدامه نظم الفلاسفة لتأييـد التصوف والباطن ، وقد أيد النظرية القائلة بمبدأ التمسك بظاهر الشريعة تمسكاً يؤدي

---

(١) الفارابي – عيون المسائل . ص ٦
(٢) ابن سينا – الاشارات . ص ٢٤٠
(٣) ديكارت : مقال عن المنهج – القسم الخامس ، ومبادىء الفلسفة فقرة (٢١) .

إلى العبادة العلمية ، واقتصار هذه العبادة التي يدخل في ضمنها التأويل والكلام الفلسفي على الحـــدود والمأذونين الذين وصلوا إلى مستوىً عالٍ في الفلسفة والعلوم ، وكل هذه الظواهر نجدها إذا أمعنا النظر في « الرسالة الوضيئة » وفي « المصابيح في اثبات الإمامة » وفي « تنبيه الهادي والمستهدي » وفي « راحـة العقل » ، مضافاً إلى ذلك ان للكرماني فضلا كبيراً في تطور النظام الفكري ، والتوسع في الكلام النظري الخاص مع اضافة عناصر جديدة ، وتوسيع لبعض الموضوعات ووضع القواعد الاساسية للتفسير ، ومنع التناقض والتشابه وخاصة بموضوع «الإمامة» التي كانت تدور حولها آراء ونظريات غير مستقرة ولا ثابتة ، ولهذا فان كتابه «راحة العقل» قد حدد قواعدها وأصولها ومراتبها ومركزها ، ووضع لها القواعد والاسس والنظم والترتيب . وهذا الكتاب بالنسبة للفلسفة الاسماعيلية ، ككتاب « احيـاء علوم الدين » لدى الغزالي الذي قرّر وحدّد الاسس والأصول للتصوف الإسلامي .

لقد كان الكرماني مبرزاً في مذهب الدعوة للوجود وفي نفي الأيسيّـة والليسية والصفات عن الله نفياً مطلقاً ، ومذهب الدعوة في التوحيد ، ومذهب الدعوة في الاصلين الابداع والانبعـــاث والغلو الإمامي والافضلية بين الإمامة والنبوة ، وكل هــذا باسلوب منطقي علمي بحت ، ولم يقف عند هذا الحد بل جمع لأول مرة الأصلين الاولين ، العقل الفعال والنفس الكلية ، مع بيان العقول العشرة الافلاطونية التي ايدهــا المعلم الثاني وقد قابل وطابق بين عالم الابداع (وهو عالم العقول . او النفوس الروحاني) وبين العالم الجرماني (وهو عــالم الافلاك والكواكب) وبين العالم الجسماني (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ثم رسم لها المخططات الجغرافية والفلكية والأرضية والجسدية التي جـاءت غاية في الفن والإبداع ودلّت على براعة في التعبير ، وعلو كعب في الفلسفة .

ومن الرجوع إلى « راحة العقل » واستعراض ما جـاء فيه ، نراه قد زخر بتعابير وأدلة عن ابطال الايسية عن الله ، ونفي الصفات الالهية ، ومما قاله وأيده

قوله ان الله تعالى لاينال بصفة من الصفات ، وانه ليس جسماً ولا هو في جسم ، وانه لا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس ، وانه ليس بصورة أو مادة ولا ضد له ولا مثل ولا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه كما انه ليس له رتبة في الموجودات . وهذا يدل على مـا كان يمتاز به من إلمام واسع بأنواع العلوم لا سيما العقلية منهـا ، وفي هذا يوافق المعتزلة والمتكلمة ويتفق مع ابن رشد ، كما انه في موضوع ايجـاد « العلية » عن وجود الله نراه يتفق مع ديكارت ، وان كانا يختلفان بايراد التفاصيل وطريقة التعبير ، وكل هذا بالإضافة إلى بعض البحوث نراه يضمّـن حـلوله وافكاره بعض آراء الفلاسفة المتقدمـــين عليه والمعاصرين له كأفلاطون وأرسطو والكندي والفارابي وابن سينا. هذا ونلاحظ من الرجوع إلى ما كتبه الباقلاني والبغدادي والغزالي انهم قرروا ان الاسماعيلية بنفيهم الصفات يعتبرون « معطلة » ، ولكن الكرماني دفع هذه التهمة وقـال ان التعطيل الصريح انما يكون بأن يتوجه فعل حرف النفي «لا» نحو «الهوية» قصداً ، كأن يقال مثلاً «لا هو» و « لا اله» وليس هذا مما تقول به الاسماعيلية ، اذ ان النفي عندهم هو نفي الصفات وحدها ، وتوجيه فعل حرف النفي « لا » انما ينصب أمرهم على الصفات من دون الهوية . ومهما يكن من أمر فان الكرماني قد وجّه عناية خاصة في كتابه « الرياض » الى الحكم بين فيلسوفين هما ابو حاتم الرازي في كتابه «الاصلاح» ، وأبو يعقوب السجستاني في كتابه «النصرة » وذلك بسبب تنازعهما في آراء فلسفية وردت في كتاب « المحصول » للنسفي ، كما نراه من جهة أخرى يتوجه بكتابه «الأقوال الذهبية» إلى ما أهمله الداعي ابو حاتم الرازي في مناظرته للفيلسوف محمد بن زكريا الرازي فيما يتعلق في النبوة فيعلن رأيه الجريء بكتاب « الأقوال الذهبية في الطب النفساني » لمحمد بن زكريا الرازي . أما في كتابه « راحة العقل » فقد خالف جميع الفلاسفة والأدباء والمؤرخين والعلمـــاء وبدلاً من ان يقسم كتابه الى فصول وأبواب وأقسام كما فعل غيره من رجـــال الفكر والمؤلفين ، نراه قد شبه كتابه بمدينة محاطة بسبعة اسوار على كل داخل اليها ان يجتاز الاسوار السبعة ، ولكي يجتاز الاسوار السبعة عليه ان يواجه سبعة مشارع متفرعة عن كل سور ، إلا السور السابع والأخير المحيط بالمدينة فهذا له

اربعة عشر سوراً ، وإذا كنا هنا لا نتطرق الى شرح ما قسده الكرماني من اسواره ومشارعه مخافة التطويل ، فان هذا لا يمنعنا من القول والاعتراف بعلو باعه في الفلسفة ، وقوة تفكيره وفهمه العميق لجوهر الأشياء .

للكرماني عدد من المؤلفات نشر البعض منها أهمها الرسالة الدرية[1] ، رسالة النظم ، الرسالة الوضيئة ، الرسالة المضيئة ، الرسالة اللازمة ، الرسالة الحاوية ، الرسالة الواعظة ، الرسالة الكافية ، تنبيه الهادي والمستهدي ، معاصم الهدى ، الأقوال الذهبية ، فصل الخطاب وإبانة الحق المتجلي عن الارتياب ، الرياض ، رسالة المعاد ، رسالة الفهرست ، المقادير والحقائق ، رسالة التوحيد في المعاد ، تاج العقول ، ميزان العقل ، كتاب النقد والإلزام ، الكيل النفسي ، كتاب المقاييس ، المجالس البغدادية والبصرية ، رسالة الشعرى في الخواص ، راحة العقل[2] ، رسالة اسبوع دور الستر[3] .

وأخيراً فان الكرماني من الفلاسفة المغمورين في عالمنا الفلسفي ، وفي الواقع فإن دراسة مؤلفاته وانتاجه من الأهمية بمكان وهي تعطي صورة واضحة عن اثر الفلسفة في تاريخ الفكر بالنسبة للمهتمين بالدراسات الشرقية والفلسفة الاسلامية .

(١) تحقيق الدكتور محمد كامل حسين ،
(٢) تحقيق الدكتور مصطفى حلمي ومحمد كامل حسين ،
(٣) تحقيق عارف تامر .

الاسماعيلية في اليمن[1]

يعيش الأسماعيليون بمجموعات صغيرة مبعثرة في اليمن وان مركزهم الرئيسي هو بمقاطعة « نجران » التي كانت في عهد نبي المسلمين (محمد) (صلعم) مركزاً هاماً للمسيحية . ومنذ سنة ١٩٣٤ أصبحت هـذه المقاطعة تابعة للمملكة السعودية الحجازية وفي الشمال وادي (هبونه) مركز الداعي المطلق ويسمى اليوم عادة داعي قبائل «يام» لأن قبائل «يام» أصبحوا اليوم حملة لواء الاسماعيلية الاساسية في اليمن وتشمل ايضاً قبائل يام جماعات اسماعيلية اخرى وبالأخص القاطنين جبال « حرّاز » التي هي على الطريق بين حديدة وصنعاء بعد اجتياز منطقة السهول عبر الهضاب التي تمتد الى (حجيلة) البالغ ارتفاعها — ٦٥٥ — متراً عن سطح البحر ومن هناك تتصل بالوادي الضيق (برور) حتى تصل إلى ارتفاع (١٤٧٠) في المنطقة الوعرة وفي الجهة الشرقية الشمالية تعتبر مناطق « عثاره » الاسماعيلية حتى تصل إلى « مرّاغة » التي يبلغ ارتفاعها (٢٣٢٢) متراً عن سطح البحر ، ان بعض هذه القبائل الاسماعيلية من حراز تخضع إلى قبائل بني يام في نجران الذين ابعدوا السادة الزيديين ومن الملاحظ ان توزيع القبائل الاسماعيلية في اماكن ستراتيجية هامة في اليمن ممتزجين مع الزيديين الذين يشكلون الأكثرية جعلهم يلعبون دوراً سياسياً هاماً اثناء سيطرة القوى الاجنبية على اليمن وفي كل العصور وفي الجهة الشمالية الغربية من صنعاء وفي (ذي المرمر)

(1) Achronological list of the imams and Dais of the mustalien Ismaîlis (Fyzee) (J. B. B, R, A S. and « Kleinere Ismaîlitische Schriften - Von (R. Strothmann.)

المكان الذي كان اكثر من مرة مركزاً للداعي المطلق وخاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين وفي المكان المعروف « بياسريم » جنوبي صنعاء يوجد عدد من الاسماعيلية وهكذا يتجلى لنا بصورة قاطعة ان الاسماعيلية في اليمن هي بقايا تنظيمات منتشرة في كل مكان وقدكانت تدارمن قبل زعماء لهم دراستهم الاجتماعية والسياسية والثقافية الروحية بدرجة ممتازة .

بلغ عدد الاسماعيلية في اليمن ما يقارب المئةألف ، وفي نجران اي في المملكة العربية السعودية يوجد ما يقارب السبعون الفاً وجميعهم من الفرقة الاسماعيلية المستعلية (البهرة) بفرعيها الداؤدية والسليمانية .

ساهمت اليمن بالتأسيس السياسي الأول للاسماعيلية وتابعت السير على المنهج الفاطمي بصورة مستقلة وظلت هكذا حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية بدرجة ان هذا القطر كان الموضع الأول لانتشار الدعوة الثقافية والمكان الذي انتج دعاة اوجدوا للمكتبة الاسماعيلية العامة أنفس المؤلفات وأقومها ولا يزال للآن هذا القطر يحتفظ بجماعات اسماعيلية لها مرونتها الخاصة وتقاليدها العربية الاسلامية وثقافتها الفلسفية العريقة .

يعتبر عبد الله بن الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا الشيعي الكوفي وأخوه ابو العباس اللذان ادخلا الامام « محمد المهدي بالله » الى « رقاده » وعملوا على نشر المذهب الاسماعيلي في افريقيا الشمالية اول من ادخل التعاليم الاسماعيلية الى اليمن وجاء بعدهما « علي بن الفضل » « وأبي القاسم بن زادان بن حوشب » (جعفر بن منصور اليمن) وقد لعبا دوراً هاماً في اليمن وأسسا حكماً كبيراً فكان علي في « برج مذيخرا » في جنوب اليمن وجعفر في قلعة « المصوّر » في الشمال الغربي من صنعاء ، غير ان علي بن الفضل انفصل عن سيادة الفاطميين فيما بعد وأعلن استقلاله عنها فمات مسموماً سنة ٣٠٩ هـ وجاء ابنه يحاول السير على خطاه فأعدم مع اتباعه في حصن « مذيخرا » ، أما جعفر بن منصور فقد ظل أميناً ووفياً للفاطميين حتى أواخر حياته وبعد ذلك توالت الأحداث على القطر اليمني ، فحكم الصليحيون وبعد انقراض الدولة الفاطمية ظلت الاسماعيلية على

ما هي عليه ، جماعات قوية ذات معنوية مرهوبة الجانب الى يومنا هذا .

ينحدر علي بن محمد الصليحي وهو رأس اسرة الصليحيين من جبال حراز وكان قد اعتنق العقيدة الاسماعيلية بواسطة « الأمير عبد الله الزواحي » وبعد وفاته عين خلفاً له وأصبح المؤسس للدولة الاسماعيلية في اليمن ، وفي عام ٤٥٥ هـ فتح الصليحي عاصمة اليمن صنعاء وفرض سيادته على كافة امارات اليمن وعشائرها ، ومن سنة ٤٦١ الى ٥٣٢ حكمت اليمن السيدة الحرة زوجة وأرملة خلف المؤسس « أحمد المكرم » فكانت شبيهة بالملكة بلقيس ملكة سبأ او بالسيدة ست الملك التي انقذت المملكة الفاطمية بعد اختفاء الامام الفاطمي الحاكم بأمر الله برأيها السديد وذكائها النادر وقد ظل الانسجام قائماً بين البلاط الفاطمي واليمن حتى وفاة الامام المستنصر بالله الفاطمي وبعد ذلك سار القطر بأجمعه بركاب المستعلي ونجله الآمر بأحكام الله حتى آخرهم العاضد ومهما يكن من أمر فالاسماعيليين اليمانيين هم في الحقيقة سند الفاطميين وقد ظلوا محافظين على مجموعاتهم كشعوب قوية مرهوبة الجانب لأنهم ظلوا دائماً في معزل عن العمليات الحربية والسياسية وقد استقرت تنظيماتهم وسيادتهم في عشيرة « يام » بصورة خاصة ومما هو جدير بالتنويه ان داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي هو الأب الروحي لهذه المنظمة اليمنية ولدعاتها الأفذاذ وبالحقيقة فان اقليم اليمن هو القطر الشرقي الوحيد الذي كان محط انظار الفاطميين وموضع اهتمامهم هذا ويحدثنا أكثر من مؤرخ ان الفاطميين الذين كانوا يقيمون ببلدة (سلمية — سوريا) في القرن الهجري الثاني وما بعده كانوا يرغبون فياقامة دولتهم الفاطمية في اقليم اليمن ولكن أسباباً متعددة جعلتهم يتجهون الى بلاد المغرب فيقيمون دولتهم فيها بعد ان نشروا تعاليم دعوتهم في اليمن ومهدوا كافة الصعوبات التي كانت تعترض سيرها وهذه البذور التي غرسوها لم تلبث ان نمت وترعرعت ثم تطورت حتى وصلت الى مصاف الدول الشرقية الكبرى وفي عهد الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله بلغت الذروة واستقرت في الأوج واصبحت ذات شأن كبير .

علي بن محمد بن الوليد الانف العبشمي القرشي :

هو والد الحسين مؤلف رسالة (المبدأ والمعاد[1] كان يقيم في منطقة (حراز) وهو داعي اليمن الخامس وصاحب لقب « الأنف » مات عـام ٦١٢ هـ ومن المحتمل أن يكون هو مؤلف نصوص الفنوص التي تسمّى « تحفة الطـالب وأمنية الباحث الراغب » . كان كاتباً عظيماً غزير المادة وشاعراً من الملهمين . تقلد مراسيم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف اليها بعد وفاة الداعي علي بن حاتم الحامدي وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة الساميـة واليد الطولى . جده بن أبي سلمه سفير علي بن محمد الصليحي الى الحضرة المستنصريـة الشريفة . كان جده يلقب بالأنف لتقدمه على اضرابه تقدم المارن على الوجه . تحسنت الدعوة في عصره واتسقت امورها وتحسنت احوال اهلها واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بعض الملوك والزعماء في همذان وغيرها وكان الداعي علي بن حنظلة أبي سالم المحفوظي الوداعي الهمذاني من المعاضدين له . كانت وفـاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي في شهر شعبان سنة ٦١٢ وكان عمره قـد اوفى على التسعين اي ان ولادته كانت سنة ٥٢٢ هـ . مات وهو صحيح الحواس يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشتغل بالدرس والتدريس وكان يذب عن حمى الدعوة بنشاط ويكافح عنها بقلمه ولسانه وقد شارك الدعاة السابقين امثـال ابراهيم بن الحسين الحامدي والشيخ محمد بن طاهر الحـارثي والداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي فاضطلع بقسط وافر في وضع الاسس للحركة العلمية داخل منطقة الدعوة .

اشهر مؤلفاته

١ – دامغة الباطل وحتف المناضل (٢) ضياء الالباب المحتوي على المسائل والجواب (٣) الايضاح والتبين في كيفية تسلسل ولادة الجسم والدين (٤) جلاله العقول (٥) مختصر الأصول (٦) ملهمة الاذهان ومنبهـة الوسنان (٧) رسالة

(١) حقق هذه الرسالة ونشرها الاستاذ عارف تامر ضمن كتاب ثلاث رسائل اسماعيليـة منشورات المعهد الفرنسي طهران – ايران .

في معنى الاسم الأعظم (٨) لباب الفوائد وصفو العقائد في علم المبدأ والمعاد . (٩) مجالس الناس والبيان (١٠) الديوان (١١) لب المعـارف (١٢) تاج العقائد ومعدن الفوائد (١٣) الإيضاح والتفسير في معنى يوم النذير (١٤) تاج الحقائق (١٥) تحفة المرتاد وغصة الاضداد (١٦) جلاء العقول وزبدة المحصول (١٧) الرسالة المفيدة (١٨) ضياء الألباب المحتوي على المسائل والجواب (١٩) مجالس الفصح والبيان (٢٠) رسالة لب المعـارف (٢١) كتاب الذخيرة (٢٢) ملحقة الاذهان (٢٣) نظام الوجود في ترتيب الحدود .

أمّا شعره فعلى جانب عظيم من القوة والسمو وهـذه بعض مقاطع من قصيدة طويلة :

ما العمر ان طال للانسان او قصرا   نافع في غـدٍ او دافع ضررا
ولا حياة الفتى تُغني اذا هو لم   يكن بها قاضياً في دينـه وطرا
فأن يمت جاهلاً ما ذا أريد به   فبالحقيقـة في الدارين قد خسرا
لم يخلق المرء في الدنيـا ليجمع   من حطامها آكلاً منه ومدّخرا
وشـاغلاً فكره همّاً بـه ولما   يأتيك من غده من ذاك منتظرا
او ان يرى شرفاً يسمو به وعلا   اذا طغى او لأبنـا جنسه قهرا

ومنها :

فلينتبه كل ذي نفسٍ تريد لهـا   تخلصاً وليجـد في امره النظرا
ويتخـذ زاده التقوى لمرجعه   ليحرز الفوز في عقباه والظفرا
ويسأل العلم اهـل الذكر انهم   بين العباد وبين الخـالق السفرا
ويصفهم وده اجراً لجـدهم   مؤدياً فرض ما في الذكر قد ذكرا
وبالولا لأمام العصر نجلهم الزاكي   يكن ممسكاً منـه وثيق عُرا
اذ كل عصر به الطاعات واجبة   موصولة نصها في الذكر قد سُطرا
به نال الذي نرجو ونأمـله   والضد يهوي الى سجين منحدرا

ومنها :

والحي في الدين من تلقـاه منتهياً   في دينـه لأمام الحق مؤتمرا

كما يرى سائر الاعضاء مؤتمراً   للقلب في الشخص حتى الشعر والظفرا
شمس الشموس اذا اسرت أشعتها   الى الذوات اعادتها بلا صورا
كالشمس في الافق لا تنفكُ طالعة   ضياؤها يملأ الآفاق منتشرا
فإن يحل دونها ظل الغمام ترى الجرم المنير عن الابصار منسترا
من غير شك بأن الشمس باقية   ترى الى العالم التأثير كيف سرا
هذا كذلك في التمثيل متفق   فليفد معتبراً من كان معتبرا

ومنها :

يا آل طه انا العبد المقرُّ بأن   لا دين إلا لمن كنتم له امُرا
بحبكم تقبل الاعمال ان قُبلت   ويُغفر الذنب للعاصين ان غُفرا
ومن قلاكم ولم يعلق بحبكم   ففي غدٍ سوف يصلى راغماً سقرا
انا المقصّر في علمي وفي عملي   ارجو بحبكم تميم ما قصرا
أسلمت نفسي اليكم وهي خائفة   عظيم ذنب لها عن ذاتها صدرا
لكنها وثقت فيكم بكونكم   يوم الشفاعة في العقبى لها وزرا

ومن قصيدة أخرى له :

والمهلكات السبع فهي مزّملٍ   ثم البروج وطارق والخاشعة
ثم الضحى مع تين لأبلاء   واهلاك العدو مسارعه

ومن قصيدة أخرى له :

فاقصد إلى باب مولى ليس يرتتج   من أمة جاء يسعى نحوه الفرج
بنيةٍ لم يكن في سيرها عوج   يا صاحب الهمّ ان الهم منفرج
ابشر بخير فان الفارج الله

وان رمتك الليالي الهم بالندب   فاهتف بأحمد خير العجم والعرب
وبالوحي على كاشف الكرب   فكم حزين يبيت الليل في تعب
لا يصبح الصبح حتى فرّج الله

الشاعر تميم بن المعز الفاطمي

لقد أجمعت جميع المصادر التاريخية ، والادبية ، بأن حياة الشاعر الامير تميم ابن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، كانت تكتنفها ستور كثيفة من الغموض والكتمان ، بالرغم من انه كان ابن خليفة ، واخا خليفة من خلفاء الفاطميين ، وزادت المصادر فقالت : ان اكثر شعره جاء في مدح ابيه ، واخيه، ذكر ذلك : الثعالبي في اليتيمة ، والباخرزي في الدمية، وابن خلكان في الوفيات ،وياقوت في معجم الادباء، وابن فضل الله في المسالك ، والمقريزي في الخطط ، والسيوطي في حسن المحاضرة .

عرف تميم بأنه من الشعراء الامراء الذي يقرن بالشاعر العباسي ابن المعتز ، فكلاهما امير ، وكلاهما شاعر وجداني رقيق حلق في اجواء الشعر ، وغرد على أفنانه ، وسكب خواطره وشعوره ألحاناً عذبة .. كلاهما كان له ولوع بالتشبيهات ، والاستعارات ، والوصف الجميل ، والغزل البديع ، حتى ان بين القدماء من كان يقول : (ان الامير تميماً كان يحتذي حذو ابن المعتز وينهج نهجه) وقال ابن الفضل العمري في كتاب مسالك الابصار : (تشبه تميم بابن عمه ابن المعتز وتشبث بذيله) وقال ابن الاباء في كتاب الحلة السيراء : (شاعر اهل بيت العبيديين [1] غير منازع ، ولا مدافع ، وكان فيهم كابن المعتز في بني العباس ، غزارة علم ، ومعاناة ادب ، وحسن تشبيه ، وابداع تخييل ، وكان

(١) العبيديين : نسبة الى محمد المهدي الملقب (عبيد الله) وهو جد الاسرة الفاطمية التي حكمت المغرب ومصر ومحمد المهدي من مواليد سلمية – سوريا

يقتفي آثاره ، ويصوغ على مناحيه في اشعاره .

ولد الامير تميم ابن الامام المعز بن المنصور بن القائم بن محمد المهدي (عبيد الله) في مدينة المهدية بتونس، وهي المدينة التي بناها جده محمد المهدي ، واتخذها عاصمة له سنة ٣٠٨ هـ. عندما جاء الى المغرب من بلدة سلمية — سوريا اثر انشقاق القرامطة ، وتضييق العباسيين الحصار عليه ، وقد ظل مقيماً فيها هو وآل بيته وكبار رجال شيعته ، إلى أن بنى المنصور مدينة المنصورية سنة ٣٣٧ هـ. بعد نجاحه في اخماد الثورات التي كانت ضد حكمه ، إذن فتكون ولادة تميم في عهد خلافة جده المنصور ، ومن الطريف ان اباه المعز كان يكنى بأبي تميم ولما يولد تميم بعد .

وصم الامير تميم بنواحي خلقية في حياته ، وخرج عن قاعدة الآداب العامة المفروض فيه اتباعها باعتباره ولياً لعهد الخلافة الفاطمية ، وهذه من الاسباب التي جعلت أباه المعز لدين الله بما عرف عنه من حصافة الرأي وبعد النظر ان يصرف عن تميم ولاية العهد ويجعلها في ابنه الثاني عبد الله وعندما توفي هذا الاخير وهو في شرخ الشباب عهد بها إلى ولده الثالث نزار الملقب بالعزيز .

قدم الامير تميم إلى مصر من المغرب وهو في الخامسة والعشرين وسكن القصر الكبير في القاهرة ، ويظهر ان المعز لدين الله كان شديد الحرص على الا يعهد إلى تميم بأي عمل او يوليه أي منصب في الدولة ، بعد انصرافه الكلي العلني الى اللهو والشراب ، والمجون ، وعندما مات أخوه الاكبر الامير عبد الله بكاه بقصيدة تعتبر من عيون الشعر أظهر فيها عاطفته الحزينة ، ولوعته المشبوبة على فقده مطلعها :

كل حي إلى الفناء يصير   والليالي تعلة وغرور

وتطلع الناس إلى الامير تميم مرة أخرى ، يأملون ان يكون ولياً للعهد ولكن المعز صرفها مرة ثانية عنه، وجعلها في ابنه الاصغر نزار (العزيز) كما قلنا فاستسلم تميم إلى حكم الله الذي حرمه الملك، بعد ان كان مقبلاً عليه ، ولم يسمع بعد

عن فتنة دبرها ، أو معصية بدرت منه ضد أخيه ، بل بالعكس كان يمدحه بالرغم من انه أصغر منه سناً ، ويتجلى في مديحه الخضوع ، والوفاء ، والعاطفة الصادقة ، مما جعل أخاه يهبه ، ويعطيه ، ويجعل له القصور والبساتين .

هكذا كانت صلة الاخ الخليفة بأخيه الاكبر، ولكن هذا الصفاء كانت تشوبه بعض فترات تسرب منها الوشاة بالوقيعة ، فأخذ الشاعر يرسل إلى الخليفة مقطوعات ذكرت في ديوانه ، يذكر هؤلاء الوشاة الساعين بالشر ، ويذكره باخوتهما ، وبراءته مما يقول الواشون ، وكل هذا لم يجد نفعاً ، فاضطر العزيز ان ينفي تميم الى الرملة في فلسطين. وفي ديوانه تتجلى الشكوى من الغربة ، والفراق ، والاقامة في الرملة ، والحنين إلى حياة مصر .

عاش تميم في مصر كما قلنا حياة فيها كل أنواع اللهو والترف ، وقد هيأت له البيئة المصرية جميع المتطلبات من متنزهات وديار وقصور ما وافق هواه ومزاجه ، فأكثر الخروج إلى جزيرة الروضة وإلى دير القصير ، وشارك المصريين في لهوهم ، فكان يركب عشارى خاصة وتتبعه الزوارق المحملة بالفاكهة والطعام والشراب ، فان كانت الليالي مقمرة اتخذ من أنوار القمر ما يجعله مرتاح البال والضمير ، وإلا استعمل من الشموع ما يعيد الليل نهاراً ، فاذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً امرهم باعادته وسألهم عما عز عليهم فيأمر لهم به، وينتقل إلى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليله ، ثم ينصرف عند الصباح إلى قصره ليستريح في النهار بعد ان يكون قد قضى ليلته ساهراً متمتعاً بكل أنواع الملذات :

كم صبوح شددته بغبوق   وظلام وصلته بنهار
انما العمر ان تروح عشياً   قاصفاً عازفاً خليع العذار

كان تميم كريماً يسرف في الكرم إلى حد السفه ، مقبلاً على الشراب محباً للسمع ، مشاركاً أصحاب اللذة واللهو والمجون لا يتورع عن التظاهر بذلك بالرغم من مركز أسرته وواقعه الذي يوجب عليه التستر والتحفظ . ولم يعمر طويلاً فقد مات سنة ٣٧٥ هـ. وهو في نحو الثامنة والثلاثين من عمره .

طرق الامير تميم جميع أبواب الشعر وخاض بحره الزاخر بجميع الفنون ، فكان في الوصف مبدعاً ، وفي الرثاء جديراً وفي الغزل رائعاً ، وفي العتاب رقيقاً ، وها اننا نقدم بعض المقاطع من ديوانه وفيها الدلالة على شاعريته المرهفة وحسه المستيقظ ونبدأ بقسم الغزل ، قال :

لا والمضرج ثوبه — في كربلاء من الدماء
ما حلت يا ذات اللمى — عما عهدت من الوفاء
ها فانظريني ساجماً — في الدمع من طول البكاء
وضعي يديك على فؤا — د قد تهيأ للفناء
قالت تلطف شاعر — لسن وخدعة ذي ذكاء
امسك عليك فقد تقنع منك وجهي بالحياء
واعبث بما في العقد مني لا بما تحت الرداء
ان الرجال اذا شكوا — لعبوا باخلاق النساء

انه لقسم جميل ، وعهد مكين ، يفرضه على نفسه ، وديباجة رائعة تتجلى فيها كل أنواع الرقة الشعرية ، والعذوبة اللفظية ، ان تميم بايراده هذه المحاورة يعرض صوراً جذابة في قواف رقيقة تدل على عراقة شعرية متمكنة في قرارة نفسه . وقال :

تعيب الورود حمرة وجنتاه — وتلعب بالقرائح مقلتاه
تبسم عن حصى برد ولكن — جنيت الخمر صرفاً من جناه
يغيرني ويبليني التنائي — وليس يحول عن قلبي هواه
ومن طول المواعد ليس سؤلي — وحظي منه الا ان اراه

تظهر هنا الروعة الشعرية في كل بيت من هذه الابيات مقرونة بالعتاب المشبوب ، والشكوى الخارجة من أعماق قلب اصماه الحب وأضناه التنائي والهجران .

وننتقل إلى قصيدة من قصائده يصف فيها قصة غرام عنيفة جرت له في حانة

دير القصير الذي كان يختلف اليه مع رفاقه وندمائه فيقضون الليالي الممتعة الصاخبة بلهوها ومجونها وشرابها :

غدوت به يوماً إلى بيت حانة — وللغيم دمع يكف له سكب
فافضى بنا الادلاج بعد تعسف — إلى زولة [1] شمطاء منزلها رحب
وقالت لنا اهلاً وسهلاً ومرحباً — وقل لكم مني البشاشة والرحب
من أنتم ؟ فقلنا عصبة من بني الصبا — دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فقالت على اسم الله حطوا رحالكم — فعندي الفتاة الرؤد [2] والامرد الرطب
وراح نفى أقذاءها طول عمرها — فجاءت كما يذري مدامعه الصب
فقلنا لها هاتي بها وتعجلي — ولا يك فيما قلت خلف ولا كذب
فجاءت تجر الزق نحوي كأنه — على الارض زنجي بلا هامة يحبو
وطافت بها هيفاء مخطفة الحشا — معاطفها سلم والحاظها حرب
تمايل ردفاها وادرج خصرها — لياناً وعطفاً مثل ماتدرج الكتب
شكا كشحها الزنار مما يجيعه — وضاق بها الخلخال وامتلأ القلب [3]
أحلت لي الصهباء تقبيل وجهها — وما كان قبل السكر في لثمه عتب
سلام على دير القصير ومرحباً — به فله مني التخصص والقرب
فكم لذة فيه قضيت وغلة — شفيت ولا واش علينا ولا شغب

صور تميم نفسه وهو العابث الماجن في حانة دير القصير وقد برزت اليه عجوز شمطاء خفيفة الظل ظريفة الملقى تقول له اهلاً وسهلاً . . عجوز تعودت ان تراه في اكثر الليالي . . تعودت ان تنال من يده الأموال والعطايا . . وتعودت ان تقدم له أحسن الخمور وأحسن المغنين . . وأجمل العازفين . . وأبدع النساء . . وتشاء الصدف ان تتحفه في تلك الليلة بهيفاء مخطفة الحشا في معاطفها سلم وفي الحاظها حرب يتمايل ردفاها تحت خصر يدرج فيه اللين والانعطاف كتدرج الكتب .

(١) الزولة : المرأة الخفيفة الظريفة
(٢) الرؤد : الشابة الحسناء
(٣) القلب السوار

ثم ينتقل ليقول : بان الزنار كان يشكو ضمرتهـــا ويضيق الخلخال والسوار من امتلاء في مرافقها وساقيها وينتقل من هذا الوصف الاخاذ ليصف لنا كيف قبلها وفي هذا الدليل القاطع على الحرية والانطلاق من القيود التي كان يفرضها المجتمع على الحياة الماجنة المسرفة التي كان يعيشها تميم مع صحبه وندمائه . وقال :

ناولتها مثل خديهـــا مشعشعة ... صرفاً كان سناهـــا ضوء مقياس
قلت اشربي انها دمعي وحمرتهـــا ... دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت اذا كنت من حبي بكيت دماً ... فاسقنيهـــا على العينين والراس
يا ليلة بات فيهـــا البدر معتنقي ... وباتت الشمس فيها بعض جلاسي
وبت مستغنياً بالثغر عن قدحي ... وبالخدود عن التفـــاح والآس

كان تميم يتبع الحياة الواقعية فقلما نراه يصف قصة غرام الا وتكون هـذه القصة قد حدثت معه بالفعل مما يجعلها غنية بالالوان الجميلة والصور الرائعة والحال البراقة التي تظهر فيها الروعة الشعرية وتنساب خلالها القوافي الموسيقية في نهر من الابداع والجمال . وقال :

آه من تغيـير عينيـ ... ك ووردي شفتيـــك
آه ممـــا جال من ماء ... الصبـا في وجنتيـك
آه من ليــل تبدى ... طالعـــاً من طرتيك
آه من قـــدك اذ ما ... ل عـــلى ردفتيك
آه من صبـح وليل ... كمنـا في عارضيـك
فاز من قبــل يا قر ... ة عيـني يـديك

هذا ما استطعنا اقتطافه من روائع الشاعر الامير تميم ، ومهما يكن من امر ففي ديوانه صور زاخرة بكل روعة وفن . انهـا تبهر النظر وتأخذ بمجامع الالباب . انه كالروضة الغناء التي تزخر بالماء والخضرة والجمال والفواكه الشهية والمناظر الخلابة .

